رسالة ماجستير بعنوان:

"مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو: إعادة نظر"

"Rethinking Hans Morgenthau's Concept of Power"

إعداد الطالب:

وسام حسين نايف أبو طيور

إشراف الدكتور:

أحمد حمد

2018

رسالة ماجستير بعنوان:

"مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو: إعادة نظر"

"Rethinking Hans Morgenthau's Concept of Power"

إعداد: وسام حسين نايف أبو طيور

الرقم الجامعي: 1145027

تاريخ المناقشة: 5 / 11 / 2018

لجنة الاشراف و المناقشة:

د. أحمد حمد (مشرفاً)

د. لورد حبش (عضواً) **د. عبد الرحمن الحاج ابراهيم (عضواً)**

قُدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

2018

رسالة ماجستير بعنوان:

"مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو: إعادة نظر"

"Rethinking Hans Morgenthau's Concept of Power"

إعداد: وسام حسين نايف أبو طيور

تاريخ المناقشة: 5 / 11 / 2018

لجنة الإشراف و المناقشة:

د. أحمد حمد (مشرفاً ورئيساً) التوقيع _____

د. لورد حبش (عضواً) التوقيع _____

د. عبد الرحمن الحاج ابراهيم (عضواً) التوقيع _____

2018

الاستهلال

" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163) "

(سورة الانعام الآيتين 162 و163)

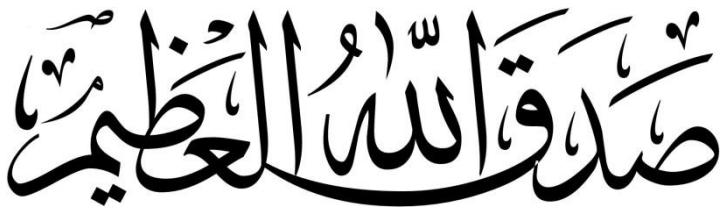

الإهداء

إلى من يملكون القوة الحقيقية ...

إلى الذين أناروا بدمائهم طريقنا نحو الحرية والكرامة...

شهداء فلسطين الأبرار

إلى نبع الحنان وجنتي على الأرض أمي الغالية

إلى الرجل الذي ما كنت لولاه أبي الغالي

إلى من كنت لهم مثالاً يُحتذى به إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى من تحملتني وأحبتني بالضيق والفرج مخطوبتي (ورود) الحبيبة

إلى من كانت بمثابة الصديق الوفي والمرشد في الطريق (نجلائي) العزيزة

إلى سندي في الحياة و كان لهم قولي الرأي الفصل أخوالي الأحباء

إلى ضياء عيناي وأحباب قلبي بيلسان ووعد وماسة

الشكر والتقدير

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

بعد الحمد لله حمداً كثير كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل المتواضع

وأخص بالذكر

الدكتورة لورد حبش، والدكتور علي الجرباوي، والدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم

والدكتور أحمد حمد على مجهوده الرائع الذي لولاه لما خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة

فهرس المحتويات

الاستهلال ..... **ث**

الإهداء ..... **ج**

الشكر والتقدير ..... **ح**

فهرس المحتويات ..... **خ**

الملخص ..... ز

Abstract ..... **ش**

مقدمة الدراسة ..... **ض**

أهمية الدراسة: ..... ف

الأهداف: ..... ق

إشكالية البحث: ..... ك

أطروحة الرسالة: ..... ل

المنهجية: ..... ل

الدراسات السابقة: ..... ل

هيكلية الدراسة: ..... ذذ

1 جذور مفهوم القوة **1**

1-1 تأصيل نظري لمفهوم القوة في العلوم السياسية: 2

1-1-1 التوجه الأول: البعد المادي والقسري للقوة 4

1-1-2 التوجه الثاني: القوة الجمعيّة 5

2-1 مفهوم القوة بين علم السياسة وحقل العلاقات الدولية: 7

1-2-1 نشأة وتطور حقل العلاقات الدولية: 7

2-2-1 النظرية الواقعية في العلاقات الدولية: 10

3-2-1 ادورد كار: 10

2 هانز مورغنتاو مؤسس الواقعية الكلاسيكية 13

2-1 من هو مورغنتاو Hans Joachim Morgenthau (1904-1980): 13

2-2 السياسة بين الأمم: 16

2-3 واقعية مورغنتاو: 16

1-3-2 استقلالية علم السياسة الدولية: 18

2-3-2 هدف مزدوج لطروحات مورغنتاو: 18

2-4 الخلاصة: 23

3 مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو 26

3-1 القوة والطبيعة البشرية عند مورغنتاو: 26

3-2 تعريف القوة: 28

1-2-3 المفهوم الإمبريقي للقوة: 28

2-2-3 المفهوم المعياري للقوة: 30

3-3 القوة هدفاً: 32

1-3-3 سياسات القوة: 33

2-3-3 المصلحة الوطنية: 33

3-3-3 سياسة المكانة (الهيبة): 34

3-4 عناصر ومقومات القوة: 34
3-4-1 المصادر والمكونات المستقرة نسبياً – المصادر المادية بحسب مورغنتاو: ... 35
3-4-2 المصادر والمكونات المتغيرة – المصادر المعنوية بحسب مورغنتاو: 39
3-5 استخدام القوة والحرب على فيتنام: 48
3-6 الخلاصة: 55
4 الواقعيون الجدد وارث مورغنتاو حول مفهوم القوة 58
4-1 الواقعية الجديدة: 59
4-2 والتز ومورغنتاو: 60
4-2-1 من هو والتز Kenneth Neal Waltz (1924-2013): 61
4-2-2 اراء والتز في طروحات مورغنتاو: 62
4-2-3 تقاربات ومفارقات مفهوم القوة بين والتز ومورغنتاو: 65
4-3 ميرشايمر ومورغنتاو: 71
4-3-1 من هو ميرشايمر John J. Mearsheimer (1947-...): 72
4-3-2 آراء ميرشايمر في طروحات مورغنتاو: 72
4-3-3 مقاربات ومفارقات مفهوم القوة بين ميرشايمر ومورغنتاو: 74
4-4 الخلاصة: 85
5 الليبراليون الجدد وإرث مورغنتاو حول القوة 92
5-1 النظرية الليبرالية الجديدة: 94
5-1-1 روبرت كوهين ROBERT O. KEOHANE (1941-...) 96
5-1-2 جوزيف ناي Joseph Nye (1937-...) 98

2-5 أوجه الاختلاف 100
1-2-5 أسس التحليل..... 100
2-2-5 أولوية القدرات الاقتصادية: 101
3-2-5 الهدف من القوة 103
3-5 أوجه التشابه 103
1-3-5 تعريف القوة عند جوزيف ناي وروبرت كوهين: 103
2-3-5 تعريف القوة عند جوزيف ناي:..... 104
3-3-5 مصادر القوة وأشكالها عند جوزيف ناي: 108
4-3-5 القوة الذكية عند جوزيف ناي:..... 122
5-3-5 التدخلية:..... 123
6-3-5 النظرة المعيارية للقوة بين مورغنتاو ناي: 125
7-3-5 مورغنتاو بين القوة الناعمة والذكية: 128
4-5 الخلاصة: 129
6 الخاتمة 134
7 قائمة المصادر والمراجع: 147
1-7 المراجع العربية:..... 147
2-7 المراجع الأجنبية: 151

الملخص

تعد القوة مفهوما أساسيا في نظريات العلاقات الدولية، وهي متغير رئيسي في تشكيل السلوك الدولي. رغم ذلك، يُعتبر مفهوم القوة واحدا من المفاهيم التي لا يوجد اتفاق بين علماء العلاقات الدولية في النظر له، من حيث تعريف، ومكونات، وأشكال، واستخدامات القوة.

ويرتبط مفهوم القوة ارتباطًا وثيقًا بالنظرية الواقعية، حيث يكاد من المستحيل كتابة أطروحة حول القوة دون بحث مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو، الذي يعد من أبرز مؤسسي المدرسة الواقعية في علم العلاقات الدولية.

تفترض هذه الاطروحة أن هناك سوء فهم شائع بين دارسي العلاقات الدولية، حول طروحات هانز مورغنتاو بشأن القوة، وذلك نتيجة لانطباعات وتصورات أولية لم تتعمق في طروحاته وأفكاره، والتي بدورها افترضت أن نظرة مورغنتاو للقوة قائمة على أساس الاستخدام المادي للقوة من خلال القسر والإجبار والإخضاع.

وتم فحص هذا الفرض، من خلال إعادة قراءة مفهوم القوة عند مورغنتاو، حيث يعد طرحه من الأوسع والأعمق، كما تدرس هذه الأطروحة، كيفية تناول الواقعيين الجدد (كينث والتز، وجون ميرشايمر) طروحات مورغنتاو حول القوة. بالإضافة إلى دراسة كيفية تناول جوزيف ناي –المنظر الليبرالي الجديد– لهذه الطروحات.

وتعد الخلاصة الأساسية لهذه الأطروحة أن مورغنتاو تبنى رؤية مزدوجة للقوة، عبر تشخيص واقع القوة الإمبريقي (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية) حيث السعي للحفاظ على الذات وإلى الهمينة يجعل القوة هدفاً بذاتها. والثاني، رؤيته لكيفية وضع تصور معياري (normative) يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم.

توصلت هذه الأطروحة إلى نتيجة مفادها أن طروحات الواقعيين الجدد أمثال كينث والتز وجون ميرشايمر، قد تبنت الجزئية الأولى من طروحات مورغنتاو للقوة (الإمبريقية) والقائمة على الإجبار والسيطرة من خلال الجوانب المادية.

في المقابل، تقترب طروحات جوزيف ناي حول القوة من طروحات مورغنتاو بإطارها الشامل المزدوج (الإمبريقي والمعياري)، ولكن بتركيز أكبر على الجانب المعياري. وبهذا يمكن اعتبار طروحات ناي هي الأقرب لرؤية مورغنتاو للقوة مع الجانب التطويري لها.

وبهذا يمكن الخروج من هذه الأطروحة برأي، أن مورغنتاو كان لديه جوانب مثالية، إذ لا يمكن تصنيفه بأنه واقعي "أرثوذكسي" بل يمكن اعتباره "مثالي الواقعيين"، فقد كان لديه طروحات تفسيرية ترى الواقع كما هو كائن، وطروحات تكوينية تسعى لرؤية الواقع كما يجب أن يكون، وبهذا فإن طروحات مورغنتاو، بقراءة متأنية، جديدة، تقرب المسافة بين الواقعيين والليبراليين.

Abstract

Power is a core concept in the International Relations theories, and it is a key variable in shaping the international behavior. Nevertheless, power is one concept that there is no agreement among scholars of international relations regarding its definition, components, forms and ways of use.

The concept of power is closely linked to the theory of Realism. It is almost impossible to write a thesis on power without discussing Hans Morgenthau’s concept of power, who is major founder of the Realism School of International Relations discipline.

This thesis argues that there is a common misunderstanding among scholars of International Relations about Hans Morgenthau's arguments concerning power. This is a result of the hasty impressions and perceptions that did not go deep in studying his concepts and thoughts. Those perceptions assumed that Morgenthau's view of power was based on the physical use of power through compulsion, coercion and subjugation.

The thesis argument is addressed through re-reading Morgenthau’s concept of power., which proved to be profound and comprehensive theory. studied how neo-realists, such as Kenneth Waltz and John Mearsheimer, addressed Morgenthau arguments on power. Furthermore, it studied how Joseph Nei, the neo-liberal theorist, addressed these arguments.

The basic conclusion of this thesis is that Morgenthau has adopted a dual vision of power; the first: by diagnosing the reality of the empirical power (as it is, and as it manifested itself in the international relations), where the pursuit of self-preservation and domination makes power an end in itself. The second, is how to develop a normative vision based on the self-interest of the state while seeking the public interest of the world.

This thesis concluded that neo-realists such as Waltz and Mearsheimer have adopted the first part of Morgenthau's concept of the empirical power. On the other hand, Nye's arguments on power were based on comprehensive dual vision: (the empirical and the normative),

but with a greater emphasis on the normative aspect. Thus Nye's views can be seen as closer to Morgenthau's vision of power with its developmental aspect.

Accordingly, it can be argued that Morgenthau has ideal aspects, since he could not be classified as an "orthodox", but could be considered "the idealist of the realists", since he had interpretive arguments that saw reality as it is, and formative arguments that tried to see reality as it should be. Thus Morgenthau’s ideas narrow the distance between the realists and the liberals.

مقدمة الدراسة

المفاهيم هي اللبنات الأساسية للبحوث في العلوم الاجتماعية، وهي تشكل محاولات المفكرين لترجمة الظواهر المعقدة والمتعددة الأوجه التي يواجهونها، بمفردات جامعة ذات دلالات خاصة قد تتباين من حقل علمي إلى آخر، وهي جزء أساسي من عملية التفكير. وتُشكل المفاهيم حجر الأساس في صياغة النظريات وبناء الفرضيات التي تستخدم في تحليل الأبعاد المختلفة للظواهر الإنسانية.

أصبح مفهوم القوة من المفاهيم المركزية والجدلية، في آن واحد في العلاقات الدولية، وذلك بعد أن لعبت فرضيات النظرية الواقعية التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، دوراً مركزياً لهذا المفهوم سواءً في تحليل السياسة الدولية، أو في سعيها لتحقيق السلام في عالم يتسم بالفوضى الناجمة عن غياب سلطة مركزية تنفذ القوانين على غرار ما يحدث في الدول.

وجاءت نهاية الحرب الباردة في مطلع التسعينات من القرن المنصرم، لتكون كما اعتبرتها كثير من المدارس النظرية والدارسين نقطة تحول لإعادة النظر في مفهوم القوة. وفي هذا الإطار، جاء جوزيف ناي الذي يعد من المنظرين الليبراليين متحدثاً عن مفاهيم القوة الناعمة. كما وظهرت النظرية البنائية التي تبنت رؤية النظرية الواقعية لطبيعة القوة إلا أنها أضافت على تصورات الواقعية ما اسمته بالعلاقات الاجتماعية في العلاقات الدولية، وأهمية طبيعة العلاقات بين الدول في فهم النظر إلى القوة.

وتعتبر القوة أحد المفاهيم التي يبدو أن الجميع يستخدمها في التحليل، ولكن القليل يمكنه تحديدها بدقة أو قياسها، خصوصاً مسألة تحويل القوة، من موارد الطاقة إلى التأثير على الأحداث السياسية.

تشكل صورة الدول التي تكافح من أجل القوة والأمن أساساً للأنطولوجيا الواقعية للسياسة الدولية. وكما أشار ستيفن والت: "مفهوم القوة هو أمر أساسي للنظرية الواقعية، ومع ذلك لا يزال هناك اتفاق ضعيف على كيفية التفكير فيه وقياسه" (Pallave 2011, 60).

حاولت النظرية الواقعية الكلاسيكية، التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تقديم فهم لسلوك الدول على أساس الاعتراف بأن "السياسة الدولية، مثلها مثل السياسة الداخلية، صراع على القوة". ويرتبط هذا الأمر بشكل أكثر شيوعًا بأعمال هانز مورغنتاو، الذي كان آنذاك أستاذًا في جامعة شيكاغو، ومؤلفًا لكتاب "السياسة بين الأمم: الصراع من أجل السلطة والسلام" Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace.

ويعتبر هذا الكتاب بمثابة الدستور للنظرية الواقعية الكلاسيكية، وتم اعتباره أيضاً أساسًا لفهم واقعي لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. وعبّر مورغنتاو عن الواقعية ودافع عنها لأكثر من ثلاثين عاماً من داخل الأروقة الأكاديمية. فقد كان صانعو السياسة في واشنطن هم الذين حاولوا تطبيق نظريات الواقعية على واقع العلاقات الدولية، بما في ذلك أعمال واقعيين آخرين، مثل جون كينان، صاحب مبدأ الاحتواء، وأصبحت الواقعية محورا في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد عام 1945 (مقلد 2001، 188).

ويعتبر مورغنتاو أحد ابرز مؤسسي دراسة العلاقات الدولية في القرن العشرين، ويستمر تأثيره في الجدل حول أفضل السبل لفهم السياسة الدولية. وعند النقاش حول مكان الواقعية في السياسة الخارجية، أو ما يعنيه بأن يكون المرء "واقعياً"، يكاد يكون حتمياً أن تتم بعض الإشارة إلى مورغنتاو.

عارض مورغنتاو التدخلات الأمريكية في فيتنام (1955–1975)، خاصة بعد اشتداد المعارك هناك عام 1964، إلا أنّ هذا لم يلغ، بل عزز، دائرة سوء الفهم، حيث أنه واقعي ويرفض الحرب، ولكن الواقعيين بشكل عام، ومنهم مورغنتاو، اتهموا بأن أفكارهم تدعم الحرب، ومن علّق على معارضته للحرب اعتبره متناقضاً مع نفسه. ويقول كينث والتز في هذا الصدد: "أنت تعرف مقال بوب جلبين الرائع بعنوان "لا أحد يحب الواقعي"؟ أحب ذلك. وهو على حق. أنت تعلم أن الناس عموما لا يحبون الواقعية. إذ يعتقد الناس أن الواقعيين يحبون الحرب، ويدافع الواقعيون عن الحرب. هذا غير صحيح، فالواقعيون محصورون في الواقع لفهم كآبة الحرب ويريدون تجنبها، وعندما خرج مورغنتاو كواحدا من المعارضين الأقوياء للحرب في فيتنام، سخر الناس منه تقريبًا لأن تفسيرهم كان أنه واقعي، لديه سمعة لصالح الحرب. وكان لديه هذه السمعة بشكل عام، فقد كانت فكرة أنه واقعي وضد الحرب في فيتنام منافية للعقل في ذلك الوقت" (Beyer 2015, 48).

أدى موقفه من حرب فيتنام، فضلا عن ظهور تنظيرات جديدة، وخصوصاً الواقعية الجديدة (البنيوية) التي وضع أسسها كينث والتز، واهتمت بتفسير علاقات القوى العظمى إبّان الحرب الباردة، إلى أن يصبح التعامل مع طروحات مورغنتاو الواقعية وكأنه حدث تاريخي ضمن تأسيس حقل العلاقات الدولية. لكن ظروف منها نهاية الحرب الباردة، "وفشل" التحليل الواقعي الجديد، الذي اعتبر النظام ثنائي القطبية نظاماً قابلا للاستمرار، والأكثر استقراراً، إلى إحياء الاهتمام بمورغنتاو، خصوصاً بروز المدرسة الكلاسيكية الواقعية الجديدة.

تسعى هذه الأطروحة إلى إعادة قراءة الفكر الواقعي الكلاسيكي بشكل عام، وفكر مورغنتاو حول القوة بشكل خاص، وتتبع أثر هذا الفكر في تطور نظريات العلاقات الدولية في مدارس مختلفة، مثل الواقعية والليبرالية الجديدتان.

عند وفاة مورغنتاو عام 1980، قال روبرت اوسجود Robert E. Osgood ، الذي التقى مورغنتاو لأول مرة كطالب دراسات عليا قبل أن يصبح واحدا من زملائه في جامعة شيكاغو، "أن الأمة فقدت شخصية بارزة في التاريخ الفكري لسياستها الخارجية، وترك مورغنتاو أثراً مستمراً على جيل من العلماء لكنه قائم على سوء الفهم" (Russell 2018, 163).

ومن الممكن ملاحظة سوء الفهم حول مورغنتاو في اعتبار بعض الباحثين أنّ طروحات مورغنتاو تركز على مقومات ومصادر القوة المادية، وبالذات القوة العسكرية. كما أنهم يدعون بأن مورغنتاو لا يركز على الجوانب المعنوية، بالرغم من وجود بعض الدراسات التي تشير إلى الجوانب المعنوية في مفهوم القوة لديه، إلا أن هذه الدراسات لم تفسر وتوضح هذه الجوانب بما يكفي.

وتوضح هذه الدراسة، أن مورغنتاو كان يتبنى رؤية مزدوجة للقوة: الأولى، عبر تشخيص واقع القوة الإمبريقي (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية) حيث السعي للحفاظ على الذات و الهمينة يجعل القوة هدفاً بذاتها، وبالتالي التركيز على توازن القوى لحفظ السلام. ولكن في الواقع أن هناك شق ثاني لدى مورغنتاو، هو رؤيته لكيفية وضع تصور معياري (normative) يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم.

رافق سوء الفهم هذا فكر مورغنتاو منذ البداية؛ منذ نشر مورغنتاو عمله البارز، "السياسة بين الأمم"، الذي طوّر من خلاله مفهوم الواقعية السياسية، واستمر حتى عندما

صدرت في عام 2007، نسخته السابعة، ولا يزال أحد أكثر النصوص المعروفة على نطاق واسع وأكثرها سوء فهم في مجال العلاقات الدولية.

واجه هذا العمل نقدا منذ طبعته الأولى عام 1948، فبعد شهر واحد من نشره، نُشِرَت، على سبيل المثال، مقالة في جريدة The New York Times تحت عنوان " الشعوب والأيديولوجيات" "Peoples and Ideologies" تقول: "إلى أولئك الذين يسعون إلى البحث عن السلام باستخدام بعض الأساليب مثل إلغاء سياسة القوة ونزع السلاح أو حكومة عالمية. ينصح بعدم رفع غطاء كتاب هانز مورغنتاو السياسة بين الأمم، لأنهم سيجدون من الصفحة الأولى سياسات القوة" (Wolfe 1948, 22). أدى مثل هذا التصور الأولي إلى إعطاء انطباع أن الواقعيين يعتمدون على الاستخدام الفعلي للقوة القائم على القسر والإجبار والإخضاع.

وفي نفس الاتجاه، يقول منظر الواقعية الجديدة، التي ظهرت في نهاية السبعينيات، والتي سيلي توضيح الفرق بينها والواقعية الكلاسكية، جون ميرشايمر، "مع بداية حرب فيتنام، بدأ تأثير مورغنتاو يتضاءل ... لأن العداء الشديد لهذا الصراع خلق في حرم الكليات والجامعات بيئة معادية للدراسات الواقعية والأمنية، ولم يعر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس الكثير من الاهتمام بالسياسة بين الأمم خلال سنوات فيتنام، والتي استمرت من 1965-1975". في إشارة ضمنية أن طروحات مورغنتاو تؤيد الحرب، وهو أمر غير دقيق. ويعترف ميرشماير، أنّه لا يذكر أنّه قد قرأ كتاب مورغنتاو كطالب جامعي أو كطالب ماجستير، على الرغم من "أنني أتذكر الناس الذين يتحدثون عنه، وكنت أعرف أن اسمه مرتبط بسياسة القوة" (Russell 2018, 161-162).

يتبين من السابق أن سوء الفهم الذي واجه طروحات مورغنتاو كان، أحياناً، نتيجة عدم الاطلاع على طروحاته أصلاً، أو قرائتها بشكل جزئي متسرّع. ولهذا تدفع هذه الأطروحة باتجاه أن القراءة الصحيحة والكاملة لطروحات وأفكار مورغنتاو تغير النظرة التي يُنظر بها إلى أعماله وأفكاره، الأمر الذي سيغير الفهم لماهية القوة عند مورغنتاو ولماهية الواقعية أو ما المقصود منها، وفهم عواقب تطبيق النظرية الواقعية من قبل العديد من التلاميذ منذ عام 1945، كما جاءت في كتابات من قرؤوا أعمال المنظرين، أمثال مورغنتاو، وليس من خلال قراءة هذه الأعمال مباشرة.

يضاف إلى هذا أن قراءة متعمقة لآراء وطروحات مورغنتاو حول القوة، قد تبرر التساؤل إن كان هناك تباين أو تشابه مع من جاءوا بعده من منظرين واقعيين وليبراليين. وعلى سبيل المثال تناول هانز مورغنتاو في كتابه "السياسة بين الامم"، تسعة عناصر للقوة، وميّزها بين عدة أشكال، يمكن الزعم عند قراءتها أن جوهر أفكار جوزيف ناي عن القوتين الناعمة والذكية موجودة فعلا فيها، كما طرحها مورغنتاو في منتصف أربعينات القرن الماضي، وكما سيوضح الفصل الخامس من هذه الدراسة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية مفهوم القوة في العلاقات الدولية، حيث أنه من المستحيل التفكير في العلاقات الدولية، سواء كتخصص أكاديمي أو كمجال للسياسة العامة، دون التطرق إلى مفهوم القوة في مجال العلاقات الدولية.

ويرتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بالنظرية الواقعية. ويكاد يكون مستحيلاً، كتابة أطروحة حول القوة دون الإشارة إلى مفهوم القوة عند مورغنتاو. فيقول ستانلي هوفمان

Stanley Hoffmann (1928–2015)، على سبيل المثال، "يعتبر هانز مورغنثاو من أكثر العلماء الأمريكيين نفوذاً في مجال العلاقات الدولية. واحتلت نظريته مركز الصدارة في هذا البلد خلال السنوات العشر الماضية". (Hoffmann 1961, 423). فضلا عن ذلك فإنّ الوصول لتقييم دقيق حول موقف الواقعية والواقعيين من الحرب أمر مهم لدارسي العلاقات الدولية، يضاف إلى كل ذلك أنّ نهاية الحرب الباردة أفرزت الحاجة لنظريات جديدة، تعالج الخلل الذي ظهرت فيه الواقعية الجديدة القائمة على تحليل علاقات الأقطاب الدوليين، وكانت العودة للواقعية الكلاسيكية، مع تطويرها بالتأكيد، أحد الحلول، وهذا يزيد من أهمية إعادة قراءة الأفكار التأسيسية للواقعية.

الأهداف:

تهدف هذه الأطروحة إلى التوقف عند بعدين أساسيين لفهم مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو، وهي:

أولا، إعادة قراءة مفهوم القوة عند مورغنتاو، والذي شمل الجوانب المادية والمعنوية. ومحاولة الوصول إلى الفهم الدقيق لطروحات هانز مورغنتاو حول هذا المفهوم، إذ يسود تفسيرات متناقضة ومتضاربة لهذه الأفكار، نتيجة لانطباعات وتصورات أولية لم تتعمق في طروحاته وأفكاره، والتي عممت أن نظرة مورغنتاو للقوة قائمة على الاستخدام الفعلي للقوة من خلال القسر والإجبار والإخضاع.

ثانيا، معالجة كيفية تناول الواقعيون الجدد (كينث والتز وجون ميرشايمر) لطروحاته، وكيفية تناول المنظرون الليبراليون الجدد (روبرت كوهين وجوزيف ناي) لهذه الطروحات، والمقارنة بين طروحاتهم وما قدمه مورغنتاو.

ثالثا، المساعدة في تقديم أسس لتحليل العلاقات الدولية في المرحلة الراهنة من خلال إعادة النظر في إرث مورغنتاو، التي قد تفتح المجال أمام المهتمين والدارسين والباحثين في حقل العلاقات الدولية لمزيد من البحث والدراسة والتحليل.

إشكالية البحث:

ارتبطت الصورة النمطية عن الفكر الواقعي الكلاسيكي، في العلاقات الدولية، الذي يعد هانز مورغنتاو، من أبرز منظريه، بأنّه يقوم على الأسس المادية وخاصة العسكرية، وهي صورة غير دقيقة، تعكس سوء فهم وصورة نمطية مشوهة عن فكر مورغنتاو، وعن الواقعية الكلاسيكية عموماً.

أسئلة البحث:

تثير الإشكالية السالفة، عدد من الأسئلة، أهمها، ما هي أسباب تتطور هذه الصورة غير الدقيقة؟

وللإجابة على هذا التساؤل، يجب طرح الاسئلة التالية:

- كيف تناول هانز مورغنتاو مفهوم القوة في طروحاته وأفكاره لتحليل العلاقات الدولية؟ وما مدى مساهمة طروحاته حول القوة في تطوير نظرية العلاقات الدولية؟
- كيف تعامل الواقعيون الجدد مع إرث مورغنتاو حول مفهوم القوة؟ وما مدى الاتفاق او الاختلاف مع مورغنتاو؟
- كيف تعامل الليبراليون الجدد مع إرث مورغنتاو حول مفهوم القوة؟ وما مدى الاتفاق او الاختلاف مع مورغنتاو؟

أطروحة الرسالة:

تفترض هذه الأطروحة أن هناك سوء فهم شائع حول طروحات هانز مورغنتاو بشأن القوة، ويعود ذلك إلى أن الواقعيين الجدد، وباحثين آخرين، ركزوا على استخدام القوة لتحقيق الأمن، مع إهمال الشق المعياري (normative) في تنظير مورغنتاو، والذي يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم، ولإهمالهم أو رفضهم النسبي للأبعاد غير المادية في نظرة مورغنتاو للقوة.

المنهجية:

تستند هذه الرسالة إلى تحليل للأدبيات السابقة والحالية حول موضوع القوة، وكيفية تطورها في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. ولذلك، سوف يتم الاعتماد بشكل كبير على مساهمات العلماء والمفكرين في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية بشكل خاص.

درست هذه الرسالة مفهوم القوة عند مورغنتاو، ثم درست كيف جرى فهم مورغنتاو من قبل منظري الواقعية الجديدة (كينث والتز وجون ميرشايمر)، ومنظري الليبرالية الجديدة (روبرت كوهين وجوزيف ناي)، ومقارنة طروحاتهم بطروحات مورغنتاو لإدراك التماثلات والتباينات بينهم، وتقدير المساهمات الفعلية لكل نظرية من خلال أفكار منظريها في عملية تطور مفهوم القوة في العلاقات الدولية.

الدراسات السابقة:

يكشف استعراض نماذج بارزة من الكتابات حول مورغنتاو وفهمه للقوة، التباين في فهم مورغنتاو، وصولاً إلى حد التناقض، من قبل الباحثين، وهذا دليل وجود سوء فهم لدى فريق منهم على الأقل.

بشكل عام يمكن تقسيم الدراسات السابقة في معالجتها لطروحات مورغنتاو في حقل العلاقات الدولية بشكل عام ومفهوم القوة بشكل خاص، إلى مجموعتان:

المجموعة الأولى، دراسات متخصصة تناولت مورغنتاو وأفكاره واهتمت بها بشكل مباشر، وبتحليل مقولاته ونظريته، وفي عملية تصنيفه كباحث. أما المجموعة الثانية، فهي دراسات عالجت مورغنتاو ضمن أبحاث عامة، أي انّها ناقشت مفهوم القوة عند مورغنتاو، في سياق دراستها لهذا المفهوم بشكل عام، وليس عند مورغنتاو تحديداً.

ومن جهة أخرى، يمكن تقسيم آراء واستخلاصات الباحثين بشأن مورغنتاو، ضمن ثلاثة أقسام رئيسية. أولها الذي أشار بتسرع ربما، إلى أنّ مفهوم مورغنتاو يمثل، أو هو جزء من المدرسة التي تشدد على البعد المادي للقوة، واستخدامها في القسر والإكراه. بينما أدرك قسم آخر البعد الشمولي لفهم مورغنتاو، ولكن في أغلب الأحوال، دون تعمق في فهم أفكاره، كما سيرد لاحقاً. ويمكن الإشارة لفريق ثالث، أشار لوجود سوء فهم شائع بشأن أفكار مورغنتاو، لكن حتى هذا الفريق لم يقم بتقديم تصور تصحيحي كافٍ.

المجموعة الأولى، دراسات متخصصة تناولت مورغنتاو وأفكاره:

اهتمت دراسات بإجراء تقييم ومراجعات لأفكار مورغنتاو بشكل خاص، ولعل الخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسات أنّ إرث مورغنتاو يثير عند الباحثين عددا من الإشكاليات، فمع التسليم بأهمية دوره وطروحاته، هناك عدة دراسات، نشرت بعد عقود، من نشره كتابه الأساسي "السياسة بين الأمم"، التي تحاول تفسير مورغنتاو، وطروحاته. ولعل أهم استنتاج يمكن الخروج به من استمرار نشر هذه الدراسات أنه لا زال هناك حاجة للمزيد من التدقيق في طروحات مورغنتاو.

يمكن الإشارة إلى عدد من الدراسات نشرت حول فكر مورغنتاو، بشكل خاص، أقدمها يعود للعام 1965، للكاتب السعودي غازي القصيبي، Ghazi A. R. Algosaibi بعنوان نظرية العلاقات الدولية: هانز مورغنتاو ومنتقديه"، في مجلة Background. ودراسة Marcus Raskin بعنوان "مورغنتاو مثالي الواقعية" عام 1977، ضمن كتاب تحت عنوان "الحقيقة والمأساة: تحية لهانز مورغنتاو". ودراسة Peter Gellman، بعنوان "هانز مورغنتاو وإرث الواقعية السياسية"، عام 1988، ودراسة (Robert Jervis)، في بحثه "هانز مورغنتاو، الواقعية، والدراسة العلمية للعلاقات الدولية"، عام 1994، ودراسة M. Ben Mollov بعنوان "القوة والروحانية في فكر مورغنتاو"، عام 1998 في مجلة مراجعة الدراسات السياسية اليهودية، وأخيراً دراسة أعدها Hartmut Behr و Rösch Felix، كمقدمة مطولة لكتاب "مصطلح السياسي" وهو كتاب صدر عام 2012، يناقش أفكار وطروحات مورغنتاو في كتاباته ومؤلفاته الأوروبية، أي الكتابات التي قدمها قبل انتقاله للولايات المتحدة الأمريكية، وقبل أن يطرح مورغنتاو كتابه الشهير "السياسة بين الامم".

اللافت في هذه الدراسات، أنها تُجمِع أنّ مورغنتاو يستحق المزيد من البحث، لأهميته أولا، وبسبب سوء الفهم أو الانتقادات التي وجهت له وأحاطت بأعماله ثانياً، مع تحميله جزء من وزر هذا الأمر. و تنقسم حسب الآتي:

القسم الأول، دراسات ناقشت الغموض في فكر مورغنتاو:

رأي Peter Gellman، في مقال في مجلة "Review of International Studies"، بمناسبة مرور خمسين عام على صدور كتاب "السياسة بين الأمم"، أن كتابات مورغنتاو "موطن لكثير من التناقضات، لأنها غير مستقرة ولا يوجد بها حلول، وحججه غير

متناسقة"(Gellman 1988, 262)، يضاف على هذا حسب الباحث أن منتقدي مورغنتاو قد أساءوا إليه بسبب الآراء التي لم يعبر عنها أبداً، ويرى الباحث أن مورغنتاو قد أخفق في توضيح فهمه للقوة بشكل دقيق، وأن تعابيره عن هذا المفهوم كانت واسعة جداً.

وفي نفس الاتجاه طرح Robert Jervis، في بحثه "هانز مورغنتاو، الواقعية، والدراسة العلمية للعلاقات الدولية"، أن كتابات مورغنتاو حول المصلحة الوطنية كانت مهمة بشكل خاص، ولكن هذه الكتابات "غامضة بشكل مدهش"، وعلى الرغم من أن مورغنتاو ألهم العديد من علماء ومفكري العلاقات الدولية، من خلال أفكاره عن القوة والمصلحة الوطنية والنظام الدولي، إلا أن الباحث يرى أن هناك عناصر "غريبة وغير عادية في نظرية مورغنتاو الواقعية" (Jervis 1994, 860)، وتتمثل هذه العناصر بالأفكار والأخلاق والدبلوماسية، واعتبر الباحث أن هذه العناصر ستمثل مشكلة ضمن استنتاجات مورغنتاو الواقعية، كما أن الكاتب يزعم "أن مورغنتاو لم يذهب بعيدا في فكره بما فيه الكفاية، ولم ير مدى التحولات في السياسة الدولية بين الدول المتقدمة، بسبب التغيرات في تكاليف الحرب ومنافع السلام" (Jervis 1994, 871).

بدورهما يشير الباحثان Hartmut Behr and Felix Rösch في دراستهم Morgenthau's Twofold Concept of Power، التي وردت في مقدمة الكتاب الذي نشر عام 2012، بعنوان "مصطلح السياسي"، في اكتشاف لكتابات غير شائعة لمورغنتاو، كونها كتبت بغير الإنجليزية، أن هناك سوء فهم لطروحات مورغنتاو للقوة، فقد مثلت القوة بالنسبة لمورغنتاو "حالة نفسية المنشأ استندت إلى العلاقات البينية، والتي لا يمكن الحصول عليها من مراكمة السلاح والمال فقط، وإنما من خلال التفاعل بين الناس أيضاً" (Behr and

Rösch 2012, 47)، ولكن هذه الدراسة تناقش أفكار وطروحات مورغنتاو في كتاباته ومؤلفاته الأوروبية، أي الكتابات التي قدمها قبل انتقاله للولايات المتحدة الأمريكية، وقبل أن يطرح مورغنتاو كتابه الشهير "السياسة بين الامم". مقدمة الكاتبين، ذات أهمية خاصة، والواقع أنّ أطروحة هذه الدراسة المركزية، استفادت من مقدمة الباحثين المشار إليهما، (حول المكون المزدوج لمفهوم مورغنتاو عن القوة)، ورغم أنّ مؤلفات مورغنتاو الأوروبية، لم تدخل ضمن اهتمام هذه الأطروحة، كما أنها لا زالت لم تدخل في صلب نظرية العلاقات الدولية التي تنسب إلى مروغنتاو، فإن فكرة هذا الكتاب هي الحاجة لكتابات أخرى، (غير السياسة بين الأمم)، وغير كتاباته الشائعة للوصول إلى فهم دقيق لطروحات مورغنتاو، أي أنّ فكرة هذا الكتاب تنطلق من التسليم الضمني لغموض طروحات مورغنتاو، ولكنها هنا اهتمت بكتاباته الأوروبية.

القسم الثاني، دراسات حاولت تفسير طروحات مورغنتاو:

يقوم اعتقاد الباحث M. Ben Mollov في دراسته "القوة والروحانية في فكر مورغنتاو"، عام 1998، أن إرث مورغنتاو دخل ضمن عملية إعادة نظر، وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، وأن عدة دراسات حاولت إعادة تقييم فكر مورغنتاو، ويركز الباحث في دراسته هذه على فكر مورغنتاو وخاصة على "مخاوفه المتعلقة بأهمية الأخلاق لدى صانع القرار"(Mollov 1998, 93)، ويؤكد الباحث أن مورغنتاو كان لديه أيضاً مخاوف روحية مهمة حول سلوك الإنسان في المجال السياسي الذي يستند عليه في تفسير السلوك الدولي، ويرى الباحث أن حساسية مورغنتاو تجاه الاهتمامات الروحية كانت متأثرة بإحساسه القوي بالهوية اليهودية التي عبر عنها خلال حياته. تتفق الأطروحة مع هذه الدراسة بجزئية ضرورة إعادة النظر في فكر

مورغنتاو وطروحاته وخاصة التي تتعلق بالقوة، لأنها تسهم في تصحيح الصورة غير الدقيقة التي تم نقلها عن فكر مورغنتاو.

وفي نفس الاتجاه تقريبا يوضح غازي القصيبي، في دراسته "نظرية العلاقات الدولية: هانز مورغنتاو ومنتقديه"، عام 1965، أن طروحات مورغنتاو تعرضت لانتقادات حادة، ومن أبرزها "اعتبار نظرية مورغنتاو المبنية على مفهومه للطبيعة البشرية، تعاني العديد من الصعوبات، لأنها لا تفسر شيئاً وهي غير علمية" (Algosaibi 1965, 237)، كما يرى الباحث أن منتقدي مورغنتاو تجنبوا تقييم مساهماته في دراسة العلاقات الدولية بشكل جدي، ويطرح الباحث أن طروحات مورغنتاو يمكن الاستفادة منها خلال العقود القادمة. وهو ما تحاول هذه الأطروحة تطويره، ولكن من خلال التركيز على مفهوم القوة لدى مورغنتاو وطروحاته المزدوجة لهذا المفهوم، الذي يمكن الاعتماد عليه في تفسير الواقع الدولي الحالي.

أما الباحث Marcus Raskin في دراسته "مورغنتاو مثالي الواقعية"، يصنف مورغنتاو بأنه "مثالي الواقعيين" (Raskin 1977, 85)، وذلك لأن مورغنتاو كان له نظرة عالمية من خلال اعتقاد مورغنتاو بضرورة وجود قواعد عالمية لضبط سلوك الدول في الشؤون الدولية (Raskin 1977, 89)، وحاول مورغنتاو تطبيق هذه المبادئ الأخلاقية العالمية، ضمن طروحاته الواقعية، وخاصة ضمن أفكاره المناهضة للحرب الأمريكية على فيتنام، ويرى الباحث أن طروحات مورغنتاو قد اشتملت على جوانب مادية وجهت السياسة الخارجية الأمريكية (ضمن سياسة الاحتواء)، وفي اتجاه آخر اشتملت طروحات مورغنتاو على جوانب معنوية مرتبطة بالأخلاق العالمية ، وكان هذا بسبب معاناته من النازية. تتبنى هذه الأطروحة تصنيف الباحث لمورغنتاو بوصفه "مثالي الواقعيين"، وذلك لأن مورغنتاو كان لديه جوانب

مثالية في فكره، تمثلت بطروحات تكوينية تسعى لرؤية الواقع كما يجب أن يكون، وبنفس الوقت هو واقعي فقد كان لديه طروحات تفسيرية ترى الواقع كما هو كائن.

المجموعة الثانية، دراسات عالجت مورغنتاو ضمن أبحاث عامة:

تقوم دراسات هذه المجموعة بنقاش مفهوم القوة في حقل العلاقات الدولية بشكل عام، وفي سياق نقاشها لهذا المفهوم تناقش مفهوم القوة عند مورغنتاو، ويمكن الخروج من هذه الدراسات برأي أن هناك سوء فهم لطروحات مورغنتاو في حقل العلاقات الدولية بشكل عام ومفهوم القوة بشكل خاص، نتيجة التسرع وعدم التعمق في أفكار مورغنتاو.

ويمكن الإشارة إلى ثماني دراسات، ضمن هذه المجموعة، وهي: دراسة David A. Baldwin بعنوان "القوة والعلاقات الدولية"، والصادرة عام 2013، ضمن كتاب Handbook of International Relations. وأطروحة الدكتوراة للباحث الكردي أكو حما كريم رحيم بعنوان "القوة الناعمة في العلاقات الدولية – دراسة تحليلية مقارنة" الصادرة عام 2011 من جامعة السليمانية . ودراسة K. J. Holsti بعنوان "مفهوم القوة في دراسة العلاقات الدولية"، والمنشورة عام 1964 في مجلة Background، ودراسة Brian C. Schmidt بعنوان "الواقعية وأوجه القوة في العلاقات الدولية"، والتي صدرت عام 2007 ضمن كتاب Power in World Politics. وأطروحة الماجستير للباحث Matteo Pallaver بعنوان "القوة وأشكالها: الصلبة والناعمة والذكية"، والصادرة عام 2011 من جامعة The London School of Economics and Political Science، وأطروحة الدكتوراة ل Farhana Paruk بعنوان "نظريات وممارسات القوة الناعمة"، والصادرة عام 2014 من جامعة جنوب أفريقيا. وأطروحة دكتوراة أخرى ل Sheng Ding بعنوان "القوة الناعمة وصعود الصين" والصادرة عام 2006

من جامعة نيوجيرسي. إضافة إلى دراسة مارتن غريفيش في كتابه "خمسون مفكراً في العلاقات الدولية"، الذي ناقش فيه سيرة حياة مورغنتاو ولكن بإطارها العام. وتتوزع هذه الدراسات حسب الأقسام التالية.

القسم الأول، دراسات أشارت بتسرع لطروحات مورغنتاو بكونها تشدد على البعد المادي للقوة:

يرى ديفيد بالدوين David A. Baldwin في دراسته (Power and International Relations) الصادرة عام 2013. التي يقوم من خلالها بالمقارنة بين أربع نظريات في العلاقات الدولية، والتي يقسمها إلى نظرية توازن القوى، والنظرية الواقعية الجديدة، والنظرية الواقعية الهجومية، والنظرية البنائية أن نظرية توازن القوى والتي ربطها بطروحات هانز مورغنتاو رأت في فكرة القوة أنها تقوم على الموارد المادية وغير المادية بدلاً من النظر إليها باعتبارها "علاقة". وقد واجهتها صعوبات في محاولة تفسير مفهوم القوة النسبية نتيجة تعدد أبعاد القوة وعدم وجود مقياس موحد يعبر عن هذه الأبعاد. ويقول بالدوين "أن ميرشايمر كغيره من الواقعيين أمثال مورغنتاو ووالتز ينظرون إلى القوة إلى حد كبير من الناحية العسكرية" (Baldwin 2013, 283). ويتضح هنا أن بالديون لم يدقق في الفروق بين مورغنتاو وميرشايمر واعتبرهما متماثلين، وهو كما سيتضح من فصول هذه الدراسة أمر غير دقيق، رغم انتماؤهما للمدرسة الواقعية.

وبحسب مقارنة بالدوين، فإن النظريات الثلاث الأولى تتشابه في أطروحاتها حول القوة القائمة على الموارد المادية وغير المادية، في حين تختلف البنائية عنهم في تبنيها للقوة القائمة

على علاقة فعلية أو محتملة. كما يفترض بالدوين أن رؤية كل من هانز مورغنتاو وكينث والتز وجون ميرشايمر ينظرون إلى القوة من الناحية العسكرية.

وقد أخطأ بالدوين في تحليله هذا، حيث أن مورغنتاو ينظر للقوة من جميع النواحي، وكما ستوضح هذه الأطروحة أن مورغنتاو حذر من الاعتماد على القوة العسكرية فقط، بل اهتم بشكل كبير بالنواحي المعنوية للقوة وخاصة الدبلوماسية، كما أن مورغنتاو اختلف عن والتز وميرشايمر في تناوله لمقومات القوة بشكل شامل في الوقت الذي ركز به الآخرين على المصادر المادية فقط.

وفي نفس الاتجاه يقوم الباحث الكردي أكو حما كريم رحيم في دراسته "القوة الناعمة في العلاقات الدولية – دراسة تحليلية مقارنة" بمناقشة مفهوم القوة الناعمة في العلاقات الدولية ويقارن بين نظريات العلاقات الدولية (الواقعية الكلاسيكية والجديدة، والليبرالية الجديدة والبنائية)،

وعرض الباحث طروحات مورغنتاو حول القوة وركز على طروحاته المتعلقة بالجوانب المادية للقوة، ورأى أن مورغنتاو لم يحلل موضوع القوة تحليلاً معمقاً وكافياً. ويعتبر مفهوم القوة عند مورغنتاو غامضا وغير واضحا، وأن التصنيف الذي وضعه لمقومات القوة "ضعيف وغير متماسك، ولذلك لا يدخل مفهوم القوة الناعمة ضمن تحليل الواقعية الكلاسيكية وطروحات مورغنتاو لمصادر قوة الدولة" (رحيم 2011، 38–39).

ويتوصل رحيم إلى نتيجة مفادها أن النظريات السابقة تتباين في رؤيتها حول القوة القائمة على المصادر الصلبة أو الناعمة، ويجيب الباحث عن مدى التشابه والتباين، بقوله:

يؤكد الواقعيون على الطابع المادي للقوة وأن القوة العسكرية هي الأداة الغالبة... ولا يعد الليبراليون القوة العسكرية الأداة الوحيدة الفعالة، بل يعدون التدخل الاقتصادي واستخدام المؤسسات الدولية هي الأداة الغالبة، أما البنائية الاجتماعية فبجانب تأكيدها على مكانة القوة والسياسة الواقعية ومحورية القدرات المادية في فهم العلاقات الدولية وتحليلاتها، إلا أنها تؤكد كذلك دور الأفكار والهويات والمثل والأفضليات، وتثمن دور العوامل غير المادية مثل الثقافة والمعرفة في العلاقات الدولية (رحيم 2011، 187).

لم يوضح رحيم مدى التشابه أو التباين بين المنظرين أو المدارس النظرية المختلفة، وإنما كان يبحث في النظريات عن مصطلح القوة الناعمة فقط وليس عن الفكرة، والذي وجده لدى جوزيف ناي صاحب المصطلح. فقد تناول رحيم مقومات القوة التي طرحها "هانز مورغنتاو" دون أن يشير إلى أن مورغنتاو تناول فكرة القوة الناعمة في كتابه، بوضوح، حتى لو لم يستخدم المصطلح، وحتى لو اعتبر هذا النوع أحد أنواع ووجوه القوة (وهو أمر يتبناه ناي أيضاً كما سيوضح الفصل الخامس).

كما ويعتبر K. J. Holsti في دراسته The Concept of Power in the Study of International Relations، أن مورغنتاو المدافع الأول عن مفهوم القوة باعتبارها جوهر النظرية في السياسة الدولية، ولكنه فشل في تقديم مفهوم للقوة مما أبقاها غامضة، وأن القوة عند مورغنتاو غالباً ما تتساوى مع الأصول المادية التي تمتلكها الأمة (Holsti 1964, 180). يظهر هنا خطأ الباحث في أنه اعتبر مورغنتاو يساوي القوة بالأصول المادية، في حين أن مورغنتاو حذر بشكل شديد من المساواة بين القوة والأصول المادية، وستبين هذه الأطروحة هذا الأمر في الفصل الثالث.

القسم الثاني، دراسات أدركت البعد الشمولي لفهم مورغنتاو، ولكن دون تعمق في فهم أفكاره:

يقوم براين شميدت Brian C. Schmidt في دراسته Realism and facets of power in international relations. In: Power in World Politics التي صدرت عام 2007، بمقارنة مفهوم القوة بين النظريات الواقعية، والتي يقسمها الباحث إلى النظرية الواقعية الكلاسيكية، النظرية الواقعية البنيوية الدفاعية والهجومية، والنظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة. ويرى الباحث أن هانز مورغنتاو رائد النظرية الواقعية الكلاسيكية قام بتقديم تعريف للقوة كعلاقة (على العكس تماماً مما قاله بالدوين- أنظر أعلاه)، من خلال اعتبارها وسيلة لممارسة السيطرة، ويشير إلى أنّ مورغنتاو صنف مقومات القوة الوطنية إلى تسعة مقومات مادية وغير مادية، وأنّه اعتبر أن نوعية الدبلوماسية أهم عامل يساهم في قوة الدولة (Schmidt 2007, 45-46).

ويجيب الكاتب عن التساؤل؛ ما مدى التباين والتشابه بين النظريات حول مفهوم القوة في النتيجة التي توصل لها في ختام دراسته بقوله: "على الرغم من أن الواقعيين الكلاسيكيين ولا سيما مورغنتاو الذي عرف القوة من حيث العلاقة والعناصر المادية، فإن الغالبية الساحقة من الواقعيين في جميع الفئات الثلاث تؤيد وجهة نظر أن القوة قائمة على الموارد المادية وغير المادية، والذي يتناقض بشكل حاد مع دعاة مفهوم القوة الناعمة ... كما أن هناك اتجاه عام بين الواقعيين وخاصة الجدد لربط القوة بالقوة العسكرية" (Schmidt 2007, 61). في الواقع أنّ شميدت لم يقدم تحليل عميق لطروحات مورغنتاو ولم يوضح تفاصيل هذه الطروحات لتدعيم رأيه، كما تختلف هذه الدراسة عن دراسة ديفيد بالدوين في اعتبار طروحات مورغنتاو ضمن النهج العلائقي للقوة.

يتناول الباحث Matteo Pallaver، في أطروحته الاختلاف حول مفهوم القوة ضمن النظريات الواقعية الكلاسيكية والجديدة، وخاصة عند مورغنتاو "الواقعي الكلاسيكي"، وكينث والتز الواقعي الجديد الدفاعي، وجون ميرشايمر الواقعي الجديد الهجومي. ويرى الباحث أن تعريف مورغنتاو للقوة هو تعريف معقد من خلال اعتباره أن القوة هي "علاقة نفسية بين الذين يمارسونها والذين تمارس عليهم"، وأن هذا التعريف يضع مورغنتاو ضمن النهج القائم على اعتبار القوة هي علائقية، وهو يتقارب مع تعريف ماكس فيبر للقوة. بالإضافة إلى أن مورغنتاو حدد القوة بتبنيه نهج يعتبر القوة قائمة على امتلاك الموارد المادية والمعنوية، من خلال تقسيمه لمقومات القوة الى تسعة عناصر تشمل الموارد المادية والمعنوية. وبحسب الباحث أن مورغنتاو ميز بدقة بين القوة السياسية والقوة البدنية، وأنه فرق بين التهديد باستخدام العنف والاستخدام الفعلي له (Pallaver 2011, 55). وهذا يتناقض كما يتضح مع فهم آخرين، فهو يختلف مثلا مع بالدوين الذي لم ير بعداً "علائقيا" في طروحات مورغنتاو. كما رأى بالاور أن مورغنتاو عبر عن رؤيته في السعي للقوة بوصفها شهوة متأصلة في الطبيعة البشرية، وأن السياسة الدولية هي سياسة القوة، دون إكمال طروحات مورغنتاو الأخرى حول القوة.

وتؤكد أطروحة الدكتوراة ل Farhana Paruk، أن النظرية الواقعية هي التقليد النظري في العلاقات الدولية الأكثر ارتباطاً بمفهوم القوة، ولذلك "توفر الواقعية أنسب تحليل لفهم القوة وبالتالي مفاهيم القوة الناعمة" (Paruk 2014, 34). ويرى باروك أنه من المفترض أن يساعد رسم تخطيطي للواقعية في ترسيخ مجرى التفكير العام والمساعدة في إعادة النظر لمفهوم القوة الناعمة، كما ويرى الباحث أن مورغنتاو قد ركز اهتمامه على الجوانب المعنوية للقوة المتمثلة بشخصية الأمة ومعنوياتها، ونوعية الحكم فيها أكثر من الجوانب المادية المرتبطة

بالقوة العسكرية (Paruk 2014, 41). وهنا يتضح أيضاً النظرة لجزء من طروحات مورغنتاو، وإغفال جوانب أخرى، فآخرين رؤوا التعريف المادي وأغفلوا المعنوي، على عكس باروك.

وفي أطروحة دكتوراة أخرى ل Sheng Ding، تؤيد الاتجاه القائم على اعتبار أن هناك أصول فكرية لمفهوم القوة الناعمة ضمن طروحات هانز مورغنتاو حول القوة، وبالذات فيما يتعلق بمقومات القوة المعنوية التي طرحها مورغنتاو، والتي اعتبرها الباحث هي نفسها مصادر القوة الناعمة، حيث علق على هذا قائلاً: "من الواضح تمامًا أن ناي لم يحاول التنصل من التعريف التقليدي للقوة على أساس نموذج الواقعية، وحتى هناك سلالة فكرية واضحة بينهما. إلى حد ما، أعادت أعمال ناي تقديم تحليل مورغنتاو للقوة في نموذج ليبرالي جديد. وينعكس الارتباط بين قوة ناي الناعمة ونموذج قوة مورغنتاو في تركيز ناي على سمات الدولة" (Ding 2006, 37). ولكن يركز دنج في دراسته على تصنيف مورغنتاو ضمن النهج العلائقي للقوة مثل شميدت أكثر من توضيح ماهية طروحات مورغنتاو، كما ويغفل طروحات مورغنتاو الكاملة حول القوة. ومن الجدير ملاحظته كيف يتباين فهم دنج، مع باحثين آخرين سبق ذكرهم، لم يلمحوا جانب القوة الناعمة في طروحات مورغنتاو، وأشاروا إلى تركيزه على البعد الماضي.

وفي نفس الاتجاه يرى الباحثان Graeme P. Auton and Robert J. Jackson، في دراستهم أن تسمية القوة الناعمة هي حديثة، ولكن الفكرة واستحضارها هو قديم جداً، إذ يشير الباحث إلى أن فكرة القوة الناعمة وردت ضمن أعمال المفكر اليوناني ثوسيديدس، إلا أن جوزيف ناي صاحب مصطلح القوة الناعمة لم يشر إلى ذلك. كما أن فكرة القوة الناعمة وردت ضمن طروحات هانز مورغنتاو في كتابه "السياسة بين الأمم "عندما

يتحدث هانز مورغنثاو، في السياسة بين الأمم عن الشخصية الوطنية، والروح المعنوية الوطنية، ونوعية الدبلوماسية والحكومة كعناصر للقوة الوطنية. إنه يتحدث عن القوة الناعمة" (Auton and Jackson 2016, 5). لم توضح هذه الدراسة تفاصيل طروحات مورغنتاو حول مقومات القوة المعنوية بالشكل الكافي ولم توضح أين يكمن الشبه بين طروحات مورغنتاو وناي كما ستقوم هذه الأطروحة، وإنما ركزت الدراسة على نقد مفهوم القوة الناعمة.

القسم الثالث، أشار إلى سوء فهم طروحات مورغنتاو ولم يقدم تصور:

يرى مارتن غريفيش في كتابه "خمسون مفكراً في العلاقات الدولية"، أن هناك سوء فهم لطروحات مورغنتاو حول القوة، وأن العديد من الباحثين يناقشون أفكاره بشكل مغلوط، وأنه أقل منظر يفهم الناس طروحاته، ولكن غريفيش لم يقدم أي تصور لطروحات مورغنتاو وخاصة التي تتعلق بطروحاته حول القوة، فالكتاب يناقش سيرة حياة مورغنتاو بإطارها العام، ضمن حياة خمسين مفكرا (غريفيش 2008، 74).

ستوضح هذه الأطروحة في المقام الأول أن مورغنتاو كان يتبنى نظرة مزدوجة للقوة (الإمبريقية والمعيارية): الأولى، عبر تشخيص واقع القوة الإمبريقي (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية) حيث السعي للحفاظ على الذات و الهمينة يجعل القوة هدفاً بذاتها. والثانية، رؤيته لكيفية وضع تصور معياري (normative) يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم. بكونها هي الأولى من نوعها وتعد الأعمق فيما يتعلق بمفهوم القوة، والتي لم تتناولها الدراسات السابقة، ولم تتطرق إلى طروحات مورغنتاو المزدوجة في حقل العلاقات الدولية.

وستعمل هذه الأطروحة على تقديم قراءة ومراجعة للتحليلات التي تناولت طروحات مورغنتاو حول مفهوم القوة، نتيجة لانطباعات وتصورات أولية لم تتعمق في طروحاته وأفكاره والتي عممت أن نظرة مورغنتاو للقوة قائمة على الاستخدام الفعلي للقوة من خلال القسر الإجبار والإخضاع، أو العكس رأت البعد المعنوي ولم تر المادي، أو التي رأت في طروحات مورغنتاو تجاهلاً لعلاقات القوة، أو العكس رأت فيها تركيز على علاقات القوة دون البعد الإمبريقي.

سيجري في هذه الأطروحة إعادة قراءة كتابات مورغنتاو بشكل واسع وشامل، ومن ثم تتبع تطور القوة لدى المنظرين الواقعيين الجدد وخاصة كينث والتز وجون ميرشايمر. بالإضافة إلى عرض طروحات جوزيف ناي حول القوة وخاصة القوة الناعمة، ومحاولة إيجاد العلاقة بين طروحات ناي ومورغنتاو، إذ تعتمد هذه الأطروحة على النصوص الأصلية لكل منظر، والاعتماد على اكثر من نص لنفس المنظر لتوضيح ما إذا كان هناك تغير أو ثبات في آراء المنظرين حول طروحاتهم المتعلقة بمفهوم القوة.

هيكلية الدراسة:

تم تقسيم هذه الأطروحة إلى خمسة فصول رئيسية وخاتمة، وهي كالتالي:

الفصل الأول: جذور نظرية

يعرض هذا القسم تأصيل نظري لمفهوم القوة في حقل العلوم السياسية، لأن حقل العلاقات الدولية هو جزء من العلوم السياسية. وفي القسم التالي يتم عرض تاريخ علم العلاقات الدولية وتطوره في القرن العشرين بشكل موجز لتأثيره على تطور مفهوم القوة في نظريات العلاقات

الدولية، وفي القسم الأخير يتم التركيز على النظرية الواقعية ونشأتها في القرن العشرين، وطروحات ادورد كار حول مفهوم القوة.

الفصل الثاني: هانز مورغنتاو مؤسس النظرية الواقعية الكلاسيكية.

يسرد هذا الفصل في بدايته حياة مورغنتاو، والتي كان لها دور كبير في رؤيته وطروحاته للسياسة الدولية، والتي عبر عنها في كتابه "السياسة بين الأمم"، وأهم أفكاره وطروحاته الواقعية في حقل العلاقات الدولية.

الفصل الثالث: مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو.

يتناول هذا الفصل بشكل مفصل وشامل طروحات مورغنتاو حول القوة من ناحية التعريف بكل أوجهه، وعلاقته بالطبيعة البشرية، والهدف من القوة حسب اعتقاد مورغنتاو، ومكونات ومصادر القوة لدى مورغنتاو، وأساليب استخدام القوة، وموقف مورغنتاو من الحرب الأمريكية على فيتنام وأسباب معارضته لها.

الفصل الرابع: الواقعيون الجدد وإرث مورغنتاو حول القوة.

يوضح هذا الفصل أبرز آراء منظري النظرية الواقعية الجديدة كينث والتز الدفاعي، وجون ميرشايمر الهجومي، في طروحات مورغنتاو حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية، ويتتبع الفصل أوجه الاتفاق والاختلاف بين طروحاتهم وطروحات مورغنتاو.

الفصل الخامس: الليبراليون الجدد وإرث مورغنتاو حول القوة.

يركز هذا الفصل على أبرز طروحات منظري الليبرالية الجديدة المتمثلة بطروحات روبرت كوهين وجوزيف ناي، وأبراز آرائهم بطروحات مورغنتاو، وأوجه الاختلاف والتشابه بين أفكارهم وطروحات مورغنتاو حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية.

الخاتمة.

1 جذور مفهوم القوة

يشير مصطلح "المفهوم" إلى مفردة أو عدد قليل من المفردات تقدم (تلخيص وترمز إلى) فكرة عامة حول ظاهرة ما، وتشير إلى عدد من الأشياء، ويبنى المفهوم ويتأثر بالعديد من العوامل، منها تراكم العملية البحثية، وأحياناً بالمعتقدات الأيدلوجية والاتجاهات والمنطلقات الفكرية المختلفة (هايوود 2010، 2–3)، ولهذا قد يختلف وصف المفاهيم، (المقصود منها) من مفكر إلى آخر ومن مدرسة فكرية إلى أخرى.

ولهذا تشكل المفاهيم أساس الاتصال بين المختصين في الحقول العلمية، فهي نوع من اللغة الخاصة المشتركة بينهم، وتساعد الباحثين على إدراك العلاقة بين الظواهر التي يتم دراستها، كما تساعد المفاهيم على إجراء الاستنتاجات العلمية والتعميمات، وتقوم على تصنيف الظواهر وهي جزء أساسي من بناء النظريات في مجالات المعرفة وصياغة التفسيرات والتنبؤات (مصباح 2010، 211).

ويعتبر مفهوم "القوة" من المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية، عموماً، وفي العلاقات الدولية خصوصاً، ورغم ذلك فإن هذا المفهوم من المفاهيم المثيرة للجدل، بسبب استمرار التناقض العميق بين المفكرين على ماهيته، وكما يشير "دبليو بي جاليه"، أنه من غير الممكن تطوير تعريف محايد ومستقر للقوة لأن آراء المفكرين المتنافسة على مفهوم القوة يمكن أن تكون بالتساوي صحيحة (هايوود 2010، 7).

وسيكون هناك صعوبة في التعامل مع مفهوم القوة في العلاقات الدولية بشكل عام ومفهوم القوة عند هانز مورغنتاو بشكل خاص، دون فهم الأفكار والطروحات التي تم وضعها في العلوم السياسية بشأن القوة، لكون حقل العلاقات الدولية جزء من العلوم السياسية.

ولهذا سيتم تخصيص هذا الفصل لنقاش مفهوم القوة من وجهة نظر مفكري حقل العلوم السياسية، وسيتم عرض التوجهات التي تناولت مفهوم القوة وخاصة التي كان لها أثرا في فكر مورغنتاو وطروحاته حول

مفهوم القوة في العلاقات الدولية، والتي انقسمت إلى قسمين: التوجه الأول الذي اعتبر القوة قائمة على القسر والإجبار، والتوجه الثاني نظر للقوة ضمن إطار أخلاقي قائم على التعاون والمصلحة العامة.

وتبرز أهمية هذه التوجهات بكونها أثرت على طروحات مورغنتاو حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية كما سيوضح لاحقاً، أما القسم الثاني تناول مفهوم القوة في حقل العلاقات الدولية من خلال نشأت وتطور هذا الحقل وأثره على تطور مفهوم القوة، وخاصة ضمن طروحات النظرية الواقعية ووطروحات أبرز منظريها ادورد كار.

1-1 تأصيل نظري لمفهوم القوة في العلوم السياسية:

اهتم عدد كبير من المفكرين على مدار العصور بمسألة القوة وقدموا رؤى عنها، وقد اختلفت وتطورت الأسس التي تقوم عليها من زمنٍ إلى أخر ومن عصرٍ إلى عصر. كما استخدم العديد من المفكرين مفهوم القوة عبر العصور بما في ذلك ثيوسيديدس Thucydides (460-395 قبل الميلاد)، وأرسطو Aristotle (684-322 قبل الميلاد)، ونيكولو مكافيللي Machiavelli Niccolò (1469-1527)، وتوماس هوبز Thomas Hobbes (1588-1679)، إلا انه لم يتم تكريس الكثير من الاهتمام لتوضيح مفهوم القوة، قبل القرن العشرين، ربما باستثناء هوبز. والمقصود هنا بشكل خاص، مفهوم القوة في العلاقات الاجتماعية السياسية.

بدأت المساهمات بشأن مفهوم القوة في السياسة، بشكل جدي قبل الحرب العالمية الثانية والتي تمثلت بكتابات ماكس فيبر Max Weber، وبرتراند راسل Bertrand Russell، وهارولد لازويل Harold Lasswell، وابراهام كابلان Abraham Kaplan. وبنى العديد من المفكرين آرائهم على هذه الكتابات (Baldwin 2016, 2).

ويعتبر مفهوم القوة من المفاهيم الأساسية في حقل العلوم السياسية، وانتقلت هذه الأهمية كذلك إلى حقل العلاقات الدولية، من خلال طروحات الاتجاه الأمريكي الذي قاده هانز مورغنتاو Hans Morgenthau، والذي يسلم بالارتباط بين علم العلاقات الدولية وعلم السياسة، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى القول بامتداد المفهوم الأساسي لعلم السياسة (القوة) إلى علم العلاقات الدولية (بدوي وآخرون 2015، 51).

سيتم في هذا الجزء من البحث استعراض مفهوم القوة لدى أبرز المفكرين من علماء السياسة في القرن العشرين، والذين لهم تأثير واضح وكبير على مفهوم القوة لدى منظري ومفكري العلاقات الدولية، وخاصة مورغنتاو الذي يعتبر محور هذه الأطروحة. وبالتالي سيقتصر العرض هنا على عدد من أبرز مفكري السياسة، وعلم الاجتماع السياسي الذين سبقوه، أو تزامنوا معه، وربما أثروا في أعماله، مثل: فريدريك نيتشه وماكس فيبر وحنا أرنت، كما سيلي توضيحه لاحقاً.

وهؤلاء العلماء والمفكرين هم: فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844–1900)، وماكس فيبر (1864– 1920)، ونيكولاس سبيكمان Nicholas J. Spykman (1893–1943)، و فريدريك شومان Frederick L. Schuman (1904–1981)، وأليكس دو توكفيل Alexis de Tocqueville (1805– 1859)، وحنا ارنت Hannah Arendt (1906– 1975)، وتالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902–1979)،

وبشكل عام يمكن تصنيف هؤلاء العلماء ونظرتهم للقوة، إلى توجهين اثنين: التوجه الأول، تناول القوة على أنها أمرا حتميا يؤدي إلى الصراع ويركز على المكونات المادية الموجودة فعلياً (الإمبريقية)، والتي تقوم على القسر والإجبار والسيطرة والتنافس ومن أنصاره فردريك نيتشه وماكس فيبر ونيكولاس سبيكمان وفريدريك شومان. التوجه الثاني، تناول القوة بكونها يمكن تحليلها ضمن إطار أخلاقي ومصلحة عامة من

خلال الإجماع والتعاون المحكوم بغايات أخلاقية وإنسانية، ومن أنصاره أليكس دو توكفيل، وحنا ارنت، وتالكوت بارسونز.

1-1-1 التوجه الأول: البعد المادي والقسري للقوة

اهتم فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) بمفهوم السيطرة، وهو يرى أن السيطرة هي الحقيقة الأساسية للحياة الإنسانية، وطرح نيتشه فكرة "إرادة القوة" التي ربطها بالحياة. وأصبح الهدف من الحياة عنده ليس فقط أن نعيش، بل كذلك الحصول على القوة، وبهذا تأتي قيمة الحياة عند نيتشه من أجل السعي للقوة (حبش 2007، 34-35). بكلمات أخرى، يجسد نيتشة اتجاه يرى الحصول على القوة باعتباره هدف بحد ذاته، ملازم للحياة الإنسانية.

كما رفض ماكس فيبر مفهوم القوة بإعتباره مفهوم غير متبلور سوسيولوجياً، واستبدله بمفهوم السيطرة، وطرح مفهوم لكل منهما، حيث اعتبر القوة أنها "الإمكانية الموجودة داخل علاقة اجتماعية تسمح للشخص بأن يحقق أهدافه حتى ضد المعارضة، وبغض النظر عن الأساس الذي تستند إليه هذه الإمكانية"، والسيطرة هي "الإمكانية في أن يكون لديك أوامر بمضمون محدد ومطاع من قبل مجموعة من الناس" (حبش 2007، 36-37).

يذهب فيبر في تعريفه للقوة على أنها "الفرصة التي تمتلكها جهة معينة وتجعلها قادرة على فرض إرادتها الخاصة في علاقة اجتماعية معينة حتى ضد من يقاوم هذه الرغبة" (هرميه 2005، 308)، وبما أن القوة عند فيبر هي فرصة أحد الناس أو أكثر لتحقيق إرادتهم بالرغم من مقاومة الآخرين، فهو يعتبر الطبقات وجماعات المصلحة والأحزاب ما هي إلا ظواهر لتوزيع القوة في المجتمع (رشوان 2007، 40-41).

بدأ في الثلاثينات من القرن العشرين الاهتمام يزداد في القوة كمفهوم تحليلي للسياسة الدولية عندما قام نيكولاس سبيكمان Nicholas J. Spykman عام 1933، بتقديم ورقة وصف من خلالها العلاقات السياسية الدولية بأنها صراع من أجل القوة، وعاد سبيكمان ونشر في عام 1942 أن القوة هي المحور الرئيسي لدراسة العلاقات الدولية والهدف الأساسي للسياسة الخارجية لأي دولة. واعتبر أن القوة هي ما تعتمد عليه الحياة سواء بالاقناع أو الإغراء أو الإكراه باستخدام جميع الوسائل. ولتضمن الدولة بقائها عليها أن تجعل هدفها الأول في سياستها الخارجية هو الحفاظ على قوتها أو زيادة هذه القوة، ولأن القوة في معناها الأخير تعني القدرة على خوض غمار الحرب فإن الدولة تؤكد دائماً على أهمية بناء مؤسساتها العسكرية (دورتي وبالستغراف 1985، 66،61).

ونشر فريدريك شومان Frederick L. Schuman في عام 1933 كتاباً بعنوان "السياسة الدولية" وصور من خلاله جميع السياسات على أنها صراع من أجل القوة، ولكنه وصف القوة في السياسة الداخلية كوسيلة لتحقيق أهداف أخرى، في حين نظر إلى القوة في السياسة الدولية كهدف في حد ذاته، تمثل الأسلحة الوسيلة الرئيسية لهذه القوة (Baldwin 2016, 93)، وبذلك تتمثل القوة عند شومان بالقوة العسكرية والقدرة على القتال (دورتي وبالستغراف 1985، 68).

1-1-2 التوجه الثاني: القوة الجمعيّة

يورد أليكس دو توكفيل Alexis de Tocqueville، (1805- 1859) والذي كان له أثر عميق في النظرية الليبرالية، أن مصادر القوة السياسية تقوم على الديمقراطية وأنها شكل من أشكال القوة، والحرية هي الدرع الحامي من القوة، وتكون الديمقراطية بهذه الحالة أعظم وأكثر تأثير من أي نظام للحكم السياسي (رشوان 2007، 39).

قام تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902–1979) بالربط بين مفهوم القوة من جهة وبين السلطة والاجماع وتحقيق الأهداف الجماعية من جهة أخرى. ولذلك لا يعترف بالقوة التي تستخدم القسر والإكراه بدون مبرر أو شرعية (Lukes 2005, 28). ويُعرف بارسونز القوة على أنها "القدرة على الوصول إلى غايات معينة تحظى بالقبول العام من جانب المجتمع أو هي القدرة على تجميع الطاقات (حبش 2007، 42). وبهذا فإن ممارسة القوة لابد أن تكون على أسس مشروعة وباجماع الذين تمارس عليهم.

ميزت حنا ارنت Hannah Arendt (1906– 1975) مفهوم القوة لديها وأبعدته عن المفكرين الذي يعتبرون القوة على أنها سيطرة أو علاقة التبعية بين السيد وخادمه، ولذلك اعتبرت ارنت أن القوة هي قدرة البشر ليس على العمل فقط، وإنما على العمل بشكل متناسق. وانطلاقاً من إيمانها بالتعددية، ترى أن "القوة ليست ملكاً للفرد، فالقوة تعود للجماعة وتبنى في الوجود طالما أن الجماعة تبقى معاً، فعند القول أن أحداً يملك القوة فإنه يستمدها من قِبل جماعة من الناس الذين يعمل معهم، وفي اللحظة التي تختفي فيها هذه الجماعة والتي هي مصدر القوة فإن قوته تختفي أيضاً" (حبش 2007، 43).

وهنا يمكن اعتبار أن التوجه الأول ينظر إلى القوة (الإمبريقية) بكونها أمرا غريزيا وحتميا يؤدي إلى الصراع بالتركيز على مكونات القوة المادية، ويمثل هذا الاتجاه الجانب السلبي للقوة، لأنها تعني الانتقاص من حرية الفرد بسبب الإجبار والقسر.

أما التوجه الثاني ينظر للقوة (المعيارية) بكونها تتشكل ضمن إطار أخلاقي قائم على التعاون والمصلحة العامة من خلال معايير وأهداف إنسانية مُثلى، ويمثل هذا التوجه الجانب الإيجابي في كل الأحوال والأوضاع، لانها لا تتعارض مع الحريات، لأنها محكومة بغايات أخلاقية.

شكّلت هذه التوجهات التي تناولت مفهوم القوة في العلوم السياسية والاجتماعية النواة الفكرية لدراسة القوة في مجال العلاقات الدولية. فقد جاءت طروحات مورغنتاو حول مفهوم القوة بعد الحرب العالمية الثانية، وأكد على مركزية القوة كهدف للسياسة الخارجية وكمفهوم أساسي لفهم السياسة الدولية.

وحاول مورغنتاو الجمع بين هذه الطروحات، ويتضح هذا الأمر من خلال تناوله لمفهوم القوة بشكل كامل وشامل وأكثر عمقاً، من حيث التعريف الذي دمج من خلاله التوجهين الأول والثاني (الإمبريقي والمعياري)، عن طريق تأثره بأفكار فيبر[1] وارنت[2]، كما تناول مصادر ومقومات القوة القومية بشقيها المادي والمعنوي، وسيتم تفصيل هذه الأمور في الفصول التالية.

1-2 مفهوم القوة بين علم السياسة وحقل العلاقات الدولية:

انتقلت مركزية مفهوم القوة في العلوم السياسية إلى حقل العلاقات الدولية، أصبح مفهوم القوة من المفاهيم المركزية فيه، فقد تطورت دراسة مفهوم القوة في القرن العشرين من خلال مساهمات الكثير من المفكرين والباحثين، فقد كانت دراسة العلاقات الدولية في العشرينات تتألف في معظمها من دراسات عن القانون الدولي والتاريخ الدبلوماسي والاقتصاد الدولي، والتي اعتبرت أن القوة هي شرط للدمار والخراب أكثر من كونها ذات مغزى مفاهيمي تحليلي مفيد.

1-2-1 نشأة وتطور حقل العلاقات الدولية:

بدأ التنظير للعلاقات الدولية منذ مراحل بعيدة تمثلت بأعمال مفكرين مثل ثيوسيديدس، وكانط، وميكافللي، وهوبز، وغيرهم من المفكرين، إلى أن تبلور هذا المجال كحقل أكاديمي في أوائل القرن العشرين. فقد مرت عملية التنظير في العلاقات الدولية بمراحل متميزة، تعمق فيها مفهوم النظرية واتضحت صفاتها وبرزت

[1] تأثر مورغنتاو بماكس فيبر خلال دراسته فترة العشرينات في جامعة ميونخ، حيث اكتشف في تلك الفترة اعمال فيبر والتهمها، واصبح هذا المفكر صديقاً شخصياً ومثالاً فكرياً له. وقد اعجب مورغنتاو بوجه خاص بما جمعه فيبر في شخصه من تجرد صارم في البحث الفكري ونشاطه سياشي واجتماعي مملوء بالشغف، فسعى مورغنتاو إلى تقليده على امتداد حياته (غريفيثس 2008، 75).

[2] التقى مورغنتاو بحنا ارنت في أوائل الخمسينات من القرن الماضي في جامعة شيكاغو، وطورا صداقة لا تتزعزع استمرت حتى وفاة أرندت في عام 1975. وقد تم وصفها بأنها الرفيق الفكري لمورغنتاو (Gewen 2015).

حدودها، فقد تم الاعتراف بحقل العلاقات الدولية بشكل رسمي عند نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1919، بإنشاء كرسي للعلاقات الدولية في جامعة إبرستويث في ويلز، وانتشر الأمر في جامعات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فقبل ذلك كانت دراسة العلاقات الدولية تعتمد على استخدام عدد من الحقول كالقانون والفلسفة والاقتصاد والسياسة والتاريخ الدبلوماسي (بروتشيل ولينكليتر 2014، 15)، وبهذا تراكمت لدى الباحثين كمية كبيرة من الحقائق، وطرق البحث، والمفاهيم، والمصطلحات، والتعاريف في العلاقات الدولية، والتي شكلت قاعدة قوية لإرساء نظريات متعددة، خاصة، في العلاقات الدولية.

وإذا ما تم النظر إلى مفهوم القوة في هذه المرحلة (فترة ما بين الحربين)، يمكن الإشارة إلى وجود نظرية واحدة سائدة في هذا الوقت، هي النظرية الليبرالية الكلاسيكية (المثالية)، ويمكن الإشارة أيضاً لمنتقدي هذه النظرية أو منتقدي بعض أفكارها، وفيما يلي تتبع للنظرة إلى مفهوم القوة في النظرية الليبرالية الكلاسيكية (ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية).

كانت النظرية الليبرالية الكلاسيكية (المثالية) عبر تاريخها الطويل، تؤكد باستمرار على أن الأخلاق والقانون والمنظمات الدولية تستطيع أن تؤسس لعلاقات طيبة بين الدول وذلك ببساطة لأن الطبيعة الإنسانية ليست شريرة، ولأن العلاقات السلمية والتعاونية بين الدول ممكنة (فرج 2007، 269).

ويعد كل من نورمان اينجل Norman Angell (1872–1967)، وألفرد زيمرن Alfred Zimmern (1879–1957) من أبرز منظري المثالية، أما وودرو ويلسون Woodrow Wilson (1856–1924) فهو يعتبر من المفكرين والممارسين للتوجه المثالي في العلاقات الدولية، لكن دون إرث نظري علمي مكتوب (ايفانز ونوينهام 2004، 320).

آمن المثاليون بوجود طريقة أفضل لتنظيم الشؤون الدولية من الأساليب التي كانت متبعة قبل الحرب العالمية الاولى. فقد كانوا مدفوعين بالرغبة في وضع مجموعة من الإجراءات والممارسات والمؤسسات التي يمكن أن تقضي على الحرب، أو تحد منها في النظام الدولي. ويظهر هذا الجانب بوضوح تام في خطة ويلسون المكونة من أربعة عشر نقطة ترمي إلى إرساء نظام دولي جديد قائم على مبدأ الأمن الجماعي (كوركي ووايت 2016، 75)، وتقوم الافتراضات الأساسية للمثالية على الاعتقاد بحتمية انتشار المؤسسات الديمقراطية، والتجانس الكامل في المصالح بين الشعوب، والأساس الرشيد للسلوك الإنساني (الطبيعة الخيرة في البشر) (فرج 2007، 141).

خلال مرحلة ما بين الحربين (1918–1939) لم تكن النظرية الواقعية قد بدأت في الصعود، فقد كان هناك مشاركة فعالة لرؤية وودرو ويلسون أحد أبرز المفكرين والممارسين للتوجه المثالي في العلاقات الدولية، لمبدأ الأمن الجماعي من خلال عصبة الأمم، ولكن بدأ هذا المناخ الفكري يتغير ببطء من المثالية نحو تقييم أكثر واقعية لعوامل القوة الدولية، وبدأ المفكرين في حقل العلاقات الدولية يبحثون عن تقييمات أشمل للقوى والأحداث الديناميكية، كأسباب الحرب العالمية الأولى، ومشاكل الأمن والحرب ونزع السلاح، وميزان القوى والجوانب الجغرافية للقوة العالمية (Dougherty and Pfaltzgraff 2001, 14).

وتعد مقاربة الأمن الجماعي التي قدمها وودرو ويلسون Woodrow Wilson (1856–1924) أحد أبرز المفكرين والممارسين للتوجه المثالي في العلاقات الدولية، بأنها لا تستند إلى الأخلاق والمثل والقيم فقط، بل تدعو إلى إقامة ترتيبات رادعة للعنف ومواجهة العدوان بقوة تتجاوزه وتتفوق عليه. لذا دعا ويلسون عام 1918 لإنشاء عصبة الأمم كمنظمة عالمية ذات ذراع عسكري رادع يؤسس لنظام الأمن الجماعي، ويتضح من هذا تبرير وتوظيف جديد للقوة والعنف بنقلهما من دائرة المصلحة والأنانية إلى دائرة أخلاقية تستند على ردع العدوان، وإنهاء الحرب ضمن إطار من الشرعية والقانون الدولي. وبهذا تلعب دينميات الرأي

العام والمؤسسات الدولية والقانون الدولي في هذا التوظيف الأخلاقي للقوة دوراً هاماً، فتكون هذه الديناميات كحاكم لسلوك الدول على المستوى الدولي ضمن الشرعية التي توفر أرضية لاستخدام القوة في إطار نظام الأمن الجماعي (الصواني 2013، 62-63).

1-2-2 النظرية الواقعية في العلاقات الدولية:

تقوم الواقعية في القرن العشرين على أساس فلسفي متراكم من تفسير ثوسيديديس للحرب البلوبونيزية وأفكار مكيافيلي وهوبز وغيرهم من الفلاسفة. إذ تعبر أعمال المؤرخ الإغريقي "ثيوسيديدس" في القرن الخامس قبل الميلاد عن الحروب البيلوبونيزية عن أفكار ما يعرف بالواقعية الكلاسيكية، والتي أطلقت من اعتبار أن الصراع والسعي للقوة والهيمنة والنفوذ هي ركيزة في النفس البشرية، كما يمكن أن يفسر هذا سلوك الدول أيضاً، كما استخلص نيقولا ميكافيلي صاحب كتاب الأمير، أن القوة أهم عنصر تحتاجه الدولة من أجل استمرارها ككيان حي (Viotti and Kaupi 1998, 57-60).

انتقل هذا التصور للقوة للعصر الحديث وخاصة في القرن العشرين من خلال كتابات وأعمال منظرين أمثال: "ادورد كار" الذي وصف في كتابه "أزمة العشرين عاماً 1919-1939" أن السياسة الدولية هي مجال للقوة في جميع مستوياته العسكرية والاقتصادية والمعنوية. كما بين أن الدولة والقوة ثنائي لا يمكن فصله إذا كانت الدولة تنوي السيادة والبقاء. وهانز مورغنتاو في كتابه "السياسة بين الأمم" الذي وضع مساهمة ذات أهمية خاصة استحق عليها لقب مؤسس المدرسة الواقعية الكلاسيكية (Viotti and Kaupi 1998, 62-64).

1-2-3 ادورد كار:

يمكن تقريب تقييم الواقعية في القرن العشرين من خلال أعمال وأفكار ادورد كار، كان أهم كتاب له هو "أزمة العشرين عاما 1919-1939" التي تم فيها تحليل فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية

من منظور واقعي. تم نشر هذا الكتاب لأول مرة عام 1939. عاش إدوارد هاليت كار بين عامي 1892 و 1982. إن أهميته وأهم إسهامه في التقاليد الواقعية للعلاقات الدولية هو مسعاه لنقد الليبرالية (المثالية) (غريفيثس 2008، 39).

ويعبر كار عن رؤيته للقوة بقوله: "إن الأسلم في القول هو أن القوة دائماً عنصراً أساسياً في السياسة، والسياسة إذن هي في معنى واحد سياسة القوة، فعدم الاعتراف بأن القوة هي العنصر الأساسي في السياسة قد أفسد حتى الآن كل المحاولات لإنشاء أشكال الحكومة الدولية، والقوة هي أداة لا غنى عنها للحكومة، ولتدويل الحكومة بالمعنى الحقيقي يعني تدويل القوة، والحكومة الدولية هي الحكومة التي تمدها الدولة بالقوة اللازمة لهذا الغرض من الحكم" (Carr 1946, 102). وقسم كار القوة في المجال الدولي إلى ثلاث فئات: القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والسيطرة على الرأي العام، ومن الصعب عملياً أن يتم تصور دولة تمتلك نوعاً واحداً من هذه الفئات بمعزل عن الفئات الاخرى، فالقوة في جوهرها كلٌ لا يتجزأ (Carr 1946, 108).

تم إنتاج أفكار كار من خلال ظروف عصره. كانت هناك هيمنة فكرية من المثاليين وكان هناك إرادة قوية لبناء المؤسسات الدولية حتى الحرب العالمية الثانية. بدأت الواقعية في القرن العشرين مع نقد كار للمثالية والطوباوية والعالمية، ومن خلال طروحات كار الواقعية أصبحت نظرية العلاقات الدولية أكثر علمية. ومع طروحات هذا المفكر تم تحقيق أهم تقدم في هيمنة الواقعية العلمية في مجال العلاقات الدولية، بالإضافة إلى أفكار هانز مورغنتاو التي سيتم مناقشتها في الجزء التالي من هذه الدراسة.

كانت النظرية الليبرالية الكلاسيكية هي الأبرز في مرحلة نشوء علم العلاقات الدولية، ثم برزت الواقعية الكلاسيكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي أعطت دوراً مركزياً لمفهوم القوة سواءً في تحليل السياسة الدولية، أو في تحقيق السلام في عالم يتسم بالفوضى الناجمة عن غياب سلطة مركزية تنفذ القوانين

على غرار ما يحدث في الدول. وكان ذلك بالتوازي مع تطورات وتغيرات في النظرية الماركسية، والتي ركزت على العامل الاقتصادي كأساس لتحليل العلاقات الدولية.

وبعد نوع من الجدل بين المدارس المختلفة ظهرت الليبرالية والواقعية الجديدتان في السبعينات، كان الجدال الأهم الذي دار بين الواقعيين والليبراليين الجدد هو حول التغير في طبيعة القوة في العلاقات الدولية مع صعود أهمية أبعادها الاقتصادية، وطبيعة عملية إدارة هذه القوة، وهل ستكون من خلال الاعتماد المتبادل أم من خلال الصراع على القدرات. ثم جاءت البنائية في أعقاب نهاية الحرب الباردة، التي تبنت رؤية النظرية الواقعية لطبيعة القوة إلا أنها أضافت على تصورات الواقعية ما اسمته أهمية العلاقات الاجتماعية في العلاقات الدولية، وأهمية طبيعة العلاقات بين الدول في فهم النظرة إلى القوة.

2 هانز مورغنتاو مؤسس الواقعية الكلاسيكية

تعد النظرية الواقعية من أهم نظريات حقل العلاقات الدولية، حيث أنها مثلت التوجه البحثي السائد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديداً خلال الحرب الباردة. ويمثل هانز مورغنتاو أبرز منظري هذا التوجه. سيوضح هذا الفصل من هو مورغنتاو، وما هي أبرز كتاباته في حقل العلاقات الدولية، وما هي أبرز طروحاته وأفكاره في هذا الحقل.

2-1 من هو مورغنتاو Hans Joachim Morgenthau (1904-1980):

يعتبر هانز مورغنتاو المنظر الأكثر شهرة بين المفكرين التقليديين الكلاسيكيين في القرن العشرين وأفضل ما يذكر به مورغنتاو، إلى جانب ادورد كار وجورج كينان، أنه ممن حاولوا تطوير نظرية شاملة قائمة على القاعدة الفلسفية المتعلقة بالمبادئ الواقعية حول الطبيعة البشرية، وجوهر السياسات وموازين القوى ودور الأخلاق في السياسة الخارجية" (غريفيثس 2008، 74).

ولد مورغنتاو في عام 1904 بألمانيا لعائلة يهودية، وفي العشرينيات، درس في جامعات فرانكفورت وميونيخ متخصصاً بالقانون والدبلوماسية. اكتشف في تلك الفترة أعمال ماكس فيبر واهتم بها كثيراً، وأصبح هذا المفكر صديقا شخصيا وقدوة فكرية له. وقد أعجب بوجه خاص بما جمعه فيبر في شخصه من تجرد صارم في البحث الفكري ونشاط سياسي واجتماعي مملوء بالشغف، فسعى مورغنتاو إلى تقليده على امتداد حياته. في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، علّم مورغنتاو القانون العام في جامعة جنيف، كما عمل في إسبانيا قبل أن يهرب من أوروبا إلى الولايات المتحدة عندما أخذ هتلر بتوطيد حكمه في ألمانيا (غريفيثس 2008، 75).

وصل إلى الولايات المتحدة في عام 1937، وتمكن من إيجاد عمل أكاديمي على الرغم من معاداة السامية التي واجهها الكثير من اليهود في الوسط الأكاديمي آنذاك. أمضى الوقت الأطول من حياته

الأكاديمية في جامعة شيكاغو (1943–1971). ومع أنه عمل لفترات قصيرة مع الحكومة (مستشارا لجهاز التخطيط السياسي في وزارة الخارجية في آواخر الأربعينيات ومجددا في أوائل الستينيات كمستشار لوزارة الدفاع)، فإنه كرّس معظم حياته العملية للكتابة والتعليم. وإضافة إلى أعماله النظرية، ساهم مورغنتاو بكثرة في صحف ومجلات، ونشر بالفعل ما لا يقل عن أربعة مجلدات من مجموع مقالاته التي كتبها خلال حياته (Griffiths and Roach 2009, 50).

صنع مورغنتاو شهرته بصفته منّظرا في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات. ويمثل كتابه الذي يحمل عنوان الإنسان العلمي في وجه سياسة القوة (Scientific Man Versus Power Politics) (1946)، عرضه الفلسفي الواقعي الأكثر منهجية، فقد بنى مورغنتاو هذا الكتاب على أسس علمية منهجية بالاعتماد على رؤيته الواقعية، كما يمثل نقدا لاذعا لما أسماه " الليبرالية العقلانية"، رافضاً الفرضيات المتفائلة حول الطبيعة الخيرة للإنسان (غريفيش 2008، 75). وهو ما سيلي توضيحه لاحقاً.

منذ فترة الخمسينيات وما بعدها، وبينما استمر في نشر طبعات متتالية من أشهر أعماله، خصوصاً كتابه "السياسة بين الأمم"، تخلى مورغنتاو عن اهتمامه بالنظرية للتركيز على السياسة الخارجية الأمريكية والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي.

وكما جورج كينان[3] George F. Kennan (1904–2005)، خاب أمله بالسياسة الخارجية الأمريكية في الستينيات وخصوصا بالتدخل في فيتنام، الذي عارضه بشجاعة على أساس مبدأ الدبلوماسية التقليدية القائل؛ إن رجال الدولة يجب ألا يوقعوا أنفسهم أو هيبة بلدانهم في مواقف لا يستطيعون التراجع

[3] مفكر واقعي كلاسيكي، كان عضواً في قسم الشؤون الخارجية للولايات المتحدة، وارسل للاتحاد السوفيتي عام 1933، ضمن وزارة الخارجية، نشر عام 1947 مقالا بعنوان "الخلفية النفسية للسلوك السوفيتي" تحت اسم مستعار هو X، ويعتبر كينان مهندس نظرية الاحتواء ضد الاتحاد السوفيتي (غريفيش 2008، 67).

عنها دون إلحاق الضرر بصدقيتهم أو السير قدما فيها من دون أن يواجهوا خطر الاصطدام المباشر بقوى عظمى أخرى (غريفيش 2008، 82).

خلال هذه السنوات، أصبح كتاب مورغنتاو (السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلطان والسلام) جزءًا أساسيا في المناهج الدراسية للعديد من البرامج التعليمية في العلاقات الدولية، التي تم تدريسها في جميع أنحاء البلاد. وفي نفس الوقت، أصبحت الواقعية جزءًا لا يتجزأ من نظرية العلاقات الدولية، فقد تم تبني كتابه في غضون شهر من نشره ككتاب جامعي، للسياسة الخارجية والعلاقات الدولية من قبل جامعات هارفارد ويل وبرينستون وكولومبيا ونوتردام، ولحقتها في الأشهر التالية الجامعات الأخرى. (Frei 2001, 73).

نمت شهرة مورغنتاو طوال الخمسينات من القرن الماضي، حيث اعتبره الآخرون مفكرا مرموقاً في الشؤون الخارجية والسياسة الدولية وقادرا على التدخل وتقديم المشورة بشأن مسائل السياسة الحالية. وهكذا، وبناءً على دعوة من جورج كينان، والذي حدد أولاً قضية سياسة الاحتواء التي نفذها الرئيس هاري ترومان، فقد شارك مورغنتاو في لجنة تخطيط وزارة الخارجية بين 1948 و 1951، وهي السنوات الرئيسية التي تم خلالها تطوير سياسة الاحتواء[4] المستندة إلى الواقعية.

وفي عام 1951، أسندت وزارة الخارجية إلى مورغنتاو القيام بزيارة رسمية إلى النمسا وتقديم النصيحة. وبناءً على هذه الزيارة، وربما اعترافًا بالأهمية الأوسع للمهمة التي أوكلت إلى مورغنتاو، دعته الإدارة الأمريكية فيما بعد لزيارة جنوب شرق آسيا في عام 1954. وقد أثبتت الزيارة أنها بداية نقطة تحول

[4] سياسة الاحتواء: هي سياسة صاغ مبادئها جورج كينان الخبير السياسي الأمريكي عام 1947، وتقوم هذه السياسة على فكرة إنشاء سلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية، بهدف تطويق وعزل الإتحاد السوفييتي. وإحكام الخناق حوله، ومنع انتشار نفوذه وإيديولوجيته إلى الدول المجاورة وإلى سائر مناطق العالم. ولكن دون المبادرة للهجوم العسكري أو حتى الإعلامي المباشر على السوفييت، ولم يلتزم من طبقوا هذه السياسة بأفكار كينان (مقلد 2001، 188-189).

في فكر مورغنتاو وحولته في نهاية المطاف إلى معارض لممارسات السياسيين في داخل الإدارة الامريكية (Frei 2001, 77).

2-2 السياسة بين الأمم:

يعتبر كتاب "السياسة بين الأمم: الصراع من أجل السلطان والسلام"، "تحفة" مورغنتاو في حقل العلاقات الدولية. ويعتبر هذا الكتاب، الذي نشر لأول مرة في عام 1948، بمثابة دستور الواقعيين في هذا الحقل. ثم ظهرت الطبعات المتتالية خلال فترة حياته في 1953، 1960، 1967، 1973، 1978، وتم إصدار طبعتين بعد وفاته في 1985، 2007، وتم ترجمة الطبعة الثانية إلى العربية عام 1964.

وترتكز هذه الأطروحة في تحليلها لأفكار مورغنتاو على النسخة العربية لتسهيل أعمال الترجمة، بالإضافة إلى الطبعة الإنجليزية السادسة عام 1985 لسد أي نقص في الطبعة العربية، والجدير بالذكر أنّ مضمون الطبعات هو نفسه إلى حد كبير لم يتغير.

وتظهر الطريقة التي أوضح بها مورغنتاو نظريته التي قدمها عام 1948، اتساق تحليله للسياسة الدولية. فقد كان إيمانه ثابتاً طوال مسيرته بأفكاره، إلا أنّه لم يكن جامداً، من حيث السياسات المقترحة، كما سيوضح الفصل التالي، بل كان متجدداً ومواكباً للظواهر والأحداث الدولية المتتالية، ولكن كان تحليله لهذه الأحداث ضمن قالب واقعي (Keaney 2006, 32).

3-2 واقعية مورغنتاو:

إن الخطوة الأولى التي يتخذها مورغنتاو نحو تقديم فهم نظري للسياسة الوطنية المشتركة يكمن في رفض مدرسة فكرية (مثالية، طوباوية)، تسعى لتطبيق "مبادئ تجريدية صالحة عالميا" لكل مكان وزمان، و"تؤمن بأن النظام السياسي العقلاني والأخلاقي، [العالمي] المستمد من هذه المبادئ يمكن أن يتحقق هنا والآن". في

مقابل هذا النهج، يؤمن مورغنتاو بـ "الواقعية السياسية"، التي تسعى لفهم السياسة الدولية على أنها "نتيجة قوى متأصلة في الطبيعة البشرية". وبالتالي فإن دراسة الواقع السياسي يكون "كما هو في الواقع، ومع العمليات التاريخية كما هي في الواقع" وليس كما يجب أن تكون من وجهة نظر المثاليين. (مورغنتاو 1964أ، 23).

يجادل مورغنتاو بأن النظرية يجب أن تعزز الفهم العقلاني للظواهر موضوع الدراسة. ويجب أن توفر النظرية للمراقب "مخططًا عقلانيا" يمكّنه من فهم معنى السياسة الخارجية. لذلك يجب أن يكون البديل للتمييز بين "السياسة كما هي في الواقع ونظرية عقلانية مشتقة منها". ويرى أنّ النظرية تشترك مع جميع النظريات الاجتماعية في الحاجة، من أجل الفهم النظري، للتأكيد على العناصر العقلانية للواقع السياسي.

وهكذا برأيه يمكن أن تتباعد النظرية عن الواقع بقدر ما قد تختلف صورة مرسومة عن صورة فوتوغرافية: لأنها تسعى إلى "إظهار شيء واحد لا تستطيع العين المجردة رؤيته: الجوهر البشري للشخص المصور". جادل مورغنتاو قائلاً: "من هنا، لا توجد حجة ضد النظرية التي قدمناها هنا مفادها أن السياسة الخارجية الفعلية لا تستطيع أن ترقى إليها". هذه الحجة تسيء فهم نية هذا الكتاب، الذي لا يقدم وصفًا عشوائيًا للواقع السياسي، بل نظرية عقلانية للسياسة الدولية (مورغنتاو 1964أ، 23–24).

كما جادل بأن النظرية التي حاول من خلالها فهم العالم يجب أن تتشكل من خلال كيف كان العالم فعلاً، وليس من خلال ما كان يأمل في أن يصبح. باختصار، جادل بأن العلاقات الدولية يجب أن تُفهم في إطار واقعي (العالم كما هو)، وليس إطارًا مثاليًا (كيف يأمل الباحثون أن يكون).

2-3-1 استقلالية علم السياسة الدولية:

اعتبر مورغنتاو أن السياسة هي مجال عمل مستقل بذاته، وهو ما يقول عنه أنه يجب فهمه في حد ذاته وبصرف النظر عن المجالات الأخرى مثل الاقتصاد وعلم الجمال. إن دراسة العلاقات الدولية هي في المقام الأول دراسة السياسة الدولية، ويجب أن تتم دراسة السياسة الدولية كجزء من دراسة السياسة الصحيحة. على الرغم من وجود موضوع مشترك للدراسة، فقد طرحت تخصصات مختلفة أسئلة مختلفة ذات أهمية مختلفة. يسأل الاقتصادي: "كيف تؤثر هذه السياسة على ثروة المجتمع، أو على جزء منه؟" يسأل المحامي: "هل هذه السياسة تتفق مع قواعد القانون؟"، يسأل الأخلاقي: "هل هذه السياسة تتوافق مع المبادئ الأخلاقية؟" ويسأل الواقعي السياسي: "كيف تؤثر هذه السياسة على قوة الأمة؟" (أو من الحكومة الفيدرالية، أو الكونغرس، أو الحزب، أو الثقافة الزراعية) (Gellman 1988, 251).

2-3-2 هدف مزدوج لطروحات مورغنتاو:

يقدم مورغنتاو في كتابه السياسة بين الأمم، نهج مزدوج لطروحاته حول السياسة الدولية، فمن خلال قراءة هذا الكتاب بشكل كامل متكامل، يمكن رؤية هذا النهج المزدوج، فقد عرض مورغنتاو في النصف الأول من الكتاب نظريته الواقعية التي تعتمد على تشخيص الواقع الدولي وأهمية توازن القوى للحفاظ على غرائز البشر العدوانية وابقائها تحت السيطرة، وفي النصف الآخر من الكتاب، هناك اهتمام بالمعايير الأخلاقية والرأي العام العالمي والمنظمة الدولية (الأمم المتحدة)، أي كيفية تطوير العلاقات الدولية. (Walker 1999, 3).

فقد أشار مورغنتاو في نهاية مقدمة طبعته الأولى عام 1948، إلى أنه يمكن الحفاظ على السلام من خلال طريقتين: الأولى، هي آلية التنظيم الذاتي للقوى الاجتماعية التي تتجلى في توازن القوى. والثانية، تتكون من قيود معيارية على الصراع من خلال القانون الدولي والأخلاق الدولية والرأي العام العالمي (Walker 1999, 3).

إن هذا النهج المزدوج الذي قدمه مورغنتاو في السياسة بين الأمم، يتطلب المزيد من التفسيرات وخاصة أن المهتمين والدارسين في حقل العلاقات الدولية يتجاهلون هذا النهج وخاصة القسم الثاني منه. فحتى طروحات مورغنتاو حول توازن القوى كانت تتطلب بعض "الأسس الفكرية والاخلاقة"، وهذا دليل على أن طروحات مورغنتاو احتوت على الأبعاد المعنوية من البداية.

عبر مورغنتاو عن رؤيته للواقع الدولي وديناميات من خلال ستة مبادئ وضعها بصورة شمولية أعطت اعتباراً لكل المؤثرات في الواقع الدولي من جوانب مادية ومعنوية، وصار يمكن تسميتها المبادئ الستة للواقعية.

يشار إلى التطور في فكر مورغنتاو ومواكبته للأحداث على الساحة الدولية من خلال الطبعة الثانية للسياسة بين الأمم عام 1953، والذي قام من خلالها بتطوير نظريته عن الواقعية لتشمل أكثر من مكون جديد، وخاصة أن هذه الطبعة تم صياغتها في ظل الحرب الكورية عام 1950، وهي التي دفعت بمورغنتاو إلى إعادة النظر بفائدة (الأمم المتحدة)، فلم يكن مورغنتاو يأمل بأن هذه المنظمة ستنجز الكثير، وخاصة بعد أن خاب أمله في الإنجازات الهزيلة التي حققتها عصبة الأمم في فترة ما بين الحربين (Keaney 2006, 39). ويتضح هنا أن مورغنتاو صار أقرب لتأييد الأمم المتحدة.

وقد اعترف مورغنتاو في مقدمة الطبعة الثانية بأن الطبعة الأولى من السياسة بين الأمم قد عرضت وجهة نظر متشائمة إلى حد ما حول إمكانات الأمم المتحدة ولكن هنا انتهز الفرصة لتوضيح أنه على الرغم من التشاؤم حول احتمال التغيير النابع من الفهم المثالي للعلاقات الدولية، إلا أن الواقعية احتوت على إمكانية التحول من عالم الدول إلى عالم المؤسسات فوق الوطنية طالما أن التحول قد تحقق على أساس المصالح الحقيقية للدول. وهكذا، مرة أخرى، يوضح منطق مورغنتاو إمكانات التقدمية والتحرير في الواقعية. أكد مورغنتاو أن هذه الطبعة الثانية ستأخذ في الاعتبار أكثر بكثير السياسة الداخلية، حتى إلى درجة تأكيد

"قاعدة دبلوماسية جديدة" تتعامل مع "العلاقة بين السياسة الخارجية والداخلية"، حيث قال بخصوص ذلك: "تأكيد الأثر البالغ الذي تخلقه السياسات الداخلية على السياسات الخارجية، من خلال إضافة فصلاً عن ماهية الحكم، كعنصر جديد في السلطان القومي اعترافاً بأهميته، مع الحديث عن الدور الجديد للدبلوماسية في علاقتها بين السياستين الداخلية والخارجية"(مورغنتاو 1964أ، 14–15).

وبهدف التعبير عن الطبيعة الدقيقة لفكره الواقعي، ضم مورغنتاو فصلاً تمهيديًا جديدًا يتحدث من خلاله عن المبادئ الأساسية للواقعية السياسية. ونظرًا لمركزية هذه المبادئ في طرح مورغنتاو الفكري، يستحق تحليلها ببعض التفصيل، لا سيما أنه من الممكن رؤية المدى الذي تنبأت به تصورات مورغنتاو في وقت لاحق، مما يوفر الأساس لتحوله السياسي (الظاهر) فيما بعد.

مبادئ مورغنتاو الستة (مورغنتاو 1964أ، 24–36):

1. "إن السياسة كالمجتمع بشكل عام تحكمها قوانين موضوعة لها جذورها في الطبيعة البشرية، وبالتالي فمن أجل إحداث تغيير أو إصلاح في المجتمع يفترض فهم واستيعاب هذه القوانين". ويستتبع ذلك ضرورة التمييز بين الحقيقة والرأي، بين ما هو موجود عقلانيا وموضوعيا تثبته حقائق وبراهين، بين ما هو حكم شخصي منفصل عن الواقع. ويفترض في أي محاولة لبناء نظرية سياسية دراسة التجارب التاريخية وتحليلها بشكل عقلاني لاستكشاف الأنماط المتكررة في السلوكية الدولية.
2. يعتبر مفهوم المصلحة أداة تحليل رئيسية في الواقعية السياسية لفهم السياسة الدولية. وتعرف المصلحة دائما بلغة القوة. وتعتبر المصلحة المحددة بالقوة كمفهوم يصلح لتحليل مختلف سياسات الدول في أوقات مختلفة، ويكرس هذا المفهوم السياسة الدولية كفرع مستقل عن الفروع الدراسية الأخرى. ويقول مورغنتاو بهذا الصدد "أن التاريخ يؤكد صحة هذا المفهوم". ويحذر بالتالي من الوقوع في خطأين أساسيين هما الاهتمام بالحوافز والاختيارات العقائدية. فهذان العاملان حسب مورغنتاو لا

يمكن أن يقدما مؤشرين للتنبؤ بالسياسة الخارجية. فالحوافز الجيدة مثلا لا تعني بالضرورة النجاح السياسي والجودة الأخلاقية للسياسة التي توحي بها. ويقول مورغنتاو "أن الواقعية السياسية تدرك جيدا أن الواقع السياسي مليء بالعوامل غير العقلانية والأحداث غير المتوقعة، التي تؤثر كلها في السياسات الخارجية للدول. ولكن الواقعية السياسية ككل نظرية اجتماعية مضطرة، بهدف تقديم بنيان نظري لشرح واستيعاب الظواهر السياسية، أن تركز على العوامل العقلانية في الواقع السياسي". فالواقعية السياسية حسب مورغنتاو تقدم البنيان النظري لسياسة خارجية عقلانية.

3. إن مفهوم المصلحة ليس ذا مضامين ثابتة وغير متغيرة على مدى الزمن، إنما فكرة المصلحة كجوهر للسياسة هي الدائمة عبر الزمان والمكان. ويستشهد مورغنتاو بما قاله ماكس فيبر في هذا الخصوص، وهو أن المصالح (المادية والمثالية) وليس الأفكار تسيطر مباشرة على أنشطة الناس، ولكن تتأثر المصلحة، التي تحدد النشاط أو السلوكية السياسية في فترة تاريخية معينة، بالإطار السياسي والثقافي الذي تصنع ضمنه تلك السياسة.
4. لا يمكن تطبيق المبادئ الأخلاقية العالمية بشكلها المجرد والعام على أنشطة الدول. فالدول إذن، تحكمها أخلاقية تختلف عن أخلاقية الفرد في علاقاته الشخصية، ولا يجوز الخلط بين الأخلاقيتين لأن ذلك حسب مورغنتاو قد يؤدي إلى كارثة على الدولة. ويعتبر مورغنتاو أن الحذر والمقارنة بين الانعكاسات المحتملة لخيارات سياسية سلوكية هو الفضيلة الأعلى في السياسة. وفي حين أن الأخلاق في المطلق تقوم العمل بمدى تلازمه مع القيم الأخلاقية، فإن الأخلاق السياسية تقوم أي عمل بنتائجه السياسية.
5. ترفض الواقعية السياسية اعتبار القيم الأخلاقية العالمية متطابقة مع قيم ومبادئ دولة معينة. فكل شيء نسبي ولا توجد قيم ومبادئ عالمية مطلقة، بالرغم من أن كل دولة قد تحاول أن تصور قيمها ومبادئها وأعمالها وكأنها تتطابق مع الأهداف والمبادئ الأخلاقية التي تفترض أن تحكم العالم.

6. تركز الواقعية السياسية على استقلالية المجال السياسي كمجال مختلف عن المجالات الأخرى. وقد وعت الواقعية وجود مقاييس أخرى غير سياسية إلا أنها تُخضع كل هذه المقاييس والاعتبارات للمقاييس والاعتبارات السياسية ويرى مورغنتاو بالتالي أن السياسة الدولية تقسم إلى ثلاث أنواع. فهي، إما تهدف للحفاظ على القوة أو لزيادة القوة أو لإظهار القوة. فالدولة إذن تنتهج سياسة الحفاظ على الوضع القائم أو سياسة توسع امبريالي أو سياسة تحقيق الهيبة.

في مقابل هذه المبادئ، طرح مورغنتاو في الفصول التي تتألف من الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه بحث عن الوسائل التي يمكن من خلالها صياغة السلام العالمي. فبعد الثناء الفاتر للحد من الأسلحة على هذا النحو، فإنه يحدد ما هو له الأساس الوحيد القابل لبقاء سلام دائم في عالم نووي: منظمة فوق وطنية. ومع ذلك، فإن مثل هذا "التحول" لا يمكن أن يبنى إلا على أعمدة مجتمع دولي أكثر اتساعًا ليس واضحًا تمامًا حتى الآن. والطريقة الوحيدة لبناء هذا المجتمع، كما هو ملاحظ، هي تطوير شبكات أوثق من التعاون بين الدول من خلال الدبلوماسية. لذا فهو ينتهي بالدبلوماسية (السلام من خلال الإقامة) كشيء يمكن أن يحقق السلام مباشرة في المدى القصير، لكنه السبيل الوحيد لصياغة شروط سلام دائم على المدى الطويل – مجتمع دولي قوي. مثل كار يبدأ مورغنتاو في السياسة بين الأمم بدعوة عاطفية ضد تجاوزات الرؤى الطوباوية وفائدة موارد القوة، لكنه "ينتهي بتعبير عن رغبة طوباوية في البحث عن أسس لسلام دائم. ويجب التذكر دائما عنوان الكتاب الفرعي الصراع من أجل القوة والسلام" (Gallarotti 2010, 154).

وفي التحليل النهائي، يحتضن مورغنتاو مثل كار، رؤية أخلاقية مستندة إلى فهم واقع العلاقات الدولية، فهو يجمع بين "الأخلاق المتعالية مع تقييم واقعي للظروف". إن الأخلاق المتعالية المرتبطة بالتقييم الواقعي هي مظهر حيوي للقيمة المعنوية للقوة، وفي النهاية هي شهادة على الطابع العالمي لرؤى مورغنتاو للقوة، ويبدو أنه بالنسبة لمورغنتاو فإن البحث عن الاستقرار والسلام مقنع أيضاً في القطبية الثنائية. ويصر

مورغنتاو في كتابه على حقيقة أن "الحرب كانت دائما مرفوضة كافة". ومن ثم، فإن التصرف المسبق (رفض الحرب) من أجل السلام يطغى حتى بين القوى العظمى في عالم ثنائي القطبية (Gallarotti 2010, 155).

2-4 الخلاصة:

جاء نشر الطبعة الأولى من السياسة بين الأمم عام 1948، في وقت انتقال تاريخي وفترة أزمة فكرية. لقد انتهت الحرب العالمية الثانية، وأدت الحرب الباردة الناشئة إلى إخماد الآمال في حقبة جديدة من السلام. استمر الجدل الواقعي المثالي في سنوات الحرب بلا هوادة مع انقسام العلماء حول ما إذا كان بإمكان الأمم المتحدة تحقيق السلام وتصحيح أخطاء عصبة الأمم الفاشلة. جادل المثاليون بأن الأمم المتحدة يجب أن تكون في قلب السياسة الخارجية الأمريكية. في المقابل جادل الواقعيون بتأييد السياسة الخارجية الأمريكية في المصلحة الوطنية والاعتماد على قوتها الوطنية لحماية هذه المصلحة. دخل هذا النزاع إلى مورغنتاو، الذي كان من المفترض أن يقدم كتابه نظرية واقعية جديدة تقضي على الحكمة التقليدية للسياسة الواقعية وتطبيقها على الأزمة الفكرية الحالية.

كما أن الأزمات الفكرية غالبا ما تنتج اختراقات فكرية. فقد عبّر مورغنتاو أفضل ما عبر عنه جيل من العلماء الواقعيين كادورد كار ورينهولد نيبور، حيث أنتج رؤى ذات صلة ليس فقط لوقته، بل في معظم الأوقات. بعد خمسين عاما ومع انتهاء الحرب الباردة، يقف العالم على حافة حقبة أخرى، ولا يزال كتابه ذا صلة، الأمر الذي يميز هذا الكتاب. ويمكن مما مضى، استخلاص أربع مساهمات قدمها لحقل العلاقات الدولية في السياسة بين الأمم، بقي أثرها قائماً، سواء في طرق التفكير في العلاقات الدولية، أو في الممارسة العملية للسياسة الدولية.

المساهمة الأولى هي إصرار مورغنتاو على أهمية الفصل بين الواقع والوقائع ومّا نطمح إلى تحقيقه. الكثير من هذا بالطبع مأخوذ من اداورد كار، الذي ذكر أن العلم الحقيقي يجب أن يأخذ في الاعتبار "ما هو" وليس التركيز فقط على "ما ينبغي أن يكون". فقد أراد مورغنتاو أن تركز نظريته على الواقع، وأراد فهمًا نظريًا لتشكيل السياسة وليس للمصالح السياسية لتحديد الفهم النظري.

المساهمة الثانية للسياسة بين الأمم هي فكرة أن أهم مساهمة للتحقيق (وبالتالي أحد أهم أغراضها) هي بناء النظرية. يخبر مورغنتاو أن هناك حاجة إلى نظرية (حقيقة)؛ ويخبر بعد ذلك بماذا ستكون النظرية (من حيث المبدأ) ثم يزودنا بنظرية كهذه والتي تمثلت بمبادئه الستة للواقعية.

الإسهام الثالث الذي يقدمه مورغنتاو، وأهم ما في الأمر، هو أنه قدم نموذجًا – النموذج الواقعي الذي أطاح بالنموذج المثالي، ووضع أسس علمية لدراسة حقل العلاقات الدولية، حيث قدم مورغنتاو من خلال هذا النموذج في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ومن خلال كتابه السياسة بين الأمم، طريقة للنظر إلى العالم. وقد تم اعتبار ما قدمه مورغنتاو نموذجاً لكيفية دراسة العلاقات الدولية أدى إلى تشتيت الأساس الفكري الذي أرساه سابقاً النموذج الليبرالي المثالي.

أما الإسهام الرابع والأخير للسياسة بين الأمم الذي له صلة خاصة بعصر ما بعد الحرب الباردة، له علاقة بخطر الانتماء إلى الروح الصليبية وضرورة الحذر منها (المقصود بالصليبية هنا القتال من أجل نشر مبادئ وأخلاق وقيم معينة). حيث أشار مورغنتاو في المبدأ الخامس للواقعية، بشكل لا لبس فيه: "إن الواقعية السياسية ترفض تحديد التطلعات الأخلاقية التي تحكم الكون بأمة معينة وقوانينها الأخلاقية ... كل الأمم محرضة – وقليلون من تمكنوا من مقاومة الإغراء لفترة طويلة – لتلميع تطلعاتهم وأعمالهم الخاصة في الأغراض الأخلاقية للكون".

فقد حذر مورغنتاو من خطر "الجنون الصليبي" الذي لا يحترم المصالح الحيوية للدول الأخرى (من السلامة الإقليمية والسيادة السياسية) وبالتالي يخاطر بمصالحه. واعترف مورغنتاو مثل كينان، بميل الدبلوماسية الأمريكية إلى أن تستثمر بروح صليبية نشر الديمقراطية ورؤيتها للخير (Vasquez 1999, 9).

إن إعطاء مورغنتاو كل الفضل لتثبيت النظرية الواقعية في حقل العلاقات الدولية كتقليد بحثي سائد ومهيمن، سيكون غير عادل لكثير من المفكرين الذين ساهموا في هذه العملية. ومع ذلك، فمن دون مورغنتاو، ربما كانت الواقعية تفتقر إلى التوجه النظري كما كانت عليه المثالية.

فلا عجب إذن أنه كلما كان هناك نقاش حول الواقعية في العلاقات الدولية، يتم الإشارة إلى مورغنتاو بشكل حتمي. ومن الواضح أن مورغنتاو ليس المؤلف الواقعي الوحيد، إلا أنه كان أول من طور نموذجًا واقعيًا، حيث تمثل نظرية مورغنتاو نظرية عامة أو كلية في العلاقات الدولية. ولا ينبغي أن ننسى أن مورغنتاو كتب كتابًا كان له تركيز نظري واضح. أثبت من خلاله أن دراسة العلاقات الدولية يمكن أن تكون منهجية. إذن، فإن إسهام مورغنتاو الروحي يكمن في حقيقة أنه قدم الانتقال الضروري من المثالية إلى الدراسة النظامية العلمية للعلاقات الدولية.

وتمثل طروحاته حول القوة هي الأكثر شهرة في حقل العلاقات الدولية، وتمتاز هذه الطروحات بالشمول والعمق، ولكن كما أوضحت المقدمة أنه قد أسيء فهم مورغنتاو من قبل كثير من الباحثين، وسيتم توضيح هذه الطروحات بالتفصيل في الفصل التالي، والذي حمل عنوان مفهوم القوة عند مورغنتاو.

3 مفهوم القوة عند هانز مورغنتاو

كما اتضح من عرض الدراسات السابقة، لا يزال مفهوم القوة عند مورغنتاو موضع خلاف كبير في حقل العلاقات الدولية، حيث أنه غالباً ما يساء فهمه. ومن أهم أسباب ذلك اعتقاد البعض أن الواقعيين بشكل عام يركزون بشكل كبير على القوة القسرية المتمثلة بالقوة العسكرية، وانسحب هذا الاعتقاد على طروحات مورغنتاو في رؤيته لمفهوم القوة في حقل العلاقات الدولية.

يقدم هذا الفصل مراجعة لفكر مورغنتاو وتطوره النسبي، وتحديداً الجوانب التي تخص مفهوم القوة بهدف الوصول إلى فهم متكامل لرؤية مورغنتاو للقوة، دون انتقائية ودون خلط مع طروحات المدرسة المنظرين الواقعيين الآخرين، وذلك من خلال الأقسام التالية: دور الطبيعة البشرية في رؤية مورغنتاو للقوة. تعريف القوة ورؤيته المزدوجة للقوة الإمبريقية القائمة على السيطرة والقسر للحفاظ على الهيمنة، والقوة المعيارية القائمة على تحقيق المصلحة الذاتية مع السعي لمصلحة عامة للعالم، الهدف من القوة وسياسات الحفاظ عليها وخاصة سياسة المكانة (الهيبة)، مصادر ومقومات القوة المادية والمعنوية، وسائل استخدام القوة، وأخيراً موقف مورغنتاو من الحرب على فيتنام وأسباب رفضه لها.

3-1 القوة والطبيعة البشرية عند مورغنتاو:

يقوم مورغنتاو لتوضيح العلاقة بين القوة والطبيعة البشرية، بطرح فكرة أن البشر يتم تعريفهم من خلال رغباتهم الأساسية، وهي "الدافع للحياة والسعي إلى البقاء على قيد الحياة، وإثبات الذات من خلال التفاعل مع الآخرين" (Morgenthau 1946, 153). من خلال هذا الاقتباس، يمكننا استخلاص رؤية مورغنتاو عن المحركين الأساسيين للطبيعة البشرية: الدافع إلى حفظ الذات والسعي لإثبات الذات.

فقد كان مورغنتاو يرى في السعي وراء القوة محرك الإنسان الأساسي للسيطرة على الآخرين، وكان أحد الافتراضات الأساسية لمورغنتاو حول الطبيعة البشرية هو أن جميع الرجال يحملون "شهوة قوية للقوة".

ووفقاً لمورغنتاو، فإن "الإنسان حيوان سياسي بطبيعته" الذي "ولد ليطلب القوة" (Morgenthau 1946, 165).

تمحور جدال مورغنتاو في هذا الخصوص حول، أنه في حين يولد جميع الرجال للحصول على القوة، ولكنه يضطر أحياناً للخضوع: "ولد الإنسان ليطلب القوة، لكن حالته الفعلية تجعله عبداً لقوة الآخرين، يولد الإنسان عبداً، ولكنه في كل مكان يريد أن يكون سيداً" (Morgenthau 1946, 168). وبهذا يجد معظم الناس أنفسهم "عبيدا لقوة الآخرين". وعزا الرغبة العالمية في القوة إلى محركين بشريين متميزين. الأول، متجذر في الرغبة في البقاء لتأمين الاحتياجات الحيوية مثل الطعام والمأوى والجنس، ولكن المشكلة هنا هي المنافسة والندرة: "ما يريده الشخص لنفسه يريد الآخرون امتلاكه أيضًا". وبالتالي، يظهر "الصراع والمنافسة". والدافع الثاني والأكثر شيطانية، هو ما وصفه مورغنتاو بـ "العقيدة المسيطرة"، الرغبة في الهيمنة. وعلى عكس الرغبة الأولى فإن الرغبة الثانية للقوة لا ترتبط بالبقاء على قيد الحياة فحسب، بل بمركز الفرد بالنسبة للآخرين. كان مورغنتاو يفترض أنه بينما كانت هناك حدود للأنانية الجسدية للإنسان، فإن الرغبة في القوة كانت بلا حدود (Solomon 2012, 208). والذي يمكن ربطه بتأثير أفكار نيتشه على مورغنتاو والتي لها علاقة بإرادة القوة وأن الإنسان لا يسعى للحياة فقط بل أن الحياة هي من أجل السعي للقوة.

وكتب مورغنتاو قائلاً: "في حين أن الحاجات الحيوية للإنسان قادرة على الارتياح، فإن شهوته للسلطة لن تكون مرضية إلا إذا أصبح الرجل الأخير هدفاً لهيمنته، حيث لا يوجد أحد فوقه أو بجواره" (Morgenthau 1946, 193).

ينقل مورغنتاو الافتراض المتصل بشهوة الإنسان المتأصلة للقوة لوصف سلوك الدول، وبسبب "انتشار الصراع من أجل القوة في جميع العلاقات الاجتماعية على جميع مستويات التنظيم الاجتماعي"، خلص مورغنتاو إلى أن "السياسة الدولية هي سياسة القوة".

3-2 تعريف القوة:

يؤكد مورغنتاو على أهمية مفهوم القوة في حقل الدراسات الدولية، من خلال قوله: "لا ريب في أن قدرة أي مفهوم من مفاهيم علم السياسة على إيضاح الحد الأعلى من الظواهر الطبيعية تعتبر عادةً ذات صلة بمجال معين من مجالات النشاط السياسي هي التي تؤلف قيمة هذا المفهوم. وهكذا فإن دراسة أي مفهوم من مفاهيم السلطان السياسي، لتفهم السياسات الدولية يجب أن تكون أكثر شمولاً من الدراسة التي تجري لأي مفهوم يتناول عمل السياسات المحلية". (مورغنتاو 1964أ، 53).

تأثر مورغنتاو بمن سبقوه وعاصروه من المفكرين والمنظرين الذي تناولوا مفهوم القوة، ولذلك مثلت القوة بالنسبة لمورغنتاو، حالة نفسية المنشأ استندت إلى العلاقات البينية، إذ لا يمكن الحصول عليها من خلال مراكمة المال أو الأسلحة فقط، بل بالإضافة إلى التفاعلات بين البشر القائمة على المصالح المشتركة، وقد ناقش هذا في كتاباته الأوروبية وانعكست هذه الأفكار ضمن طروحاته في السياسة بين الأمم، عند نقاشه موارد القوة المعنوية وقواعد استخدام القوة.

ميز مورغنتاو بدقة فائقة بين مفهومين للقوة مفهوم إمبريقي ومفهوم معياري: الأول، يقوم على تشخيص واقع القوة (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية) حيث السعي للحفاظ على الذات وإلى الهمينة يجعل القوة هدفاً بذاتها بالاعتماد على مكونات القوة المادية. الثاني، مفهوم معياري (normative) يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم بناءً على معايير وأهداف وغايات أخلاقية إنسانية بالاعتماد على الجوانب المعنوية.

3-2-1 المفهوم الإمبريقي للقوة:

جادل مورغنتاو بأن القوة التي تم أخذها من خلال الدافع لإثبات الذات، كانت في الغالب قابلة للتتبع في شكل العداء، "الرغبة في القوة"، والتي تعني حرفيا شهوة الهيمنة والسيطرة بين الناس. بالنسبة لمورغنتاو، كان

الدافع لإثبات الذات هو أن يستنفذ الإنسان نفسه في شكل الرغبة في القوة. ويكشف استخدام مورغنتاو لهذه المصطلحات أن هذا المفهوم الإمبريقي للقوة يعتمد على أفكار نيتشه عن "إرادة القوة"، وتعريف ماكس فيبر للقوة (Behr and Rösch 2012, 54).

فقد عرف فيبر القوة على أنها "الإ مكانية الموجودة داخل علاقة اجتماعية تسمح للشخص بأن يحقق أهدافه حتى ضد المعارضة، وبغض النظر عن الأساس الذي تستند إليه هذه الإمكانية" (حبش 2007، 37). في الواقع ، في السياسة بين الأمم يوجد تعريفاً مشابهاً حيث اعتبر مورغنتاو أن القوة هي: "علاقة نفسية بين الذين يمارسونها وبين الذين تمارس عليهم فهي تمنح الطرف الأول سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم، وقد يمارس هذا النفوذ عن طريق الأمر أو التهديد أو الإقناع أو مزيج من أي اثنين، ومهما كانت الأهداف المادية لأي سياسة خارجية كالحصول على موارد المواد الأولية أو السيطرة على الطرق البحرية أو التبادلات الإقليمية فإنها تنطوي دائما على السيطرة على أعمال الآخرين عن طريق التأثير في عقولهم" (مورغنتاو 1964، 56). ويعبر مورغنتاو عن القوة بطريقة أخرى من خلال اعتبار أن "(أ) من الناس يمارس أو يرغب في أن يمارس سلطانه السياسي على (ب)، فإن هذا يعني أن (أ) قادر أو يريد أن يكون قادراً على السيطرة على بعض ما يقوم به (ب) من اعمال عن طريق التأثير في عقله وتفكيره" (مورغنتاو 1964أ، 56).

كما أنه وبالنظر للطبيعة البشرية، فإن التطلع إلى القوة، بمعنى شهوة الهيمنة، يتطلب إما الحفاظ عليها او زيادتها، وفي نهاية المطاف إظهارها. أدى هذا التطابق الفكري لمورغنتاو مع فيبر في فهم القوة الإمبريقية، بالعديد من علماء العلاقات الدولية للتعليق على مورغنتاو واعتباره كمدافع عن سياسات القوة، إضافة إلى طروحات موغنتاو على أن السياسة الدولية هي سياسة القوة (Behr and Rösch 2012, 56). بعد حوالي 15 سنة من نشره كتاب "مفهوم السياسة ونظرية النزاعات الدولية" باللغة الفرنسية عام

1933، استخدم مورغنتاو نفس الخطوط العريضة في السياسة بين الأمم مشيرا إلى أن "كل السياسة ... تكشف عن ثلاثة أنماط أساسية ... إما للحفاظ على القوة، أو لزيادة القوة، أو لإظهار القوة"، والتي سيتم الحديث عنها لاحقاً.

3-2-2 المفهوم المعياري للقوة:

كان مورغنتاو في الأحوال العادية، يطمح إلى نوع مختلف من القوة أكثر من المفهوم الإمبريقي الذي ساد في العالم الأيديولوجي في أوائل القرن العشرين ومنتصفه. وكان هذا من خلال قوله: "القول بأن العمل السياسي ليس له غرض أخلاقي هو أمر سخيف" حيث أن "العمل السياسي يمكن تعريفه على أنه محاولة لتحقيق القيم الأخلاقية من خلال الوسط السياسي، أي القوة" (Morgenthau1962,110).

والقوة المعيارية هنا هي شكل القوة الذي كان يجب أن يكون العامل المحدد في السياسة، والذي لا يتميز بالهيمنة؛ بالأحرى يتم تمكين الناس للعمل معا من خلال التوافق على مصالحهم من أجل تقرير مصيرهم بدل المواجهة القائمة على القسر والإجبار. وقد انعكس هذا المفهوم في طروحات مورغنتاو في السياسة بين الأمم عند مناقشته لمقومات القوة المعنوية.

ويشار ان رؤية مورغنتاو لمفهوم القوة المعيارية كان نتيجة تأثره بصديقته حنا ارنت، "فإننا لا ندعي أن مورغنتاو ربما يكون قد نسخ مفهوم أرنت، أو العكس، ولكن بالأحرى كما يشير مصطلح "شراكة تفكير"، فإن كلاهما تبنى فهم مماثل للقوة" (Behr and Rösch 2012, 62). فبالنسبة لأرنت القوة هي: "ليست ملكاً للفرد، فالقوة تعود للجماعة وتبنى في الوجود طالما أن الجماعة تبقى معاً، فعند القول أن أحداً يملك القوة فإنه يستمدها من قِبل جماعة من الناس الذين يعمل معهم، وفي اللحظة التي تختفي فيها هذه الجماعة والتي هي مصدر القوة فإن قوته تختفي أيضاً".

باختصار، في حين أن القوة الإمبريقية هي في نهاية المطاف مفهوم سلبي، تقوم على السيطرة من خلال الإجبار والإخضاع، حقق مورغنتاو مع المفهوم المعياري تعريف إيجابي للقوة. وفي هذه الحالة يمثل مفهوم القوة السلبي أنه في حالة عدم الإمتثال سيتم اتباع العقوبة، بينما المفهوم الإيجابي للقوة يستند إلى فكرة المكافآت في حالة الإمتثال. وبهذا كان مفهوم مورغنتاو للقوة الإمبريقية على أنها السيطرة على أفعال الاخرين، في حين أن القوة المعيارية تنطوي على نية العمل الجماعي للمساهمة في خلق عالم أفضل.

ولعله يمكن الافتراض أن مورغنتاو تأثر بطروحات ماكس فيبر في النظرة لطبيعة وبواعث التعامل مع القوة، بينما تأثر بحنا أرنت، أو بتفاعله معها، في تحديده حلولاً لصراع القوة، وبحثه عن السلام وعن بعد أخلاقي للسياسة.

ولهذا تنطوي القوة عند هانز مورغنتاو أو كما يسميها (السلطان Power) على "أي شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان ويضمن الحفاظ عليها، ويكون بذلك شاملا لكافة العلاقات الاجتماعية التي تهدف الى تلك الغاية ابتداء من العنف البدني وانتهاء بأكثر الروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر بدقة ودهاء" (مورغنتاو 1964أ، 31).

وبذلك تشمل القوة كل أشكال السيطرة من إنسان على آخر، سواء كان هذا الإنسان منضبطا بالغايات الأخلاقية وواقعا تحت إشراف الكوابح الدستورية كما في الديمقراطيات الغربية، أو كان واقعا تحت سيطرة تلك القوة البربرية التي لا كابح لها ولا زاجر، والتي تستمد قوانينها من قوتها نفسها ومن مبرراتها الذاتية لتمجيد نفسها (مورغنتاو 1964أ، 31).

ويميز مورغنتاو بين مفهوم القوة والقوة من ناحية ممارستها الفعلية للعنف، فلا ريب أن التهديد باستخدام العنف البدني في شكل عمل بوليسي أو سجن أو عقوبة بالموت أو الحرب يعتبر عنصرا كامنا في السياسة، وعندما يتحول العنف إلى واقع يرمز تحوله إلى التخلي عن السلطان السياسي في خدمة السلطان

العسكري وشبه العسكري، وتكون القوة المسلحة كتهديد أو كاحتمال بالتهديد العامل المادي الأكثر أهمية في السياسة الدولية، وذلك في خلق السلطان السياسي للدولة، واذا ما تحول التهديد إلى واقع مما يعني الحرب، فإنه يستبدل القوة السياسية بالعسكرية، وتحل الممارسة الفعلية والعنف البدني محل العلاقة النفسية بين الجسدين ويكون أحدهما من القوة بحيث يستطيع السيطرة على حركات الآخر، ولهذا السبب وحده يضيع العنصر النفسي للعلاقة السياسية في عمليات العنف المادي (مورغنتاو 1964أ، 55).

3-3 القوة هدفاً:

وتقوم فكرة مورغنتاو الرئيسية على أن الصراع من أجل القوة هو ظاهرة شاملة زمانا ومكانا، وقد أقامت التجربة الدليل على صحة وجودها كحقيقة، وليس ثمة من يستطيع الإنكار بأن جميع الدول على اختلاف أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قد التقت في جميع الأزمنة والأماكن على الصراع من أجل القوة (مورغنتاو 1964أ، 60)، أي أن القوة هدف بحد ذاتها.

طرح مورغنتاو أن القوة هي الهدف بحد ذاته، بقوله: "ليست السياسة الدولية كغيرها من السياسات إلا صراعاً على السلطان، فالسلطان هو هدفها الآلي والفوري" (مورغنتاو 1964أ، 53)، وقد بنى ذلك التصور من خلال أن الصراع من أجل القوة على المستوى الدولي، هو إلى حد كبير نتيجة للهيمنة الغالبة؛ في رغبة الرجل السياسي في السيطرة على الآخرين، فقد أخذ مورغنتاو هذا التصور من تأثره بأفكار نيتشه حول إرادة القوة (Petersen 1999, 103).

جدد مورغنتاو آرائه بشأن الهدف من القوة واعتبر أن القوة هي وسيلة الأمة وغايتها بنفس الوقت، حيث "يسعى رجال الدولة والشعوب إلى تحقيق الحرية أو الأمن أو الازدهار أو القوة نفسها"، ويتم ذلك من خلال سعيهم لتحقيق أهدافهم عن طريق السياسة الدولية، فإنهم يفعلون ذلك بالسعي من أجل القوة لتنفيذ تلك الأهداف (Morgenthau1985,31).

3-3-1 سياسات القوة:

وفقا لمورغنتاو، يسعى كل عمل سياسي للحفاظ على القوة، أو لزيادة القوة، أو لإظهار القوة. تتطابق هذه الأنماط الثلاثة، برأيه، مع ثلاث سياسات على المستوى الدولي: الوضع الراهن، والإمبريالية، والهيبة. تميل سياسة الحفاظ على الوضع الراهن إلى الاحتفاظ بالسلطة بدلاً من تغيير توزيع القوة لصالحها. تسعى سياسة الإمبريالية إلى الحصول على مزيد من القوة عن طريق أحداث تبدل في علاقات القوة القائمة، أي التي تهدف سياستها الخارجية في فرض أوضاع جديدة. وتسعى سياسة الهيبة إلى إظهار القوة، بغرض الحفاظ عليها أو زيادتها. يؤكد مورغنتاو على أن القوة الديناميكية التي تصوغ العلاقات الدولية موجودة في الدول ويتجلى الدافع إلى القوة في واحدة من السياسات الأساسية الثلاث. ويعتقد مورغنتاو أنّه على الصعيد الدولي، من الطبيعي أن تتبع كل دولة مصلحتها القومية. ويجب أن تكون المصلحة الوطنية هي الدليل الوحيد للسياسة الخارجية، فأي سياسة خارجية قائمة على أي معيار آخر غير المصلحة ستواجه الفشل حتمًا (مورغنتاو 1964أ، 68-69).

3-3-2 المصلحة الوطنية:

يطرح مورغنتاو أن الدولة القومية نفسها هي نتاج للتاريخ، ومن المقدر لها أن تسفر في الوقت المناسب عن أنماط مختلفة من التنظيم السياسي. وطالما أن العالم منظم سياسياً في الأمم، فإن المصلحة الوطنية هي في الحقيقة الكلمة الأخيرة في السياسة العالمية (Morgenthau 1952, 972).

ويعتقد مورغنتاو أن مفهوم المصلحة الوطنية له عنصران: "واحدا مطلوبا منطقياً وبهذا المعنى ضروري، وواحدا متغيرا ومتحددا حسب الظروف"، إن بقاء وأمن الأمة هما عنصران ضروريان، الذي لا يمكن اختزاله، ويمكن تحديد هذا العنصر الضروري للمصلحة الوطنية بشكل ملموس، بأنه "يشمل سلامة أراضي الدولة، ومؤسساتها السياسية، وثقافتها". أما العنصر المتغير للمصلحة الوطنية فإمكانية تحديده أقل،

لأن "كل التيارات المتقاطعة للشخصيات والرأي العام والمصالح القطاعية والسياسات الحزبية يرون المصلحة الوطنية بناءً على تصوراتهم الخاصة"، كما يرى مورغنتاو أن مفهوم المصلحة الوطنية لا يخلو من "الكرامة الأخلاقية" (Morgenthau 1952, 973). ولهذا فإن المصلحة الوطنية تثير الولاءات العميقة فقط إذا كانت تمثل المعنى والقيم والصورة الذاتية لشعب ما. وبالتالي يتم تخريب المصلحة الوطنية كلما كانت أفعال الأمة وقادتها تدمر هذه القيمة (Shinn 1977, 102).

3-3-3 سياسة المكانة (الهيبة):

في نظرية العلاقات الدولية، كان بناء الصورة الوطنية لفترة طويلة جزءاً لا يتجزأ من السياسة الخارجية، وقد تلقى الموضوع اهتماماً كبيراً، وإن لم يكن منهجياً، من جانب منظري العلاقات الدولية. ووفقا لمورغنتاو، فإن السعي وراء الشرف والهيبة هو عنصر جوهري من العلاقات بين الدول، كما هو الحال في العلاقات بين الأفراد (Morgenthau1985,69). واحدا من ثلاثة أنواع من السياسة الخارجية التي حددها هانس ج. مورغنتاو هي سياسة المكانة (الهيبة)، وتعمل سياسة الهيبة على "إثارة إعجاب الأمم الأخرى مع امتلاك دولة السلطة ذاتها، أو مع القوة التي تؤمن بها، أو الرغبة في دفع الدول للاعتقاد، أنه يمتلك القدرة على تنفيذ ما يريد" (Morgenthau1985,70). وبهذا ترتبط هذه السياسة بالقوة المعيارية الإيجابية ارتباطًا جوهريًا بما يطلق عليه مورغنتاو "سياسة المكانة أو الهيبة"، والتي يراها أساسا تنطبق على الدبلوماسية الدولية (Kunz 2010, 205).

3-4 عناصر ومقومات القوة:

يعتقد الكثير من الدارسين والباحثين في حقل العلاقات الدولية أن النظرية الواقعية، وخاصة طروحات مورغنتاو تركز على مقومات ومصادر القوة المادية وبالذات القوة العسكرية، وأنها لا تركز على الجوانب المعنوية، كما جاء في مقدمة البحث. ولكن بالنسبة لمورغنتاو حسب قوله: "تمثل القدرات العسكرية جانب

مهـم مـن القـوة، إلا أن الأهـم مـن ذلـك هـو شخصـية الأمـة ومعنوياتهـا ونوعيـة الحكـم فيهـا" (Morgenthau1985,186). ولـذا سـيتم فـي هـذا القسـم عـرض مقومـات القـوة الماديـة والمعنويـة لـدى مورغنتاو، ولكن مع تركيز التحليل على الجوانب المعنوية من القوة.

يميز هانز مورغنتاو بين مجموعتين من مكونات ومصادر القوة، المجموعة الأولى المكونات المستقرة نسبياً أو المكونات المادية، والتي تضم الجغرافيا، والموارد الطبيعية، والطاقة الصناعية، والاستعداد العسكري. أما عنصر السكان فقد اعتبره مورغنتاو العنصر أو المكون الفاصل بين المجموعتين؛ لأن المجموعة الأولى تجمع بين الناحيتين المادية والبشرية، في حين أن المجموعة الثانية تقوم على العوامل البشرية المجردة. والمجموعة الثانية فهي المكونات التي تخضع للتغير المستمر أو المصادر المعنوية والتي تضم الشخصية القومية والمعنوية القومية ونوعية الدبلوماسية ونوعية الحكم.

3-4-1 المصادر والمكونات المستقرة نسبياً – المصادر المادية بحسب مورغنتاو:

- الجغرافيا: تعد الجغرافيا من أكثر العوامل استقرارا في بناء قوة اي أمة، وحسب تعبير مورغنتاو أنه من المسلم به اليوم أن أهمية هذا العامل لم تعد كما كانت عليه، ومن الخطأ الافتراض بأن التطور التقني لوسائل النقل والمواصلات والحرب قد أزال من الوجود عامل المحيطات العازلة، فهذا العامل اليوم أقل أهمية مما كان عليه قبل خمسين أو مائة عام، إلا أنه من ناحية القوة فهو يشكل عامل قوة، على سبيل المثال تتمتع الولايات المتحدة بهذا العامل بحكم المحيطات التي تفصل بينها وبين القارتين الآسيوية والأوروبية (مورغنتاو 1964أ، 161).

وبرأيه تشكل السيطرة على الأراضي مصدراً دائماً من مصادر القوة العظمى التي أحبطت حتى الآن جميع المحاولات لوقوع غزو عسكري من الخارج، وينطبق هذا على الحملات التي قام بها نابليون وهتلر في روسيا والتي كانت فاشلة وأدت الى هلاكهما، فقد جعلت الجغرافيا من احتلال الأراضي الروسية عبئا على

نـابليون وهتلـر لا مكسـبا، وبـدلا مـن أن يقـوم الفـاتح بـابتلاع الأرض واكتسـاب القـوة منهـا، ابتلعتـه الأرض وامتصت قوته (مورغنتاو 1964أ، 163).

- الموارد الطبيعية: الغذاء والموارد الأولية

فيما يخص الغذاء فقد اعتبر مورغنتاو أن البلاد ذات الاكتفاء الذاتي أو ما يشبه الاكتفاء الذاتي، متفوقة بشكل كبير على الدول التي لا تمتلك هذا الاكتفاء والتي يجب أن تكون قادرة على استيراد المواد الغذائية التي لا تنتجها، فقد شكل النقص في إنتاج الغذاء محليا مصدرا دائما من مصادر الضعف في بريطانيا العظمى وألمانيا، أما البلاد التي تتمتع بالاكتفاء الذاتي كالولايات المتحدة وروسيا، فلا تحتاج إلى تحويل الكثير من طاقاتها القومية وسياساتها الخارجية عن أهدافها الأولية للتأكد من أن شعوبها لن تتضور جوعا في الحرب. إن الافتقار الدائم للغذاء يعد مصدرا من مصادر الضعف الدائم في السياسة الخارجية، ولا ريب في أن هذا الافتقار يفرض على الدول مهما كانت مصادرها الأخرى لقوتها القومية متابعة سياستها الخارجية من منطلق الضعف (مورغنتاو 1964أ، 164-165).

أما الموارد الأولية فقد عدها مورغنتاو ذات أهمية كبيرة في الإنتاج الصناعي وفي شن الحروب بوجه خاص، وتعتمد الأهمية المطلقة والنسبية للموارد الطبيعية التي تتخذ شكل المواد الأولية على قوة الدولة بناء على تقنية الحرب. كما أن تطور الحرب الذي سار بسرعة فائقة منذ الثورة الصناعية، أدى إلى أن تصبح القوة القومية أكثر اعتمادا على السيطرة على الموارد الأولية في أوقات السلم والحرب. فقد دفع وجود مخزونات ضخمة من النفط في الجزيرة العربية، في أن يجعل من السيطرة على هذه المخزونات عاملا مهما في توزيع القوة على اعتبار أن من يستطيع إضافتها إلى ما لديه من مصادر أخرى للمواد الخام يعزز بها قوته ويحرم منافسيه من الحصول عليها. فقد كان هذا السبب هو الذي دفع بريطانيا العظمى والولايات

المتحدة وفرنسا إلى إقامة مناطق نفوذ تمكنها من الوصول إلى تلك المخزونات (مورغنتاو 1964أ، 167-168).

- الطاقة الصناعية:

دفعت تقنية الحرب العصرية وتطور المواصلات إلى تطوير الصناعات الثقيلة التي أصبحت عنصرا لا غنى عنه في القوة القومية، فلا ريب في أن شكل المؤسسات الصناعية ومدى طاقاتها الإنتاجية وخبرة عمالها ومهارة مهندسيها وحسن إدارتها أصبحت كلها عوامل تعتمد عليها طاقة الأمة الصناعية وقوتها في الشؤون الدولية (مورغنتاو 1964أ، 171).

- الاستعداد العسكري:

إن الاستعداد العسكري هو الذي يضفي على عوامل الجغرافيا والموارد الطبيعية والطاقة الصناعية الأهمية الفعلية في عملية بناء قوة الدولة، فالإعداد العسكري يتطلب جهازا عسكريا قادرا على دعم السياسة الخارجية المتبعة، وتعتمد هذه القدرة على عدة عوامل كالتقنية والقيادة وكم القوات المسلحة وكيفها (مورغنتاو 1964أ، 173).

تقرر تقنية الحرب كثيرا مصير الأمم والحضارات، فقد فرضت أوروبا طيلة فترة توسعها من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر قوتها عن طريق تقنية الحرب التي جعلتها متفوقة على النصف الغربي من العالم، وعلى أفريقيا والشرقين الأدنى والأقصى، كما شهد القرن العشرين أربعة ابتكارات أساسية في الحرب وأساليبها التقنية، وأضفت هذه الابتكارات ميزة لجانب من يستخدمها أولا. وهذه الابتكارات هي: الغواصة، والدبابة، والتنسيق، والتعاون التعبوي بين القوات الجوية والبحرية والبرية، وأخيرا القنبلة الذرية (مورغنتاو 1964أ، 173-175).

كما تلعب نوعية القيادة دائما دورا حاسما في القوة العسكرية يضاف إلى استخدام الابتكارات التقنية في موعدها الصحيح، فقد كانت قوة بروسيا في القرن الثامن عشر انعكاسا للعبقرية العسكرية التي امتاز بها فريدريك الأكبر وللابتكارات التي أدخلها على قواته المسلحة (مورغنتاو 1964أ، 175).

وتعتمد قوة أي دولة على الصعيد العسكري على عدد ما لديها من قوات وأسلحة وتوزيع هذه القوات والأسلحة على مختلف فروع الجهاز العسكري، ويتحتم على الدولة ان يكون لديها جهاز عسكري كبير صالح لأداء المهام التي قد توكل إليه (مورغنتاو 1964أ، 176).

- السكان: وهو العامل أو العنصر الفاصل بين العناصر المادية والعناصر المعنوية، ويعتمد على توزيع السكان واتجاهاتهم.

يعتبر مورغنتاو أنه ليس من الصحيح القول بأنه كلما ازداد عدد السكان في الدولة ازدادت وتضخمت قوتها، إلا أنه يمكن القول بأن أي دولة لا يمكن أن تظل بين دول الدرجة الأولى من حيث القوة إن لم يكن عدد سكانها يحتل رقما بين الأرقام الأولى لسكان العالم. فدون هذا العدد الكبير من السكان يستحيل قيام صناعات ضخمة. كما أن النسبية العددية لسكان الدول المتنافسة، ولا سيما المعدل النسبي لزيادتهم يستحقان الاهتمام، فالدولة التي يقل عدد سكانها عن دولة أخرى تنافسها لا بد وأن تصاب بفزع إذا هبطت نسبة الزيادة عندها وارتفعت عند منافسيها (مورغنتاو 1964أ، 178–179).

كما أن اتجاهات تزايد السكان تلعب دورا بمنتهى الأهمية، فتوزيع السكان على حساب السن يُعد عنصراً مهماً من عناصر حسابات القوة، فالدولة التي يكون متوسط السن لديها يميل الى وجود الحد الأعلى من السكان في الأعمار المناسبة للخدمة العسكرية، أي ما بين 20–40 عاما، لابد وأن تكون متفوقة على الدولة التي ترتفع فيها نسبة كبار السن (مورغنتاو 1964أ، 181–183).

3-4-2 المصادر والمكونات المتغيرة – المصادر المعنوية بحسب مورغنتاو:

- الشخصية القومية:

يرى مورغنتاو أن وجود شخصية قومية في الدولة تقوم على خصائص معينة لها قيمة أكبر من الدول التي لا تمتلك هذه الشخصية، وتتميز خصائص الشخصيات القومية الدول عن بعضها، فالتي تتميز بالمرونة والاستعداد للتقبل والتبدل، تكون أكثر سرعة من غيرها في تقبل المتغيرات العالمية (مورغنتاو 1964أ، 184).

إذ تُؤثر الشخصية القومية على القوة القومية، فالرجال الذين يمثلون الأمة في السلم والحرب،ويضعون لها سياساتها وينفذونها ويدعمونها، هم الذين يَنتخبون ويُنتخبون وينتجون ويستهلكون هم في الواقع الذين يحملون إلى حد ما أثر المزايا الفكرية التي تؤلف الشخصية القومية، فإن ما يمتاز به الروس من قوة أولية وإصرار، وما يمتاز به الأمريكان من مبادرة فردية وقدرة على الإبداع، والألمان وتميزهم بالانضباط وطاعة النظام هي بعض الخصائص التي تعرض نفسها إما خيرا وإما شرا في جميع النشاطات الفردية والجماعية، وعلى المراقب للأوضاع الدولية والذي يحاول تقويم القوة النسبية للأمم المختلفة أن يأخذ الشخصية القومية بحسبانه، لأن هذا العامل غير ملموس وتقويمه يصعب كثيرا (مورغنتاو 1964أ، 189-191).

تُعتبر الشخصية القومية حسب مورغنتاو عنصراً هاماً من عناصر القوة الوطنية وترتبط بالمفهوم الأنثروبولوجي "للنمط الثقافي"، الذي يعبر عن الرأي القائل بأن "بعض صفات الفكر والشخصية تحدث بشكل أكثر تكرارًا وأكثر قيمة في أمة واحدة من بلد آخر" (Morgenthau1985,146-147). بالنسبة لمورغنتاو، فالعوامل البشرية ذات الطبيعة النوعية التي لها تأثير على القوة الوطنية، والشخصية الوطنية، والمعنويات القومية تبرز على حد سواء من خلال ديمومتها. وشدد مورغنتاو على أهمية "الشخصية القومية" من خلال

الإشارة إلى أن "الشخصية القومية لا يمكن أن تفشل في التأثير على السلطة الوطنية". أعطى مورغنتاو بعض الأمثلة عن كيفية تأثير "النمط الثقافي"، سواء كان جيدًا أو سيئًا، على قوة الأمة: فإن القوة الأولية واستمرار الروس، والمبادرة الفردية والابتكار للأميركيين، وانضباط وشمولية الألمان هي بعض الصفات التي ستظهر نفسها (Morgenthau1985,151). كل هذه "الأنماط الثقافية" تساعد في تهيئة الأمة نحو تأسيس تصورها للذات، وكذلك خلق صورة متماسكة في عيون الدول الأخرى، فضلاً عن توحيد نهجها في السعي لتحقيق أهداف سياسية معينة. وبالتالي، فإن للثقافة تأثيرات حاسمة واسعة على إنجازات الأمة من خلال لعب دور أساسي في توفير الظروف الروحية والأخلاقية والاقتصادية لحياة الإنسان.

والثقافة وفقا لمورغنتاو، هي ما إذا كان بوسع المرء أن يتخيل الثقافة، وعلى الأخص الأيديولوجية السياسية، بكل أهدافها الإمبريالية الملموسة، للدولة التي قهرت عقول جميع المواطنين وتحديد سياسات الدولة (ب)، فإن الدولة (أ) كانت ستفوز بمزيد من النصر الكامل وكان سيؤسس تفوقه على أسس أكثر استقرارا من أي فاتح عسكري أو سيد اقتصادي. لن تحتاج الدولة (أ) إلى تهديد أو استخدام القوة العسكرية أو استخدام الضغط الاقتصادي من أجل تحقيق غاياتها ؛ ولهذا الغرض ، فإن خضوع الدولة (ب) لإرادتها ، كان سيتحقق بالفعل من خلال إقناع ثقافة متفوقة وفلسفة سياسية أكثر جاذبية(Morgenthau1985,177).

- المعنوية القومية:

في عام 1948 كان هانز مورغنتاو من أوائل الكتّاب الذين ربطوا القيم السياسية بالقوة الوطنية. في إطاره لتحليل القوة الوطنية، وهو يشير إلى القيم السياسية التي تتعلق بالمعنويات الوطنية. وتنطوي المعنويات الوطنية على "الإرادة الوطنية، التي تشمل التماسك الوطني والقيادة وفعالية الحكومة، فضلاً عن المخاوف بشأن الاستراتيجية والمصالح الوطنية" (Ding 2008, 153).

ويمتاز هذا العنصر بالميوعة والافتقار إلى الثبات فالمعنوية القومية هي درجة التصميم التي تدعم به الأمة سياسات حكوماتها الخارجية في أوقات السلم والحرب، وتشترك في صياغة كل ما تقوم به الأمة من أعمال وأوجه نشاط سواء في الإنتاج الصناعي أو الزراعي أو الجهاز العسكري والخدمة الدبلوماسية (مورغنتاو 1964أ، 193).

إن انهيار المعنوية القومية لأي شعب من الشعوب في أي لحظة معينة، يختلف باختلاف الشعوب واختلاف الظروف التي تعيشها، فقد تقترب بعض الشعوب من لحظة الانهيار نتيجة الخسائر الفادحة في الحرب، وقد تكفي هزيمة واحدة لتحطيم المعنوية القومية لشعب آخر، وقد تنهار معنويات أمة تحت وطأة مزيج مختلط من الخسائر الهائلة في الحرب، وفي الرجال والأراضي ،وسوء إدارة الحكومة المستبدة التي تحكمهم، وقد لا تنهار معنوية أمة مرة واحدة بل تهوي بصورة متدرجة (مورغنتاو 1964أ، 194).

تقوم قوة أي أمة من ناحية معنوية وقومية على نوعية الحكم، فالحكومة التي تكون ممثلة لشعبها بشكل حقيقي وتعبر عن تطلعات مواطنيها تكون أكثر قدرة من غيرها في تعبأة الطاقات القومية لتأييد أهدافها وتنفيذ سياساتها الدولية، "إن الأحرار أكثر قدرة على الحرب من العبيد" (مورغنتاو 1964أ، 198).

رأى مورغنتاو أن الوحدة هي مفتاح للإرادة، وانهيار الوحدة طريق لانهيار الإرادة. وكتب قائلاً:

> إن أي شريحة من السكان يشعرون بأنهم محرومون بشكل دائم من حقوقهم ومشاركتهم الكاملة في حياة المواطن سيميلون إلى أن يكون لديهم معنويات وطنية أقل، وأن يكونوا أقل "وطنية" من أولئك الذين لا يعانون من مثل هذه الإعاقات. ومن المرجح أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لأولئك الذين تتباعد طموحاتهم الحيوية عن السياسات الدائمة التي تتبعها الأغلبية أو الحكومة. عندما تمزق الخلافات الداخلية شعبًا ما، فإن الدعم الشعبي الذي يمكن حشده من أجل السياسة الخارجية سيكون

دائمًا غير مستقر، وسيصبح ضئيلاً في الواقع إذا كان لنجاح أو فشل السياسة الخارجية تأثيرا مباشرا على قضية النضال المحلي. (Morgenthau1985,153).

وبوجه عام، لا يمكن للحكومات الاستبدادية، التي لا تأخذ في سياساتها اعتباراً لرغبات الشعب، أن تعتمد على دعم شعبي كبير لسياساتها الخارجية. يجب تحقيق معنويات وطنية عالية من خلال التفاعل الحر للقيم السياسية والقوى الشعبية، مسترشدة بحكومة حكيمة ومسؤولة. يستند التماسك الوطني على نفس القيم السياسية التي تحتفظ بها كل من الحكومة والناس. وعندما تهتم الحكومة بما يعتقده الناس، ويريد الناس دعمه، فإن هذا البلد سيصبح أقوى وأكثر جاذبية في مجال السياسات الخارجية (مورغنتاو 1964أ، 195).

وفي إطار تحليل القوة الوطنية حسب اعتبارات مورغنتاو، تتوافق القيمة السياسية مع عنصر القوة في المعنويات الوطنية. وكما نوقش سابقا، يمكن تفسير الروح المعنوية الوطنية على أنها إرادة وطنية، تشمل درجة التماسك الوطني والقيادة والفعالية الحكومية، إضافة إلى الاهتمامات التي تتعلق بالاستراتيجية والمصالح الوطنية.

- نوعية الدبلوماسية:

يعتبر مورغنتاو أنّ الدبلوماسية هي المصدر الأهم من مصادر القوة، بقوله: "إن نوعية الدبلوماسية على الرغم من افتقارها إلى الاستقرار إلا أنها أهم عامل من العوامل التي تخلق السلطان لأي أمة من الأمم أمام العوامل الأخرى التي تقرر السلطان القومي؛ فليست سوى مادة خام يصاغ منها سلطان أي أمة"، إذ يمثل توجيه الدبلوماسيين في أي دولة لشؤونها الخارجية في أوقات السلم ما تمثله التعبئة العسكرية في وقت الحرب. (مورغنتاو 1964أ، 199)

يستخدم مورغنتاو استعارة لإظهار أهمية الدبلوماسية في القوة الوطنية، بقوله: "إن الدبلوماسية هي الدرع للقوة القومية كما أن المعنوية القومية هي روحها"، فجميع العناصر الأخرى كالجغرافيا، والموارد الأولية، والإنتاج الصناعي، والإعداد العسكري، وضخامة السكان لن تجدي الدولة كثيرا دون دبلوماسية ذات كفاءة عالية (مورغنتاو 1964أ، 199).

يفترض مورغنتاو أن الدبلوماسية ذات الكفاءة تستطيع أن تفيد من احتمالات تأثير القوة، وزيادة قوة أمتها فوق ما يتوقعه المرء منها باستخدام صحيح للعوامل السابقة، فالدبلوماسية الرفيعة تستطيع أن تصل بغايات السياسة الخارجية ووسائلها إلى التوافق مع الموارد المتوافرة للقوة القومية وتكون قادرة على إخراج المصادر الكامنة للقوة القومية من قمقمها وتحويلها إلى وقائع سياسية، كما بوسعها توجيه الجهد القومي في زيادة استغلال بعض العوامل التي ذكرت سابقا، إن السبب الذي يدفع القوة القومية إلى الارتقاء بالذروة محققا كافة طاقاته يتمثل بدبلوماسية ذات كفاءة عالية (مورغنتاو 1964أ، 200).

وكرر مورغنتاو في جميع كتاباته وخاصة السياسة بين الأمم وغيرها، أنه يتم استخدام الدبلوماسية لمتابعة المصلحة الوطنية كهدف، والدبلوماسية عالية الجودة تجلب أهداف ووسائل السياسة وقوة الدولة إلى التوازن. على الرغم من صعوبة تقييم دبلوماسية الدولة بشكل مباشر، هناك طريقتان غير مباشرتان مقترحتان في كتابات مورغنتاو؛ التقييم الأول، أن دبلوماسية الدولة على أساس عدد الدول الكبرى التي تستطيع الدولة تجنيدها إلى جانبها في بعض المشاكل الدولية. وطريقة التقييم الثانية الممكنة هي تقييم مدى استعداد الدولة للدبلوماسية. ومن وجهة نظر مورغنتاو، فإن الاستعداد الجيد للدبلوماسية كان من خلال أربع قواعد: (1) تحديد أهداف السياسة في ضوء قوتها؛ (2) تقييم أهداف الآخرين وقوتهم؛ (3) تقييم التوافق بين أهداف جميع الأطراف؛ (4) اختيار الوسائل المناسبة (الإقناع أو التسوية أو التهديد بالقوة) لمتابعة الهدف الوطني

(مورغنتاو 1964ج، 204). وبهذا ترتبط السياسات الخارجية حسب مورغنتاو عبر ميزان القوى، والطريقة المناسبة لإدارة هذه الآلية هي من خلال دبلوماسية متطورة (Morgenthau1985,102).

وبما أن صراع المصالح هو الحقيقة المهيمنة للمجتمع الدولي، فإن الدبلوماسية هي أسلوب استيعاب هذه المصالح المتضاربة، على مرحلتين: التحقق من حقائق النزاع وصياغة شروط التسوية. فإذا كان ما يريده (أ) لا يستطيع أن يتنازل دون تعريض مصالحه الحيوية للخطر، فإن السلام من خلال الإقامة أو التكييف Peace Through Accommodation (الدبلوماسية) أمر مستحيل. على سبيل المثال، خلال مرحلة الحرب الباردة، كان للاتحاد السوفييتي مصلحة حيوية في منع ألمانيا الموحدة من الانضمام إلى التحالف الغربي، وكان لدى الولايات المتحدة مصلحة حيوية مماثلة في منع ألمانيا من استيعابها من قبل الكتلة السوفيتية. لقد كانت هذه المواقف من تلقاء نفسها غير متوافقة. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يتخيل إطاراً دبلوماسيًا أوروبيًا شاملًا ستشكل فيه المستوطنة الألمانية جزءًا عضويًا، مُرضٍ لمصالح الطرفين. وأخيرا، قد تسعى الأمة (أ) إلى هدف ترفض الأمة (ب) على الإطلاق منحه دون مقابل. وتتعلق الثغرات من هذا النوع بالمصالح غير الحيوية التي ترغب الدول في تنحيتها جانباً عن طريق المفاوضات (Morgenthau1958,270-275).

وبما أن مورغنتاو يرى أن هناك دوراً كبيراً لرجال الدولة، فليس مستغرباً أن يشدد أيضاً على أهمية الدبلوماسية. لكن هذا يتناقض أيضًا مع الصورة النمطية عن الواقعية على أنها تدعو لتوسيع السيطرة في الإقليم ودعوة الدول إلى نشر التهديدات المستمرة. ويكرس مورغنتاو الفصول الأخيرة للسياسة بين الأمم، للدبلوماسية ويتضمن ملحقه الوحيد ميثاق الأمم المتحدة.

الواقعية، على الأقل بالنسبة لمورغنتاو، لا تعني فقط أن الدول يجب أن تحرس حصصها من القوة، بل يجب عليها أيضاً أن تتنازل وتقلص أهدافها إلى ما هو ممكن. لا يمكن أبدا فصل القوة والحرب من

السياسة الدولية، ولكن في سياسة حكيمة، فإنها عادة ما تبقى في الخلفية. قد تبدو قواعد مورغنتاو للدبلوماسية منطقية، لكن أولئك الذين يعرفون مورغنتاو من ملخصات ناقصة ومركزة على جزء واحد من طروحاته قد يفاجأون بها.

قواعد مورغنتاو للدبلوماسية (مورغنتاو 1964ج، 232–238):

- يجب تجريد الدبلوماسية من الروح الصليبية (أي من السعي للنضال لأجل مثل عليا دينية أو أخلاقية).
- يجب أن تنظر الدبلوماسية إلى المشهد السياسي من وجهة نظر الدول الأخرى.
- يجب على الأمم أن تكون مستعدة للتنازل بشأن جميع القضايا التي ليست حيوية بالنسبة لها.
- لا تضع نفسك أبداً في وضع لا تستطيع أن تتراجع عنه دون أن تفقد ماء وجهك ولا تستطيع التقدم من دون مخاطر جسيمة.
- لا تسمح لحليف ضعيف باتخاذ قرارات من أجلك.
- إن القوات المسلحة هي أدوات السياسة الخارجية، وليست سيدها.

وتتلخص رؤية مورغنتاو للدبلوماسية بالتالي:

أنها خير السبل التي يمكن لمجتمع يضم الدول المستقلة ذات السيادة، أن يعرضها في خدمة الحفاظ على السلام، ولا يمكن للسلام الدولي أن يكون مضموناً كالسلام الداخلي إلا عندما تتخلى الدول إلى سلطة عليا عن وسائل التدمير، أي عندما تتنازل هذه الدول إلى هذه السلطة عن سيادتها. وفي وسع الدبلوماسية أن تضمن السلام بشكل يفوق ضماناته، كما أن في وسع الدولة العالمية[5] أن تجعله أكثر استقراراً، لو أن الدول

[5] يرى مورغنتاو أن وجود الامن والسلام والاستقرار النسبي داخل المجتمعات القومية يعود لوجود الدولة نفسها، ولإيجاد حالة من الامن والاسلام على المستوى الدولي يتوجب وجود دولة عالمية شبيهة بالدولة القومية، وللوصول إلى هذه الدولة العالمية، يتوجب تحويل السيادات في الدول فرادى إلى سلطة عالمية تكون صاحبة السيادة على هذه الدول، تماماً كسيادة الدولة القومية ضمن آراضيها وحدودها (مورغنتاو 1964ج، 155).

كلها تقيدت بقواعد الدبلوماسية. ولكن كما أن وجود الدولة العالمية شرط لقيام السلام الدائم، فإن اتباع الإجراءات الدبلوماسية البناءة للأسرة الدولية والحافظة للسلام شرط أساسي لقيام الدولة العالمية. ومن الضروري لتحويل الدولة العالمية من مجرد خيال غامض إلى حقيقة واقعة، بعث إجراءات الدبلوماسية التوفيقية التي تقلل من حدوث الخلافات وتُلطفها. وفي وسع جميع الرجال من ذوي النيات الطيبة، مهما اختلفت مفاهيمهم عن الوضع النهائي للشؤون الدولية، أن يشتركوا في الاعتراف بهذه الحاجة وتمييز هذا المتطلب (مورغنتاو 1964ج، 244).

يتشابه هذا الطرح في إطاره العام، مع الطروحات المثالية التي انتقدها مورغنتاو، ولكن بالنظر بدقة أكثر إلى هذا الطرح، يُرى أن هذه الفكرة تختلف عن طروحات المثاليين، حيث يربط مورغنتاو فكرة إنشاء الحكومة العالمية من خلال الدبلوماسية القائمة على التوافق بين الدول من خلال التوافق على المصالح المتبادلة، بعكس الطروحات المثالية التي ربطت آرائها بهذا الشأن بالقانون الدولي.

- نوعية الحكم:

أضاف مورغنتاو في الطبعة الثانية من "السياسة بين الأمم "عنصر "نوعية الحكومة"، كأحد مقومات قوة الدولة في السياسة الدولية. وقامت رؤية مورغنتاو أنه ليس في وسع أي سياسة خارجية مهما كان القائمون عليها حذرين وخبراء في تنفيذها ومهما كانت الموارد المادية والبشرية متوافرة لديها، أن تصل الى أية نتيجة إذا لم يكن هناك حكومة صالحة تتولى أمرها، والحكومة الصالحة تشكل متطلبا مستقلا للقوة القومية يقوم على إيجاد التوازن بين الموارد المادية والبشرية التي تدخل في صنع الاستقلال القومي من ناحية وبين السياسية الخارجية التي يجب أن تتبع من الناحية الأخرى، والموازنة بين هذه الموارد نفسها ووجود التأييد الشعبي للسياسات الخارجية المتبعة (مورغنتاو 1964أ، 206). ويعني هذا الأمر أن هناك تعمق واضح في طروحاته حول القوة وضرورة الاهتمام بالنظام السياسي المحلي.

يعامل مورغنتاو جودة الحكومة كمتطلب مستقل للقوة الوطنية: "إن أفضل سياسة خارجية مصممة وأكثرها تنفيذًا للخبرة، وتستند إلى وفرة من الموارد المادية والبشرية، تصبح حتماً غير فاعلة إذا لم تكن قادرة على الاعتماد على الحكومة الجيدة". وحدد ثلاثة عناصر يجب أخذها في الاعتبار لتقييم الجودة الحكومية: (1) التوازن بين الموارد المادية والبشرية التي تدخل في صنع السلطة الوطنية؛ (2) التوازن بين موارد القوة؛ و (3) الدعم الشعبي المحلي للسياسات الخارجية للدولة (Morgenthau1958,162).

وقد جادل مورغنتاو: أولا، بأن على الحكومة الجيدة أن تختار أهداف وأساليب سياستها في ضوء القوة المتاحة لدعمها مع أقصى فرصة للنجاح. ثانياً، فيما يتعلق بالتوازن بين موارد الطاقة المختلفة لدولة ما، يبدو أن هناك قضيتين مهمتين: فالحاجة تدفع إلى توفير مزيج من الموارد لتحقيق أقصى قدر من القوة؛ والدولة تحتاج إلى استغلال إمكانية ما يمكن تسميته بعنصر سحري في القوة الوطنية (ذكر مورغنتاو مثالاً على ذلك أن بريطانيا في القرن التاسع عشر، التي كانت ضعيفة من حيث الموارد الطبيعية وحجم السكان والقوى البرية، استفادت من التفوق البحري للتوسع في الخارج ولتضمن لنفسها التدفق المستمر للمواد الخام والمواد الغذائية). ثالثا، يرتبط عنصر الدعم الشعبي في مفهوم مورغنتاو لنوعية الحكومة بضرورة وجود دولة لضمان موافقة الشعب على سياساتها، والتي تعد ضرورية لحشد القوة الوطنية لدعم أهدافها الخارجية (Morgenthau1958,162-164).

من وجهة نظر مورغنتاو فإن جودة الحكومة تعد عنصرا هاما آخراً في القوة الوطنية والقيم السياسية. فقد أعرب عن اعتقاده بأن النظام الديمقراطي الذي يعالج بنجاح التطلعات الشعبية هو أفضل أساس لمعنويات وطنية قوية. وبهذه الطريقة، يمكن تقويض الروح المعنوية الوطنية من خلال حكم غير ديمقراطي، أو خلافات عرقية أو قومية، أو تقسيمات طبقية. وبالتالي يؤكد مورغنتاو على العلاقة القوية بين القيم السياسية (حقوق الإنسان والديمقراطية) والقوة الوطنية.

يتضح من هذا اهتمام مورغنتاو بنوع النظام السياسي، على العكس من الاعتقاد السائد بعدم اهتمام الواقعيين بنوع النظام في الدول الأخرى. ولكن الدقيق ربما أيضاً الإشارة أنه اهتمام مورغنتاو هنا هو في النظام السياسي للدولة التي تريد القوة (وفي هذه الحالة الولايات المتحدة)، أو في تقييم قوة الدول الأخرى، والاختلاف عن الليبراليين، أنّ هؤلاء يرون أنّ من المنطقي والمبرر العمل على نشر الديمقراطية للدول الأخرى والاهتمام بتغيير نوع النظام السياسي في الدول الأخرى، فيما تقوم طروحات الواقعيين، وتحديداً مورغنتاو، على أهمية فهم وتشخيص وضع ونوع النظام السياسي وجودة الحكومة، لتقييم قوة الدول الأخرى، ولأسباب قد تتعلق بالمصالح المتضاربة، وليس لأسباب أخلاقية أو مبدأية.

3-5 استخدام القوة والحرب على فيتنام:

يفرق مورغنتاو، بين الهدف من الاستعدادات العسكرية والحرب؛ ويرى أن الهدف السياسي من الاستعدادات العسكرية مهما كان نوعها هو الحيلولة دون الدول الأخرى، واستخدام قوتها العسكرية عن طريق إظهار ما في هذا الاستخدام من خطر عليها هي، وبهذا يكون الهدف السياسي للإعداد العسكري هو إظهار الاستخدام العقلي للقوة الحربية بمظهر الشيء الذي لا ضرورة له عن طريق إقناع العدو المحتمل بالعودة عن استخدامه، ولا يكون الهدف السياسي للحرب نفسها على هذا الأساس، بل يكون، وبحكم الضرورة احتلال أراضي العدو أو إبادة جيشه بل دفعه على تغيير رأيه وقبول إرادة المنتصر (مورغنتاو 1964أ، 57).

لقد قامت رؤية هانز مورغنتاو على أنه من الحكمة التحدث بنعومة عوضاً عن التهديد باستخدام القوة، مع المحافظة على هذه القوة ولكن دون استخدامها، حيث أن الدول قادرة على إرهاب الآخرين واحتلالهم، ولكن لا تستطيع ضمان التقبل الطوعي لحكمهم، ورأى أن هذا هو ما يفسر فشل الفلسفة العسكرية الألمانية واليابانية مقارنة بالنجاح الروماني والبريطاني في بناء الامبراطوريات (مورغنتاو 1964أ، 232).

فقد أوضح مورغنتاو أن مفهوم الفلسفة العسكرية القائل بأن قوة أي أمة تكون، بالغالب إن لم يكن دائماً، في قوتها العسكرية التي تقاس على ضوء الكم فقط، وعلى ضوء ذلك تصبح الجيوش الضخمة والأساطيل الكبيرة والقوة الجوية العظيمة هي المعيار الوحيد للسلطان القومي، هو مفهوم خاطئ، وهو الذي يؤدي إلى خطيئة أخرى حتمية وهو إيجاد التعادل بين القوة القومية والقوة المادية، إن هذا كمثل من يتحدث بصوت مرتفع ويحمل هراوة ضخمة، ويرى أنه من الحكمة أحيانا الحديث بنعومة مع حمل الهراوة نفسها وأن من الحكمة أيضا التخلي عن الهراوة أحيانا والإبقاء عليها في المنزل في متناول اليد إذا احتاج لها صاحبها، أن تكون النزعة العسكرية نتيجة اهتمام الدولة الوحيد بالقوة العسكرية يؤدي إلى ازدراء تعقيدات وخفايا السلطان (مورغنتاو 1964أ، 232).

ويضيف مورغنتاو:

> قد تتمكن الدول القوية من إرهاب الأمم الأخرى ودفعها إلى الإذعان وقد تستطيع احتلال غيرها بالقوة الطاغية المجردة ولكنها تعجز عن حكم ما احتلته، إذ أنها لا تستطيع أن تضمن التقبل الطوعي لحكمها، ويتحتم على النزعة العسكرية أن تخضع في النهاية لسلطان مخفف بالكوابح الذاتية التي تنشد الحصول على فاعلية السلطان القومي دون اللجوء كثيرا إلى استخدام القوة العسكرية، ولا ريب في أن فشل الفلسفات العسكرية الإسبرطية والألمانية واليابانية إذا ما قورنت بانتصارات السياسات الرومانية والبريطانية في بناء الامبراطوريات، يظهر النتائج العملية المفجعة لذلك الخطأ الفكري الذي نسميه الفلسفة العسكرية، إن هذه الفلسفة تعجز عن فهم الأحجية التي تقول أن الحد الأقصى في السلطان العسكري لا يعني الحد الأقصى من السلطان القومي الشامل، ولا ريب في أن الدولة التي تلقي في موازين السياسات الدولية بالحد الأقصى من السلطان المادي الذي تستطيع تجميعه تجد

نفسها وقد واجهت الحد الأقصى من جهود منافسيها، وستجد نفسها أنها باتت دون أصدقاء وكل ما أمامها إما أعداء أو اتباع غير راضيين (مورغنتاو 1964أ، 232).

بناءً على ما سبق، يصف مورغنتاو التدخل الأمريكي في فيتنام، قائلاً: "إن حرب فيتنام هي واحدة من المآسي الكبرى في التاريخ الأمريكي، مأساة في النواحي السياسية والعسكرية والمعنى الأخلاقي، مأساة استنزفت القوة الاقتصادية والسياسية لأمريكا" (Morgenthau 1973, 13).

نشر مورغنتاو نتائج رحلته إلى جنوب شرق آسيا في سلسلة من المقالات في مجلة The New Republic وفي هذه المقالات أبدى مورغنتاو ملاحظاته التحذيرية من الوجود الأمريكي هناك. للوهلة الأولى، قد يبدو التحذير غريباً، في ضوء حقيقة أن سياسة الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا بدت مبنية على طروحات النظرية الواقعية التي وضعها مورغنتاو. إلا أن زيارة فيتنام، ورؤية عواقب التورط الأمريكي في المنطقة، دفعت مورغنتاو إلى تحليل الأسباب والعواقب المحتملة وراء الوجود الأمريكي. وفي سياق وصفه للحالة، وصف مورغنتاو الحرب بأنها تتألف من قوة عظمى واحدة تشارك في الحرب والدبلوماسية في منطقة خارج مجال اهتمامها المباشر والطبيعي، وقوة أخرى أصغر بكثير(فيتنام الجنوبية) تشارك في (أو أنها تعتقد بأنها تشارك) حربٌ أهلية أو على أقل تقدير حرب محلية. ومن هذا المنطلق منذ بداية ارتباطه بفيتنام، أبدى مورغنتاو تحفظات حول سياسة الولايات المتحدة، على وجه الخصوص، كان لديه وجهة نظر مترددة في الأساس عن جون فوستر دالاس، وزير الخارجية في عهد الرئيس دوايت أيزنهاور من 1953 إلى 1959. في مقالته في عام 1961 انتقد مورغنتاو بشدة تطور السياسة الخارجية الأمريكية في ظل دالاس (Keaney 2006, 15).

بعد اغتيال الرئيس جون كينيدي، صعدت إدارة ليندون جونسون بشكل كبير من تورط الولايات المتحدة العسكري في الصراع في فيتنام. أصبح مورغنتاو قلقًا بشكل متزايد، وبعد ملاحظة مسار الصراع في

أوائل عام 1965، نُشِر في مقال في صحيفة نيويورك تايمز تحت عنوان "We Are Deluding Ourselves in Vietnam" أن الولايات المتحدة يجب أن تستخرج نفسها من الهند الصينية (فيتنام) بوسائل دبلوماسية. في إشارة إلى هذا الوضع بالذات، أوضح مورغنتاو: "أننا نشارك عسكريًا في فيتنام بفضل مبدأ أساسي لسياستنا الخارجية كان متضمنًا في عقيدة ترومان لعام 1947 والذي تم تنفيذه من قبل جون فوستر دالاس من عام 1947 فصاعدًا، هذا المبدأ هو الاحتواء العسكري للشيوعية ". ويضيف مورغنتاو أنه قد حان الوقت لتغيير هذه السياسة، واعتماد مرجع مختلف لحالة مختلفة:" ... سيكون البديل عن سياساتنا الحالية في فيتنام هو اتفاق ينقذ ماء الوجه يسمح لنا بفك ارتباطنا عسكريًا ... واستعادة الوضع الراهن لاتفاقية جنيف لعام 1954" (Morgenthau 1965b, 85).

قد يبدو نقد مورغنتاو ودعوته للانسحاب أمرا غريبا، وذلك بالنظر إلى أن السياسة بين الأمم ونهجها الواقعي قد يقال أنهما قدما جزءا هاما من الإطار الفكري لتطوير سياسة الاحتواء. ومع ذلك، يمكن حل التناقض بسهولة. فالواقعية تتوقع من الدول القومية أن تتصرف وفقا لمصالحها الذاتية المتصورة. وفي دعوته للانسحاب والقبول الفعال لفيتنام الشيوعي، لم يكن مورغنتاو يقترح أن تتخلى الولايات المتحدة عن مصلحتها الذاتية الطبيعية. بدلا من ذلك، كان يقترح أن الحرب الباردة والقتال العام ضد الشيوعية، على الرغم من استهدافهم لأول مرة بفعالية ضد الاتحاد السوفييتي، قد أعمى صناع السياسة في الولايات المتحدة عن المصالح الحقيقية لدولتهم. من أجل هذا "التعمية" وضع مورغنتاو قدرا كبيرا من المسؤولية على جون فوستر دالاس: "من المفارقة أن هذا التشابك البسيط بين"الشيوعية"و"العالم الحر" أقيم من قبل الأخلاق الصليبية لجون فوستر دالاس (Morgenthau 1965b, 85).

واستند مورغنتاو في نقده هذا على أن السياسة الواقعية هي قبول ما لا يمكن تغييره – وجود الشيوعية في المنطقة – وتحديد أفضل السبل لتحويل هذا الوجود إلى ميزة للولايات المتحدة. إذ ألقى

مورغنتاو باللوم على دالاس بسبب سوء تطبيق استراتيجية الاحتواء. ووفقاً لمورغنتاو، كان هناك فرصة أكبر بكثير للدبلوماسية الدولية من السلاح. (Keaney 2006, 17).

استخدم مورغنتاو أداة جودة الحكومة لخدمة هجومه العنيف على أعضاء داخل الحكومة، يعتبرهم مسؤولين عن تورط الولايات المتحدة في فيتنام. واتهم صانعي السياسة بعدم القدرة على التمييز بين ما هو جيد للبلد وما هو جيد لسمعتهم. تحليله يستحق الاقتباس بشيء من التفصيل لأنه يظهر الغضب الذي شعر به مورغنتاو بوضوح عندما اعتبر حرب فيتنا مآساة.

> إن السياسات الكارثية التي يتم السعي إليها باستمرار تخدم الحماية الذاتية لأولئك الذين شرعوا بها أو ورثوها. نحن هنا في وجود قضية لا تتعلق بالسياسة الخارجية أو الاستراتيجية العسكرية، ولكن بالاضطراب النفساني. والنتيجة هي إضفاء طابع شخصي على الخوف من فقدان الهيبة، بحيث لا تكون في نهاية المطاف هيبة الأمة على المحك فحسب، بل هيبة صاحب السياسة نفسه، وقدرته على الاحتفاظ بسلطته، ومكانه في التاريخ. إن الالتزام الذي يشعر به صانع السياسة أنه لا يستطيع الهروب منه لا يتعلق بحكومة جنوب فيتنام بقدر ما يتعلق بالرأي العام للولايات المتحدة (Morgenthau 1965a, 18).

لقد كان رفض مرغنتاو للتدخل الأمريكي في فيتنام مبنياً على أساس أنه لا مصلحة للولايات المتحدة هناك، ويذكر هذا في مقالته الدروس في فيتنام قائلاً: "هناك عنصر أخلاقي في هذه المغامرة (يقصد التدخل الأمريكي في فيتنام) أهم من العناصر الفكرية، لأن هناك شيئًا مدمرًا في محاولة حكومة الولايات المتحدة فرض إرادتها على بلد بعيد جدًا، والذي ، حتى لو أراد ذلك، لا يمكن أن يعرض أمن الولايات المتحدة للخطر ... أدى هذا الأمر إلى الكراهية التي نواجهها في فيتنام وفقدان الهيبة التي عانيناها في جميع أنحاء العالم؛ هي نتيجة لفضيلة قتل شعب بأكمله" (Morgenthau 1973, 17).

ولكن الاعتماد على هذه الحجة فقط يعتبر ناقصاً فقد ربط مورغنتاو هذه المصلحة بأسس أخرى، وهي فشل الإدارة الأمريكية في تلك الفترة بالتعامل مع الأزمة الفيتنامية منذ البداية، لأنه كان لها رؤية مغلوطة (ميكانيكية) عن الشيوعية في فيتنام فقد لجأ (هوشي منه) –قائد الثورة في فيتنام الشمالية – إلى الولايات المتحدة لطلب المساعدة ورفضت الإدارة الأمريكية ذلك: "في المرحلة الأولى من ثورته، كتب "هوشي منه" إلى وزارة الخارجية خمس مرات، وطلب منا مساعدته، دون الحصول على إجابة. رفضناه لأننا لم نكن ندرك أنه كان، بشكل ما، ذرية طبيعية للثورة الأمريكية وأفكارها، وأنه كان حليفًا طبيعيًا للولايات المتحدة بالمعنى الأخلاقي. لذلك قمنا بنقله إلى أذرع الانتظار في الاتحاد السوفييتي والصين. وبما أنه لم يستطع الحصول على الدعم الذي يريده منا، فقد حصل عليه من مكان آخر" (Morgenthau 1973, 14).

وفي معرض انتقاده للفهم المكانيكي للإدارة الأمريكية للشيوعية في العالم، وأن أساليب الإدارة الأمريكية قد عفى عليها الزمن، وأن ما كان يصلح سابقا لا يمكن استخدامه الآن، يقول مورغنتاو: "يجب عليها أن تعترف بعدم وجود شيوعية واحدة ممثلة بأفراد يطلقون على أنفسهم أسماء الرفاق، بل هناك تعددية من الشيوعيات التي تتميز بارتدادهم من التبعية للاتحاد السوفياتي أو الصين. بعبارة أخرى، يجب تحديد علاقتنا بالحكومات والحركات الشيوعية في ضوء جميع العوامل التي تؤثر على المصالح والقوة، والتي تشكّل الشيوعية نفسها، ذات الثقل المختلف في مختلف البلدان، المصلحة والقوة" (Morgenthau 1977, 10). وهذا يرتبط بشكل مباشر في ما ذكر سابقاً عن نوعية الحكومة وجودتها وقدرتها على إدارة الأمور لمصلحة الدولة والذي اعتبره مورغنتاو أحد مقومات القوة للدولة.

أما الأساس الآخر الذي يعتمد عليه مورغنتاو في رفضه للحرب على فيتنام، أن هذا الأمر قد أضر بسمعة الولايات المتحدة وهيبتها، ويتبين ذلك من قوله: "فمنذ بداية التاريخ الأمريكي، كانت هناك دائمًا علاقة حميمة وعضوية بين المكانة الأخلاقية لأمريكا، كما تصورها بنفسها وكذلك العالم الخارجي، وموقعها بين

دول العالم. كانت مصدر قوة أمريكا في الداخل؛ كانت واحدا من المصادر الرئيسية لهيبتها وتأثيرها في الخارج. إن ما يشكل المأساة الحالية والأزمة الحالية لأمريكا بشكل عام، وعلى الأخص السياسة الخارجية الأمريكية، هو حقيقة أن حكامنا لم يعودوا واعين بالكامل لهذه الروح وأن أفعالنا لا تسمع إلا علاقة بعيدة للغاية بتلك الروح" (Morgenthau 1969, 14).

وهذا دليل واضح على اهتمام مورغنتاو بمكانة الدول ووسائل الجذب كالقيم والأفكار والمصداقية التي تعطي مكانة للدول ضمن المجتمع الدولي. فقد أبدى مورغنتاو اهتمامه الكبير بسمعة أمريكا ومبادئها من خلال قوله:

إن ما فعلته هذه الحرب بالولايات المتحدة لا يمكن أن يقتصر على المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية. لقد ألحقت ضررا فظيعا بموقف الولايات المتحدة في العالم. لأنه كان هناك منذ بداية التاريخ الأمريكي حتى يومنا هذا، علاقة فريدة ودقيقة بين وجود المجتمع الأمريكي والأمة الأمريكية، من ناحية، ومبادئ أخلاقية معينة من جهة أخرى. هناك حقيقة عميقة مخبأة في هذه المثالية الأمريكية المنحرفة. لقد تم إنشاء أمريكا بفعل إرادتها بشكل أساسي من قبل المهاجرين من الخارج. إن ما أوجد تماسك المجتمع الأمريكي لم يكن تاريخًا ولا دينًا ولا حكمًا متوارثاً ولا حتى جغرافيا، بل كان عملًا أخلاقيًا من الإرادة. القرار الذي اتخذه ملايين الناس ليصبحوا أمريكيين ويتقيدون بمبادئ أمريكا. كان أعظم رجل أمريكي في الولايات، لينكولن، مدركًا تمامًا لهذا الأمر. وفي أحد خطاباته المتعلقة بالرق، قال إن نصف شعبنا، أي الجيل الأول من المهاجرين، هم أمريكيون فقط لأنهم يلتزمون بمبادئ إعلان الاستقلال. وهذه هي بالضبط النقطة التي أريد القيام بها (Morgenthau 1973, 18).

كما عبر عن اهتمامه بالمصداقية الأمريكية، قائلاً: "إن الفجوة بين تلك المبادئ الأمريكية والواقع الأمريكي اليوم أكبر مما كانت عليه على الأقل منذ الحرب الأهلية. هذا ما نسميه أزمة المصداقية. وهذا يعني أن الوعد الأمريكي يبدو أبعد من الوفاء به من قبل بسبب غضب حرب فيتنام. وكما أشرت من قبل، فإن هذه الآثار الكارثية للحرب لا تقتصر على المجتمع الأمريكي وتماسكه. كان لها تأثير ضار على مكانة الولايات المتحدة في العالم" (Morgenthau 1973, 18).

وتتلخص رؤية مورغنتاو بأن قوة الولايات المتحدة، والنفوذ الذي كان لها في جميع أنحاء العالم، والجاذبية التي أتت بالملايين من الناس، الذين جاءوا إلى شواطئها لإيجاد حياة أكثر لائقة، هذه النوعية الأخلاقية غير الملموسة قد ضعفت إلى حد كبير بسبب حرب فيتنام، وقد نشأ عن هذا النقص الأخلاقي بعض التناقضات السياسية والنفسية التي تضر بموقف الولايات المتحدة ومكانتها أمام دول في العالم (Morgenthau 1973, 19).

ويقوم رفض مورغنتاو للحرب على فيتنام أن الهدف من القوة هو هو إظهار القوة الحربية بمظهر الشيء الذي لا ضرورة له، عن طريق إقناع العدو بالعدول عن استخدامها، إذ يجب استخدام القوة ومكونتها للسيطرة على أعمال الآخرين عن طريق التأثير على عقولهم. كما يتحتم على النزعة العسكرية أن تخضع في النهاية لضوابط ليتم الحصول على فاعلية القوة القومية دون اللجوء كثيرا إلى استخدام القوة العسكرية.

3-6 الخلاصة:

تستند واقعية مورغنتاو إلى أن السياسة الدولية، مثل المجتمع الداخلي تحكمها قوانين موضوعية لها جذور في الطبيعة البشرية. ووفقاً لمورغنتاو فإن الصراع من أجل القوة على المستوى الدولي هو إلى حد كبير نتيجة للسمة الغالبة على الرجل السياسي في السعي إلى السيطرة على الآخرين، ومع ذلك فإن مورغنتاو يتجاوز

مجرد النظر إلى الطبيعة البشرية، عندما يعبر عن أن الدولة انعكاساً جماعياً لشهوة الرجل السياسي للقوة والتي تنفذ دوافعها على الساحة الدولية.

ولهذا أصبح مورغنتاو، ينظر إلى القوة من الجانب (الإمبريقي) بأنها حالة من الصراع قائمة على حالة نفسية تستند على العلاقات البينية بين البشر، ولأن الأفراد يريدون كل شيء لأنفسهم ولا شيء لجيرانهم. وبسبب هذا التشخيص الواقعي، غالباً ما يتم تصوير مورغنتاو على أنه مؤيد لسياسة القوة اللامحدودة. في الواقع، ومع ذلك، تقدم واقعية مورغنتاو بعدًا (معياري) للقوة قائمة على أسس أخلاقية خاصة يتم من خلالها استخدام القوة من أجل تحقيق نتائج جيدة أخلاقياً. فالقوة والأخلاق والعدالة تؤثر في بعضها البعض بشكل متبادل. ويشكل مطلب مورغنتاو للحد من القوة في العلاقات الدولية ونداءه للتسامح والتوازن الجانب الأكثر جاذبية في نموذجه للواقعية، التي تم تجاهلها لفترة طويلة للغاية، ولأن مورغنتاو أخلاقي، لم يكن يسعى فقط إلى تحديد حالة الوجود، لكنه كان أيضًا مثاليًا، محاولًا صياغة القيم النهائية بقالب واقعي، ولذلك يمكن أن يطلق عليه "مثالي الواقعيين"، ويتضح ذلك من طروحاته حول استخدام الدبلوماسية في بناء الحكومة العالمية التي تم ذكرها سابقاً.

كما قادت حرب فيتنام مورغنتاو إلى توسيع مفهومه عن المصلحة الوطنية، الذي روّج له باعتباره المرشد الأعلى لصنع القرار الواقعي في الشؤون الخارجية. ففي نظرته المنقحة، فإن خدمة المصلحة الوطنية تعني أكثر من ضمان الأمن الأمريكي في النصف الغربي من الكرة الأرضية والحفاظ على توازن القوى في أوروبا وآسيا. وجادل بأن الولايات المتحدة يجب أن تحافظ على مكانتها الأخلاقية الاستثنائية كنموذج للنزاهة لبقية العالم. وحذر من أن القرارات التي أضعفت هذه المكانة يمكن أن تهدد القوة والهيبة الأمريكيتان.

هذا الأمر دفع مورغنتاو بتركيز اهتمامه الكبير على الجاذبية والهيبة والسمعة والمصداقية الأمريكية، بكونها أسس هامة في المصلحة الأمريكية والتي تشكل مرتكز للقوة الحقيقية، وعلى حد تعبير مورغنتاو،

"القوة الحقيقية للأمة لا تتكون من عدد الرؤوس النووية التي تمتلكها أو عدد حاملات الطائرات، ولكن من الصورة الأخلاقية التي تقدمها، ليس فقط بالكلمات، ولكن على الأخص في الأعمال الموجهة إلى بقية العالم". (Morgenthau 1969, 15).

شكلت طروحات هانز مورغنتاو إرثاً كبيرا في حقل العلاقات الدولية، تأثر به العديد من المفكرين والمهتمين والباحثين في هذا الحقل، ولكن الأهم من هؤلاء جميعا هم المفكرين الواقعيين الجدد، الذين يعتبرون خلفاءً للواقعية الكلاسيكية ومنظريها. فماذا صنع الواقعيون الجدد بهذا الإرث؟ يجيب عن هذا السؤال الفصل التالي، والذي يركز على أبرز منظرين للواقعية الجديد، كينث والتز وجون ميرشايمر، وكيف تناولا مفهوم القوة في طروحاتهم النظرية، ومدى تأثرهم بطروحات مورغنتاو.

4 الواقعيون الجدد وارث مورغنتاو حول مفهوم القوة

طور مورغنتاو طروحاته في أواخر أربعينات القرن العشرين حول قواعد العلاقات الدولية، ونهج دراستها، وكما سلف ذكره، قدّم هذا في كتابه "السياسة بين الأمم"، والذي عرض فيه، من ضمن موضوعات أخرى، تصوراته عن مفهوم القوة في العلاقات الدولية. وقدم نظرة مزدوجة للقوة أخذت شقين: الأول إمبريقي عبر تشخيص واقع القوة (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية) حيث السعي للحفاظ على الذات وإلى الهمينة يجعل القوة هدفاً بذاتها. والثاني معياري يقوم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم، أي على تصوره لأسس تعاونية لحفظ السلام. أيّ أن الشق الأول، كان تشخيصي فيما الثاني يتضمن رؤاه للدور الممكن سياسياً وفكرياً للوصول إلى "السلام".

أدت طروحات مورغنتاو لظهور مدرسة متمايزة، عن المفكرين السابقين في هذا العلم، والذين يعرفون بالمثاليين أو الليبراليين، فيما بدأ مورغنتاو المدرسة الواقعية، التي تزعم دراسة العلاقات الدولية كما هي في الواقع، لا كما يجب أن تكون. وكما مر سابقاً، تبنى مورغنتاو تصور محدد مختلف نسبياً للطبيعة الإنسانية، ومدى تطورها، وسماتها ودوافعها عن اللبراليين، وبالتالي لفهمه لدور القوة.

لقد كان دور القوة وما زال محورياً في أي تنظير ينتمي للمدرسة الواقعية، إلا أن هناك قدر كبير من الاختلاف في المفاهيم، والتشخيص للعلاقات الدولية، بين "الواقعيين" أنفسهم، الذين ركزوا واشتركوا في رؤيتهم للعلاقات الدولية في بعض الجوانب، خصوصاً دراستها كما هي لا كما يجب أن تكون، ولكنهم اختلفوا في رؤيتهم لعدد من جوانب السياسة الدولية، وكان جزء أساسي من الاختلاف يتعلق بالنظرة إلى القوة. والواقع أنّ الاختلاف أدى لولادة مدرسة جديدة في العلاقات الدولية، تسمى الواقعية الجديدة، ظهرت بشكل أساسي نهاية سبعينيات القرن العشرين، أي بعد أكثر من ثلاثين عام من ظهور كتاب مورغنتاو "السياسة بين الأمم"، وتبلور المدرسة الواقعية.

يهدف هذا الفصل إلى مسح للتصورات الواقعية المتنافسة للقوة. فعلى الرغم من اشتراك الواقعيين في رؤيتهم أنّ السياسة الدولية من حيث الصراع المستمر على القوة، إلا أنهم يصلون إلى هذا الاستنتاج من خلال مجموعة متنوعة من الافتراضات المختلفة. ولا يختلف الواقعيون فقط حول السبب الكامن وراء وصف السياسة الدولية بأنها صراع على القوة، بل يختلفون أيضًا حول العديد من القضايا الأخرى التي تتعلق بهذا المفهوم.

يركز هذا الفصل على كيفية تناول "الواقعيون الجدد" لمفهوم القوة في العلاقات الدولية ضمن طروحاتهم، عبر دراسة مفكرين بارزين يعتبران من أبرز منظري العلاقات الدولية، هم كينيث والتز، وجون ميرشايمر، وتوضيح كيفية فهم هذين المفكرين لمورغنتاو وانعكاس أفكاره في أعمالهم ثم مقارنة أطروحاتهم والنتائج التي توصلوا إليها، مع مورغنتاو.

وينقسم الفصل إلى ثلاثة أقسام: يعالج القسم الأول النظرية الواقعية الجديدة وظروف وسياقات نشوئها. والقسم الثاني يطرح من هو كينث والتز وما هي أبرز آراه في طروحات مورغنتاو، ومن ثم يعقد هذا القسم مقارنة بين طروحات والتز ومورغنتاو حول القوة. أما القسم الثالث فيعرض من هو جون ميرشايمر وما هي أبرز آراه في طروحات مورغنتاو، كما يعقد هذا القسم مقارنة بين طروحات ميرشايمر ومورغنتاو حول القوة.

4-1 الواقعية الجديدة:

ظهرت الواقعية الجديدة في سبعينات القرن الماضي، وكان من أسباب ظهورها جزئيا، الرد على الانتقادات[6] التي وجهت للواقعية الكلاسيكية. وارتبطت الواقعية الجديدة بكتابات مؤسسها كينث والتز وأبرز مفكريها جون

[6] تمحورت هذه الانتقادات حول تعريف المصلحة الوطنية الذي قدمه مورغنتاو، واعتماده على الطبيعة البشرية كأساس للتحليل، واستخدام التاريخ بشكل كبير في بناء منهجية نظريته.

ميرشايمر. كما أنّ هذه التنظيرات كما سيلي توضيحه تأثرت كثيراً بواقع الاستقطاب والحرب الباردة، بين القوتين العظميتين آنذاك، ومنذ منتصف الأربعينيات؛ الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي.

تركز الواقعية الجديدة على بنية النظام الدولي، ويبدو هذا انعكاس للاستقطاب سالف الذكر في الحرب الباردة. وتدور أهم فرضيات هذه المدرسة حول: أن النظام الدولي هو نظام فوضوي بسبب غياب السلطة المركزية، وبالتالي فإنّ توازن القوى هو أساس الحفاظ على السلم، وأن الهدف الأسمى للدول هو المحافظة على البقاء، كما أن الريبة والشك هي حالة متأصلة في النظام الدولي وتؤدي إلى فقدان الثقة حيث لا تستطيع الدول التأكد من نوايا جيرانها، ولهذا يجب عليها أن تكون متيقظة بشكل دائم ومستعدة لأي أخطار (بيليس وسميث 2004، 417).

يعتبر الواقعيون الجدد أن فكرة الأمن هي الهدف الأسمى. إلا أن انقساماً حدث بين منظريها: الدفاعيون وعلى رأسهم كينث والتز الذي يرى أن الأمن متوافر على الرغم من فوضوية النظام، والهجوميون وعلى رأسهم جون ميرشايمر الذي يرى أن هناك صعوبة في توفير الأمن في النظام الدولي (جندلي 2011، 202). إذ ترى الواقعية الدفاعية أن الدول قد لا تسعى، في حالات، إلى تعظيم قوتها النسبية، وإنما تسعى للحفاظ على قوتها في مواجهة الدول الأخرى فهي تسعى للأمن أكثر من النفوذ، أما الواقعية الهجومية ترى أن الدول تسعى للحصول على الحد الأقصى من القوة النسبية لمواجهة الدول الأخرى للحفاظ على أمنها، ويكون الحصول على الأمن من خلال بناء القدرات بقدر أكبر من قدرات الدول الأخرى، وأنّه بعد تحقيق الأمن يجري السعي لتعظيم النفوذ الخارجي. (فرج 2007، 285–289).

4–2 والتز ومورغنتاو:

ينظر والتز لمورغنتاو باعتباره أول منظر للواقعية الكلاسيكية، ولكن هذا لم يمنع من انتقاده له، وتقاربه أو تباينه معه في العديد من الأمور. يوضح هذا القسم: من هو والتز، وما هي أراؤه في أبرز طروحات

مورغنتاو، وماهي أوجه التقارب والتباين بين والتز ومورغنتاو حول مفهوم القوة. وهو يقول "لقد قام مورغنتاو في مناسبات عديدة بإظهار قدر مثير للإعجاب من التعقيد وحسن التبصر من خلال تعليقاته السياسية. فقد حلل مضامين الفوضى الدولية ببراعة، كما قام بتمييز العمل الممكن على المستوى الداخلي من العمل الممكن على المستوى الخارجي"، ولكن والتز، يقول ضمناً، على الأقل، إنّه يتفق مع ناقديه في نقاط، ولا يلومهم لأنهم "واجهوا صعوبة في فهم العلاقة التي كان يسعى إلى بلورتها بين نظرته للإنسان ونظرياته في السياسة" (والتز 2013، 92–93). والواقع أنّ الاختلاف في نقطة الانطلاق بين والتز ومورغنتاو (مدى الربط بين الفرد ونظرته للقوة من جهة والدولة من جهة ثانية)، أدى أيضاً لنقاط خلاف أخرى، مثل الموقف من المؤسسات الدولية، كما ستوضح صفحات قادمة. وكذلك ابتعد والتز عن الاهتمام بالجوانب الأخلاقية في السياسة الخارجية، التي أولاها مورغنتاو شيئاً من الاهتمام. (Paruk 2014,37).

4-2-1 من هو والتز Kenneth Neal Waltz (1924-2013):

والتز عالم سياسي ومنظر أمريكي، كان مدرساً في كل من جامعتي كاليفورنيا بيركلي، وكولومبيا، وكان من قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية، وهو رائد النظرية الواقعية الجديدة (البنيوية) في العلاقات الدولية، ونوقشت أفكاره على نطاق واسع في حقل العلاقات الدولية، ويعد واحداً من "العمالقة" الذين ساعدوا في تحديد مجال العلاقات الدولية باعتباره ذو منهجية أكاديمية علمية. ولذلك يعتبر خليفة هانز مورغنتاو، وله العديد من المؤلفات أبرزها اطروحته للدكتوراه "الإنسان والدولة والحرب" التي كتبها عام 1954، ونشرت في كتاب عام 1959، وكتابه الذي يعد حجر الأساس في النظرية الواقعية الجديدة "نظرية السياسة الدولية" والذي نشر عام 1979 (غريفيثس 2008، 93–94). وبدأ كينيث والتز مرحلة جديدة، في

نظرية العلاقات الدولية، عندما كتب كتابه "نظرية السياسة الدولية" مقدماً نظرية واقعية مختلفة مستوحاة من الطموحات العلمية للسلوكية[7].

4-2-2 اراء والتز في طروحات مورغنتاو:

بطبيعة الحال درس والتز طروحات مورغنتاو أثناء إعداده لأطروحة الدكتوراة، سالفة الذكر، لقد طرح والتز عند تطوير نظرية السياسة الدولية، أن الواقعية الجديدة تحتفظ بالمبادئ الرئيسية للسياسة الواقعية، ولكن ينظر إلى الوسائل والغايات بشكل مختلف، وكذلك الأسباب والنتائج. على سبيل المثال، كان مورغنتاو على حد تعبير والتز "يفكر في رجل الدولة "العقلاني" الذي يسعى دومًا إلى تجميع المزيد من القوة. ورأى القوة كغاية في حد ذاتها". وعلى النقيض من ذلك، فإن "الواقعية الجديدة تنظر إلى القوة على أنها وسيلة مفيدة على الأرجح، حيث تتعرض الدول لمخاطر إذا لم يكن لديها الكثير أو الكثير منها. قد يؤدي الضعف المفرط إلى شن هجوم على قوة أكبر من شأنه أن يثبط عدوًا من الانطلاق. وقد تدفع القوة المفرطة دولاً أخرى إلى زيادة أسلحتها وتوحيد جهودها ضد الدولة المهيمنة، لأن القوة هي وسيلة مفيدة على الأرجح، يحاول رجال الدولة الحصول على كمية مناسبة منها. لكن في المواقف الحاسمة، لا يكون الشاغل الأساسي للدول هو القوة، بل من الأمن"(Waltz 1988, 616). إذ تقوم الدول في النظام الدولي الفوضوي بتوظيف القوة من أجل حماية نفسها، وتكون العلاقات بين الدول في ظل فوضوية النظام نتيجة القوة فقط. فالنظام الدولي هو نظام فوضوي أفقي (غير هرمي) لا مركزي وغير متجانس وغير موجه (Waltz 2010, 112-113).

يضع والتز مورغنتاو ضمن تصنيفين الأول التشاؤميين، والثاني التقليديين:

[7] ظهرت المدرسة السلوكية في عقد الستينات من القرن العشرين من خلال الاستفادة من الثورة السلوكية في العلوم الاجتماعية التي تأثرت بالعلوم الطبيعية، سعت السلوكية إلى تحويل حقل الدراسات الدولية إلى دراسة علمية عن طريق تطوير مناهج الدراسة، وكرد فعل على المناهج التقليدية التي تعتمد في التنظير على الفلسفة والتاريخ والقانون (مصطفى 2016، 61-62).

أ- **التشاؤميين في تحليل الطبيعة البشرية:** يرى والتز أن هناك مجموعة من المفكرين التشاؤميين الذي ينظرون إلى البشر على أنهم "ليسوا عقلانيين ولا محبين حقا، كما لن يصبحوا كذلك أبدا"، ومنهم مورغنتاو الذي يرفض الفرضية التي تقول "بصلاح جوهر الطبيعة البشرية وقابليتها اللانهائية للتشكل، ويفسر السلوك السياسي من خلال سلوك البشر الأعمى أحيانا والأناني الخبيث أحيانا أخرى، وهذا السلوك هو الإفراز الحتمي الذي لا ينكر للطبيعة البشرية التي لم تتغير مذ كانت الفلسفات الكلاسيكية الصينية والهندية و اليونانية تسعى جاهدة لاكتشاف قوانين السياسة. ونسبة الشرور السياسية إلى طبيعة الإنسان الثابتة، التي تعرف بأنها قابلية فطرية كامنة للشر والخير معا، هي فكرة رئيسية تتكرر دوما في فكر مورغنتاو" (والتز 2013، 71).

وينتقد والتز هذه الآراء بقوله: "إن القول بأن الإنسان يتصرف بطرق تناقض طبيعته قول سخيف بداهة". ويطرح أن ما يقلل من أهمية الطبيعة البشرية، من حيث هي عامل في التحليل السببي للأحداث الاجتماعية، هو حقيقة أنّه يقع على هذه الطبيعة نفسها عبء تفسير أحداث اجتماعية لا حدود لتنوعها. هل تثبت بعض الأدلة على سلوك الإنسان، كالاغتصاب والقتل والسرقة، أن الإنسان طالح؟ فما بال الأدلة المقابلة التي تظهر في أعمال البر والإحسان والحب والتضحية؟ فإن القول بأن سبب حدوث بعض الأمور يكمن في غباء الإنسان وطلاحه، فرضية تقبل أو ترفض بحسب مزاج الكاتب. وبرأيه إنها تقرير لا يمكن للدليل العقلي أن يثبته أو ينفيه. ولذلك يعتبر والتز أن مفهوم مورغنتاو الجوهري للطبيعة البشرية هو إشكالية لأن الثابت لا يمكن أن يفسر التباين، ويعطي مثالاً على ذلك بقوله: ربما كانت الطبيعة البشرية سبب الحرب في عام 1914، ولكنها كانت سبب السلام في عام 1919. لقد تغير كثير من الأمور في الفترة بين هذين العامين، إلا أن الطبيعة البشرية لم تتغير (والتز 2013، 72-74). وللتغلب على النواقص في عمل مورغنتاو، يحاول والتز تحديد بنية النظام الدولي الفوضوي كسبب يفسر منطق سعي الدول للقوة (Waltz

2010, 78) أي أنّه يقول إنّ الدول، خصوصاً في حالة القوى العظمى، تتصرف بمنطق وبدوافع لا يمكن اعتبارها امتداد للطبيعة الإنسانية.

ب- **التقليديين:** صنف والتز مورغنتاو باعتباره من العلماء التقليديين، الذين حولوا اهتمامهم إلى التاريخ والسياسة أكثر من اهتمامهم بالنظرية والأساليب العلمية، الذين لا يميزون بين السياسات المحلية والدولية، والذين لا يدركون الفرق بين السياسة الداخلية التي قامت على قواعد مستقرة، والسياسة الدولية التي قامت على حالة من الفوضى (Waltz 1986, 48). ويرى والتز أن مورغنتاو أخطأ في اعتقاده أن الحفاظ على السلام والحفاظ الاستقرار الدولي يعتمدان على مواقف الدول وخصائصها الداخلية (Waltz 1986, 50).

ولهذا ينتقد والتز مورغنتاو، بأن الأخير أصر على "استقلالية السياسة"، لكنه فشل في تطبيق المفهوم على السياسة الدولية، وبالتالي ومن خلال تحديد هيكل الأنظمة السياسية الدولية، فإن الواقعية الجديدة تؤسس استقلالية السياسة الدولية، عن الداخلية، وعن فروع العلوم الأخرى (مثل علم النفس)، وبالتالي تجعل النظرية حولها ممكنة (Waltz 1988, 615).

وفي اتجاه آخر يرفض والتز افتراضات مورغنتاو حول مسألة تعدد الأقطاب في النظام الدولي، وبرأيه أن اعتبار نظام ثنائي القطبية غير مستقر، هو استدلال خاطئ، وتقوم رؤية والتز على أنه في عالم ثنائي القطبية، يتناقص الترابط العسكري بشكل أكثر حدة من الترابط الاقتصادي. إذ تعتمد روسيا وأمريكا عسكريًا بشكل أساسي على نفسها. فإنهم يوازنون بعضهم البعض عن طريق "داخلي" بدلاً من الوسائل "الخارجية" (التحالفات)، بالاعتماد على قدراتهم الخاصة وليس على قدرات الحلفاء. الموازنة الداخلية (أي الاعتماد على الذات) أكثر موثوقية ودقة من الموازنة الخارجية. ففي عالم ثنائي الأقطاب يتقلص عدم اليقين والحسابات تصبح أسهل (Waltz 2010, 168).

يتبين من هذا ان والتز يختلف عن مورغنتاو في أكثر من مجال، وأبرزها هو عدم اتفاقه مع مورغنتاو من حيث منهجية النظرية والهدف منها في تحليل السياسة الدولية، الأمر الذي دفع إلى وجود مقاربات ومفارقات بين طروحاتهم.

4-2-3 تقاربات ومفارقات مفهوم القوة بين والتز ومورغنتاو:

أدت تصورات والتز السابقة حول طروحات موغنتاو في تحليل السياسة الدولية، إلى وجود وتقاربات (تشابه)، حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية، ويعالج هذا القسم هذه التقاربات والمفارقات.

4-2-3-1 تقاربات:

تقاربت وجهات نظر والتز مع مورغنتاو حول عدة أمور تختص بمفهوم القوة، ومنها:

4-2-3-1-أ تعريف القوة:

يطرح والتز أنه على الرغم من أن القوة هي مفهوم أساسي في النظرية الواقعية، إلا أن تعريفها الصحيح يظل مسألة جدلية. من الواضح أن القوة ليست قابلة للتبديل (الصرف) مثل المال (أي لا يتم صرفها بقيمة واحدة محددة وبسهولة)، لأنها تعتمد على قدرات مختلفة(Waltz 1986, 332).

ولذلك يقبل والتز بشكل جزئي بتعريف القوة على أنها السيطرة (أو الأثر) كما قال مورغنتاو، ويرى أن استخدام القوة هو تطبيق واحدة من القدرات في محاولة لتغيير سلوك شخص آخر في بعض الطرق، وهي قيام (أ) في كسب الالتزام المطلوب من (ب) بالاعتماد على قدراته واستراتيجياته، وعلى قدرات (ب) واستراتيجياته المضادة (Waltz 2010, 191).

يتشابه تعريف والتز مع تعريف روبرت دال Robert A. Dahl (1915–2014)[8]، ويعبر والتز عن هذا بقوله: "إن التعريف الأمريكي الشائع للقوة –إشارة إلى تعريف دال– الذي يعادل القوة مع السيطرة، وإن قياس القوة عن طريق القدرة على حمل الناس على فعل ما تريد منهم، هو جزء واحد من تطبيق القدرات في محاولة تغيير سلوك الآخرين". (Waltz 2010, 191)

يلتقي هذا الطرح مع تعريف مورغنتاو للقوة على أنها "أي شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان ويضمن الحفاظ عليها، ويكون بذلك شاملا لكافة العلاقات الاجتماعية التي تهدف الى تلك الغاية ابتداء من العنف البدني وانتهاء بأكثر الروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر بدقة ودهاء" (مورغنتاو 1964أ، 31).

4-2-3-1-ب موارد القوة:

يطرح والتز أنّ القدرات الاقتصادية والعسكرية وغيرها من القدرات لا يمكن أن تُقيّم كل على حدة بشكل منفصل، حيث لا تعتبر الدول متفوقة عن غيرها لمجرد تفوقها، في ميدان دون آخر، فقد تعتمد مكانة الدولة في النظام الدولي على جمع كل من العناصر التالية: "حجم السكان، والأراضي، والموارد الطبيعية، والقدرة الاقتصادية، والقدرة العسكرية، والاستقرار والكفاءة السياسية" (Waltz 2000, 35).

يتشابه هذا الأمر مع ما قدمه مورغنتاو حول عناصر القوة القومية فقد صنف مورغنتاو مقومات القوة إلى تسعة عناصر، وقسمها إلى مجموعتين: المجموعة الأولى المكونات المستقرة نسبياً أو المكونات المادية والتي تضم الجغرافيا والموارد الطبيعية والطاقة الصناعية والاستعداد العسكري والسكان. والمجموعة الثانية

[8] روبرت دال: منظر سياسي أمريكي، وأحد رواد المدرسة السلوكية في العلاقات الدولية، أسس نظرية التعددية الديمقراطية التي يتم فيها تحقيق النتائج السياسية من خلال مجموعات المصالح التنافسية، وقد ركزت أبحاث دال على طبيعة عملية صنع القرار في المؤسسات الفعلية مثل المدن الأمريكية، وهي منشأ "النظرية التجريبية" والمعروفة بتطوير خصائص السلوك السياسي للسلطة السياسية، ويعتبر دال واحدا من أكثر علماء الاجتماع السياسي تأثيرا في القرن العشرين، ووصف بأنه "عميد العلماء السياسيين الأمريكيين"، ومن أبرز كتاباته مقالته "مفهوم القوة" التي نشرها عام 1957، والتي تحدث فيها عن المفهوم العلائقي للقوة (بنيويك وجرين 2010، 102-105).

فهي المكونات التي تخضع للتغير المستمر أو المصادر المعنوية، والتي تضم الشخصية القومية والمعنوية القومية ونوعية الدبلوماسية ونوعية الحكم.

4-2-3-1-ج استخدام القوة:

يشدد والتز على أهمية امتلاك القدرات ولكنه لا يرى بالضرورة استخدامها، بل على العكس، تقوم رؤيته على أن استخدام القوة بشكل أقل في كثير من الأحيان "عدم اللجوء إلى القوة العسكرية"، يجدي أكثر من استخدامها بشكل فعلي. فلا تحتاج الدول القوية استخدام القوة كثيراً نتيجة ضعف جيرانها، ويمكنها في كثير من الأحيان حماية مصالحها وتنفيذ مآربها بطرق أخرى غير الاستخدام الفعلي للقوة، ويمكن ذلك عن طريق الإقناع والترغيب، ومن خلال المساومة الاقتصادية والرشوة، أو من خلال الامداد بالمساعدات أو طرح التهديدات الرادعة، يجب ألا يتم التعرف على امتلاك القوة من خلال استخدامها فقط، ولمعرفة مدى فائدة القوة لا ينبغي الخلط بينها وبين قابليتها للاستخدام، وخاصة القوة العسكرية للدول العظمى التي فقدت الكثير من قابليتها للاستخدام. فقد أصبحت القوة العسكرية كالعملة التي لا يمكن أن تنفق أو الأموال التي فقدت الكثير من قيمتها، فالقوة العسكرية لوحدها لم تعد تجلب السيطرة السياسية، لأن تكلفة استخدامها قد ازداد في الوقت التي قلت فيه فائدتها. (Waltz 2010, 185-186) وهذا قريب نسبياً، وإن ليس تماماً، من رؤية هانز مورغنتاو على أنه من الحكمة التحدث بنعومة عوضاً عن التهديد باستخدام القوة (بعكس والتز الذي أدرج التهديدات الرادعة ضمن الأدوات)، مع المحافظة على هذه القوة ولكن دون استخدامها، حيث أن الدول، بحسب مورغنتاو، قادرة على إرهاب الآخرين واحتلالهم، ولكن لا تستطيع ضمان التقبل الطوعي لحكمهم، ورأى ان هذا هو ما يفسر فشل الفلسفة العسكرية الألمانية واليابانية مقارنة بالنجاح الروماني والبريطاني في بناء الامبراطوريات. (مورغنتاو 1964أ، 232). ولكن دعوة مورغنتاو لامتلاك أسباب القوة، يتضمن إشارة أيضاً للقرب من استخدام التهديد والردع، وبالتالي هناك تقارب بين المفكرين.

4-2-3-2 مفارقات:

تباينت طروحات والتز عن طروحات مورغنتاو حول الطبيعة البشرية، والهدف من القوة، وسياسات القوة، والأسس الداخلية للدولة، والموقف من المؤسسات الدولية.

4-2-3-2-أ الطبيعة البشرية:

تؤكد الواقعية الجديدة لوالتز أن السياسة الدولية لا يمكن فهمها إلا إذا أضيفت آثار البنية الخاصة بالنظام الدولي ككل، إلى التفسيرات على مستوى الوحدة للواقعية التقليدية. ويكون ذلك من خلال التأكيد على كيفية تأثير الهياكل (شكل توزيع القوة بين القوى العظمى)، على الأعمال والنتائج. وحسب قول والتز وفي إشارة لما يقوله مورغنتاو، "ترفض الواقعية الجديدة الافتراض بأن شهوة الإنسان الفطرية للقوة تشكل سبباً كافياً للحرب في غياب أي شيء آخر. إنها تعيد تصور العلاقة السببية بين الوحدات المتفاعلة والنتائج الدولية". (Waltz 1988, 617). كما مر سابقاً ترفض الواقعية الجديدة أن الطبيعة البشرية سلبية شريرة دائماً، ولكن الأهم أنها تقول أن لا علاقة بين طبيعة الأفراد وطبيعة الدول.

4-2-3-2-ب الهدف من القوة:

إن وظيفة الدول حسب والتز هي زيادة قوتها الخاصة بها أو الاتحاد مع الآخرين لزيادة هذه القوة، لأن الأمن في حالة الفوضى الدولية يكون الغاية الأسمى. وفي حالة تأكد بقاء الدولة، يمكنها السعي لتحقيق الأهداف الآخرى كالربح وزيادة القوة. وهنا تعتبر القوة وسيلة وليست غاية، لأن الهدف من التحالفات والقوة في النظام هو لتحقيق غاية الأمن والمحافظة على البقاء (Waltz 1986, 333). يذهب مورغنتاو في هذا الأمر في توجه آخر حيث يدمج في رؤيته للهدف من وراء القوة بكونها وسيلة وغاية معا.

4-2-3-2-ج سياسات القوة:

من أجل ضمان البقاء على قيد الحياة في بيئة المساعدة الذاتية، يجادل والتز أن الدول وخاصة القوى العظمى، يجب أن تكون حساسة لقدرات الدول الأخرى. ولذلك يفترض والتز أن الدول الحكيمة سوف تسعى فقط للحصول على قدر مناسب من القوة. فوفقا لوالتز، فإن القوة وسيلة لغاية الأمن. فقد كتب والتز: "لأن القوة هي وسيلة مفيدة على الأرجح، يحاول رجال الدولة العقلاء الحصول على قدر مناسب منها". ويضيف: "في المواقف الحاسمة، فإن الشاغل النهائي للدول ليس من أجل القوة بل من أجل الأمن" (Waltz 1988, 40). وهذا يعني حسب رأي والتز، أن الدول ستتخلى في بعض الأحيان عن اكتساب كميات إضافية من الطاقة إذا كان يُنظر إلى ذلك على أنه من المحتمل أن يعرض أمنها للخطر. إن العامل الأهم الذي يحدده والتز لسبب عدم رغبة الدولة في تعظيم قوتها النسبية يرجع إلى مقصده المركزي بأن "توازنات القوة تتشكل بشكل متكرر". السلوك العدواني والتوسعي في كثير من الأحيان، وفقا لوالتز، يثبت أنه يؤدي إلى نتائج عكسية، بتكوين تحالفات معادية. (Waltz 2010, 126-128).

نتيجة لاعتقاد والتز بأن الدول يميلون بقوة إلى الموازنة ضد القوى العدوانية، يمكن وصفهم بأنهم "أصحاب مواقف دفاعية" و"سوف يبحثون فقط عن الحد الأدنى من السلطة المطلوبة لتحقيق والحفاظ على أمنهم وبقائهم". ووفقاً لهذا الموقف "الواقعي الدفاعي"، فإن آلية توازن القوى هي أن الدول سوف تسعى إلى القوة فقط لتقليل الفجوات الدولية من القدرات بدلاً من تعظيم هذه الفجوات لمصلحتها الخاصة.

من جهة أخرى، يجادل مورغنتاو بأن هناك ثلاث سياسات للقوة، وهي: أن هناك بعض الدول قد ترغب فقط في الأمن، وهي دول تسير على سياسة الوضع الراهن. وهناك دولاً أخرى تسعى إلى المزيد من اكتساب القوة، وهي دول تسير على سياسة استعمارية، وهناك نوع آخر من الدول تهدف سياستها الخارجية إلى عرض ما تملكه من قوة إما بقصد الاحتفاظ بها أو زيادتها، وهي تسير على سياسة إظهار المهابة

(مورغنتاو 1964أ، 68). وبالتالي هو لا يطرح سياسات القوة من خلال نظرة الدولة إلى الدول الأخرى، ومن خلال الامتناع أحياناً عن امتلاك قوة لأنّ فائض القوة قد يثير حساسيات وصراعات غير مفيدة، كما يستدل من طرح مورغنتاو.

4-2-3-2-د الأسس الداخلية للدولة:

أهمل الواقعيون الجدد الأسس الداخلية وخاصة التي تتعلق بشكل الأنظمة الداخلية، في الوقت الذي عبر مورغنتاو عن اهتمامه بهذه الناحية وخاصة فيما يتعلق بالمعنويات القومية والروح القومية ونوعية الحكومة.

ويجرد والتز الدولة من كل السمات الثورية أو الشرعية أو الديمقراطية أو الشمولية وحتى طبيعة العلاقات بين الدول كالصداقة والعداء، ويركز والتز على القدرات التي لدى الدولة، ويهتم بالتوقعات التي تنشأ من خلال النظر في نوع النظام الذي يسود بينهم وفي توزيع القدرات داخل هذا النظام، "نحن مجردون من أي صفات خاصة ومن كافة الاتصالات الملموسة بين الدول". (Waltz 2010, 99)

وهذا يخالف تصورات مورغنتاو، الذي يرى أن قوة أي أمة من ناحية معنوية وقومية تقوم على نوعية الحكم، فالحكومة التي تكون ممثلة لشعبها بشكل حقيقي وتعبر عن تطلعات مواطنيها، تكون أكثر قدرة من غيرها في تجييش وتحشيد الطاقات القومية لتأييد أهدافها وتنفيذ سياساتها الدولية، "إن الأحرار أكثر قدرة على الحرب من العبيد". وبوجه عام، لا يمكن للحكومات الاستبدادية، التي لا تأخذ في سياساتها اعتباراً لرغبات الشعب، أن تعتمد على دعم شعبي كبير لسياساتها الخارجية. كما يجب تحقيق معنويات وطنية عالية من خلال التفاعل الحر للقيم السياسية والقوى الشعبية، مسترشدة بحكومة حكيمة ومسؤولة. يستند التماسك الوطني على نفس القيم السياسية التي تحتفظ بها كل من الحكومة والناس. وعندما تهتم الحكومة بما يعتقده الناس، ويريد الناس دعمه، فإن هذا البلد سوف يصبح أقوى وأكثر جاذبية في مجال السياسات الخارجية (مورغنتاو 1964أ، 198).

4-2-3-2-هـ المؤسسات الدولية:

يقوم اعتقاد والتز بما يخص المؤسسات الدولية بشكل عام والأمم المتحدة بشكل خاص، على أنه تم إنشاؤها من قبل الدول الأكثر قوة لتخدم مصالحها. فقد تم صياغة حق النقض (الفيتو) لحماية مصالح هذه الدول، ومن خلال هذا يرى والتز أن هذه الدول تتحكم بالمنظمة الدولية. ويعطي والتز مثالا على ذلك "أنه في الحرب على العراق في أوائل التسعينات تم استخدام قرار الأمم المتحدة لتشكيل تحالف دولي وشن الحرب على العراق، أما في عام 2003 لم توافق الأمم المتحدة على غزو العراق، فقال الأمريكان: لتذهب الأمم المتحدة إلى الجحيم، سنغزو العراق لأننا نريد غزو العراق، نحن لا نهتم بما تقوله الأمم المتحدة" (Beyer 2015, 50).

يتناقض هذا مع آراء مورغنتاو حول الأمم المتحدة، فقد قام (كما سبق إيضاحه) بالإقرار بعد سنوات من تأسيس المنظمة الدولية، بفائدتها، وبأنه يمكن الاستفادة منها لتقليل الصراعات الدولية للوصول إلى السلام، ويرى على حد تعبيره أن الواقعية تحتوي على إمكانية التحول من عالم الدول إلى عالم المؤسسات فوق الوطنية، ولكن بشرط أن يتحقق هذا التحول على أساس المصالح الحقيقية للدول.

4-3 ميرشايمر ومورغنتاو:

يقول ميرشايمر: "كان هانز مورغنتاو واحدا من أهم المفكرين السياسيين في القرن العشرين وأحد كبار المفكرين الواقعيين في كل العصور" (Mearsheimer 2005, 1). ويضيف ميرشايمر فقدت واقعية الطبيعة البشرية –إشارة إلى طروحات مورغنتاو– كثيرا من جاذبيتها في أوائل السبعينيات لأسباب مختلفة. أسهم رد الفعل في حرب فيتنام بالتأكيد في تراجع هذه النظرية، لأن أية نظرية تعتبر السعي وراء القوة العسكرية أمرا حتميا أصبحت غير مقبولة في الجامعات بحلول عام 1970. ويشير ميرشايمر أنه من المفارقات أن مورغنتاو كان من أوائل النقاد المفوهين لحرب فيتنام، علاوة على انهيار اتفاقية بريتون وودز

في عام 1971 وصدمة النفط في عام 1973، والقوة المتنامية للشركات متعدية الحدود قادت الكثيرين إلى الاعتقاد بأن القضايا الاقتصادية أصبحت أهم كثيرا من القضايا الأمنية. ويضيف ميرشايمر أن الواقعية، خاصة نسخة مورغنتاو، لم يكن لديها ما تقوله حول أسئلة الاقتصاد السياسي الدولي. بل ودفع البعض في أوائل السبعينيات بأن الشركات متعدية الحدود والقوى الآخرى العابرة للحدود تهدد سلامة الدولة نفسه وكانت عبارة "السيادة في خطر" متواترة في ذلك الوقت. وأخيرا كانت واقعية الطبيعة البشرية نظرية فلسفية في الأساس مغايرة للثورة السلوكية التي هيمنت على دراسة السياسة الدولية في أوائل السبعينيات. كان مورغنتاو يمقت نظريات علم الاجتماع الحديثة بشدة، لكنه خسر في حرب الأفكار وفقدت نظريته كثيرا من شرعيتها (ميرشايمر 2012، 507).

4-3-1 من هو ميرشايمر John J. Mearsheimer (1947-...):

منظر أمريكي الجنسية ولد في مدينة بروكلين الأمريكية في ولاية نيويورك، وهو رائد النظرية الواقعية الجديدة الهجومية، وأستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو منذ عام 1982، ويشغل فيها منصب المدير المشارك لبرنامج السياسة الأمنية الدولية، له العديد من المؤلفات والكتابات حول القضايا الأمنية والسياسية والعلاقات الدولية، ومن أبرز كتبه "مأساة سياسة القوى العظمى الذي نشر عام 2001" وكتاب "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية الذي صدر عام 2007" بالاشتراك مع ستيفن والت (2018).

4-3-2 آراء ميرشايمر في طروحات مورغنتاو:

يلخص ميرشايمر طروحات الواقعية بشكل عام بقوله: إن الواقعيين يتسمون بالتشاؤم في نظرتهم إلى السياسة الدولية، وتقوم هذه الرؤية المتشائمة للعلاقات الدولية على ثلاثة معتقدات. يتعامل الواقعيون مع الدول باعتبارها الفاعل الرئيس في السياسة الدولية، ويركز الواقعيون بالدرجة الأولى على القوى العظمى لأنها الدول التي تهيمن على السياسة الدولية وتشكلها، فضلا عن أنها هي التي تتسبب في الحروب المدمرة. كما

يرى الواقعيون أن سلوك القوى العظمى يتأثر بالدرجة الأولى ببيئتها الخارجية وليس خصائصها الداخلية. فبنية النظام الدولي التي تجد الدول نفسها مضطرة للتعامل معها هي التي تشكل السياسات الخارجية لهذه الدول، ولا ينحو الواقعييون إلى التمييز بين الدول " الطيبة " والدول " الشريرة "، لأن كل القوى العظمى تتصرف وفقا للمنطق عينه بغض النظر عن ثقافتها ونظامها السياسي أو شخص من يدير الحكومة. (ميرشايمر 2012، 22).

ويطرح ميرشايمر أنه توجد نظريات واقعية كثيرة تتعامل مع الجوانب المختلفة للقوة، لكن تبرز من بينها: واقعية الطبيعة البشرية human nature realism التي يعرضها كتاب مورغنتاو "السياسة بين الأمم". والذي يفسر لماذا تسعى الدول وراء القوة، بمعنى أنهما يسردان قصة أسباب التنافس الأمني. (ميرشايمر 2012، 23).

يرى ميرشايمر أن واقعية الطبيعة البشرية التي تسمى أحيانا "الواقعية الكلاسيكية" قد هيمنت على دراسة العلاقات الدولية من أواخر أربعينات القرن العشرين، حين بدأت كتابات مورغنتاو تجتذب جمهورا كبيرا، وظلت رائجة حتى أوائل سبعينات القرن نفسه. تقوم هذه النظرية على فرضية بسيطة مؤداها أن الدول يقودها بشر مجبولون بالفطرة على " الرغبة في القوة". ولذلك تتميز الدول بشهية لا تشبع إلى القوة، أو ما يسميه مورغنتاو " شهوة جامحة إلى القوة"، ما يعني أنها تبحث دوما عن فرص للمبادرة بالهجوم والسيطرة على الدول الأخرى. ويعني ذلك أن كل الدول تولد مزودة " بروح عدوانية نحو الهيمنة"، ولذلك فلا أساس للتمييز بين الدول الأكثر عدوانية والدول الأقل عدوانية، وبالتأكيد لا يوجد مكان في النظرية لدول الوضع الراهن. وتدرك واقعية الطبيعة البشرية أن الفوضى الدولية، بمعنى عدم وجود سلطة حاكمة فوق القوى العظمى، تثير قلق الدول بشأن توازن القوة. لكن ذلك القيد البنيوي يعتبر سببا من الدرجة الثانية لسلوك

الدولة، حيث يتمثل الدافع الأساس في السياسة الدولية في الرغبة في القوة المتأصلة في دول النظام كافة التي تدفعها جميعا للسعي وراء التفوق. (ميرشايمر 2012، 24).

ويشير ميرشايمر أن هناك العديد من المفكرين الذين تحدوا توجهات مورغنتاو وطروحاته، على سبيل المثال يتحدى والتز ادعاء مورغنتاو بأن النظم متعددة الأقطاب تنحو إلى الاستقرار أكثر من النظم ثنائية القطبية. وبينما يدفع مورغنتاو بأن الدول تسعى إلى زيادة قوتها لأن لديها رغبة فطرية في القوة، يذهب والتز إلى أن بنية النظام الدولي تجبر الدول على السعي وراء القوة لتحسين فرص بقائها. (ميرشايمر 2012، 19).

ويقول ميرشايمر: "على أن نظريتي –الواقعية الهجومية– هي الأخرى نظرية بنيوية للسياسة الدولية، تنظر إلى القوى العظمى، على أنها تهتم بالدرجة الأولى بالحفاظ على بقائها في عالم لا توجد فيه هيئة لحمايتها من بعضها البعض، ولذلك سرعان ما تدرك أن القوة هي الأساس لبقائها. فيما تفترق الواقعية الهجومية عن الواقعية الدفاعية حول السؤال عن مقدار القوة الذي تحتاجه الدولة. فالبنسبة للواقعيين الدفاعيين لا تقدم البنية الدولية للدول دافعا للسعي لزيادة القوة، بل تدفعهم للحفاظ على توازن القوة الحالي. فالحفاظ على القوة، وليس زيادتها، هو الهدف الرئيس للدول. أما الواقعيون الهجوميون فيرون، في المقابل، أن قوى الوضع الراهن لا توجد إلا نادرا في السياسة الدولية، لأن النظام الدولي ينفث في الدول دوافع قوية للبحث عن فرص لزيادة قوتها على حساب منافسيها واستغلال تلك المواقف حين تكون كفة العائد أرجح من كفة التكلفة. فالهدف النهائي للدولة هو أن تصبح الدولة المهيمنة في النظام" (ميرشايمر 2012، 27).

4-3-3 مقاربات ومفارقات مفهوم القوة بين ميرشايمر ومورغنتاو:

تعددت أوجه التقارب والتباين بين ميرشايمر ومورغنتاو، ويعالج هذا القسم هذه التقاربات والمفارقات.

4-3-3-1 تقاربات:

يتفق ميرشايمر مع مورغنتاو في ثلاث نقاط وهي:

4-3-3-1-أ سعي الدول للهيمنة:

يتفق جون ميرشايمر حسب قوله مع مورغنتاو: "في أن الدول تسعى باستمرار إلى الهيمنة على الدول الأخرى" (Mearsheimer 2004, 184). ويضيف إن كلا من الواقعية الهجومية وواقعية الطبيعة البشرية تصوران القوى العظمى، على أنها تسعى دون كلل وراء القوة (ميرشايمر 2012، 27). وينطبق هذا مع رؤية مورغنتاو الإمبريقية في أن الدول تسعى للحصول على المزيد والمزيد من القوة بالنسبة لمنافسيها لزيادة أمنها (Morgenthau 1985, 189).

4-3-3-1-ب أهمية العوامل المعنوية:

تقوم رؤية ميرشايمر على أنه يمكن قياس القوة بعد أن تتحدد النتيجة فقط أي أنه يمكن معرفة من الأقوى بعد ظهور نتائج الخلاف ومن هو المنتصر، ويرفض ميرشايمر الاعتماد الكامل على القدرات المادية لأنها ليست منبئاً موثوقاً جداً بالنجاح العسكري، وذلك لأن العوامل غير المادية تقدم للمقاتل أحياناً ميزة حاسمة على الآخرين (ميرشايمر 2012، 72).

وتتضمن تلك العوامل: الاستراتيجية والاستخبارات والعزيمة والطقس والمرض، فهناك حروب كثيرة كان المنتصر فيها إما أقل قوة من الخاسر أو في مستوى قوته نفسه، لكن المنتصر غَلب بسبب العوامل غير المادية، ومثال على ذلك الاستراتيجية والتي تعني الطريقة التي توظف بها الدولة قواتها ضد قوات خصمها والتي ربما تكون من أهم العوامل غير المادية عند ميرشايمر (ميرشايمر 2012، 73-74). تماما كما قال مورغنتاو أن الأهم من القدرات العسكرية هي الجوانب المعنوية التي تتعلق بشخصية الأمة ومعنوياتها ونوعية الحكم فيها (Morgenthau1985,186).

4-3-3-1-ج الحرب على فيتنام والعراق:

يتفق ميرشايمر مع مورغنتاو في معارضته للحرب على فيتنام، وفي مقارنة مفترضة يعقدها مرشايمر بين الحرب على فيتنام والحرب على العراق عام 2003، يفترض أن مورغنتاو سيعارض الحرب على العراق أيضاً.

ويوضح ميرشايمر ذلك بقوله: عارض مورغنتاو، مع جميع الواقعيين تقريبا في الولايات المتحدة – باستثناء هنري كيسنجر – حرب فيتنام، حيث جاءت معارضتهم مبكرا، قبل أن يتضح أن الحرب كانت قضية خاسرة. في الواقع، حذر مورغنتاو من التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام في أواخر الخمسينات، وبالمثل، فإن جميع الواقعيين تقريباً في الولايات المتحدة – باستثناء هنري كيسنجر– أيضا، عارضوا الحرب على العراق. ويفترض ميرشايمر ذلك لأن الواقعيين وإن كانوا لا يؤمنون بالعيش في عالم مبني على التعاون، فإنهم يميلون إلى الاعتقاد بالعيش في عالم متوازن، ولكن عندما تضع دولة ما قبضتها في وجه دولة أخرى، فإن الدولة الثانية عادة لا تلقي يديها في الهواء للاستسلام. بدلا من ذلك، تبحث الدول عن طرق للدفاع عن نفسها (Mearsheimer 2005, 1-4).

يتطابق هذا مع طروحات مورغنتاو، فعلى الرغم من طرحه بأن الدول تسعى إلى المزيد والمزيد من تجميع القوة، إلا أنه يحذر من استخدام القوة بشكل فعلي. فهو يرى أن الهدف من تجميع القوة هو ردع العدو ودفعه للعدول عن استخدام قوته، ولا يكون الهدف هنا هو الحرب، بل دفع العدو على تغيير رأيه (مورغنتاو 1964أ، 57). ويؤكد مورغنتاو على هذا بقوله: "ولا ريب في أن الدولة التي تلقي في موازين السياسات الدولية بالحد الأقصى من السلطان المادي الذي تستطيع تجميعه تجد نفسها وقد واجهت الحد الأقصى من جهود منافسيها، وستجد نفسها أنها باتت دون أصدقاء وكل ما أمامها إما أعداء أو أتباع غير راضيين" (مورغنتاو 1964أ، 232).

ويطرح ميرشايمر فيما يتعلق بآراء مورغنتاو حول رفض التدخل الأمريكي في فيتنام، فإن المسألة الحاسمة هي كيف فكر في نظرية الدومينو[9]. لم يكن من المستغرب أن يعتقد مورغنتاو بأن نظرية الدومينو كانت "كلام فارغ"، وأن سقوط فيتنام لن يكون له تأثير متتالي في جنوب شرق آسيا، ناهيك عن العالم بأسره (Mearsheimer 2005, 4).

رفض مورغنتاو القبول بنظرية الدومينو على اعتبارها كلام فارغ، وعبر عن ذلك في مقالة نشرها في جريدة Washington Post بتاريخ 15 آذار 1964، وكان رفضه مبنياً على أن الشيوعية في بلد ما لا علاقة لها بالتطورات في بلد آخر (See 2001, 434). وقد أطلق مورغنتاو على ذلك "الفهم الميكانيكي للسياسة"، يضاف على هذا أن مورغنتاو رفض الحرب على فيتنام نتيجة اعتبارات تتعلق بالجاذبية والمصداقية الأمريكية، وقد تم توضيح هذه الاعتبارات في القسم الذي يتحدث عن مورغنتاو والحرب على فيتنام.

4-3-3-2 مفارقات:

نتيجة الاختلاف بين ميرشايمر ومورغنتاو حول أسس تحليل الظواهر الدولية، انسحب هذا الاختلاف على عدة جوانب تختص بمفهوم القوة، وهي كالتالي:

4-3-3-2-أ الطبيعة البشرية:

يختلف ميرشايمر مع مورغنتاو حول سبب سعي الدول المستمر للهيمنة، بقوله: "نختلف أنا ومورغنتاو حول سبب تصرف الدول بهذه الطريقة؛ في حين يجادل مورغنتاو بأن هذا السلوك يرجع إلى الطبيعة البشرية، فأنا أزعم أن بنية النظام الدولي تجبر الدول التي تسعى إلى أن تكون آمنة فقط للعمل مع بعضها البعض بعنف

[9] نظرية الدومينو: شكلت قلب الجدل حول ما إذا كان القتال في فيتنام مجدياً أم لا، وهي نظرية تفترض أنه إذا ما سقطت فيتنام في وجه الشيوعية، فإن دولًا أخرى في جنوب شرق آسيا ستتبعها بسرعة، ومن ثم ستبدأ الدول في مناطق أخرى في الانخراط تحت حكم الاتحاد السوفييتي. وفي النهاية، فإن كل دولة في النظام الدولي تقريباً ستقفز على العربة السوفييتية، تاركة الولايات المتحدة بمفردها وتضعف ضد قوة هائلة لا يمكن وقفها.

تجاه بعضها البعض" (Mearsheimer 2004, 184). ويكمل ميرشايمر: "إنني لا أتبنى ادعاء مورغنتاو بأن الدول تتصرف بثبات بشكل عدواني لأن لديها إرادة للسلطة في صلبها. بدلاً من ذلك، أفترض أن دافع المبدأ هو أن سلوك القوة العظمى هو السعي للحفاظ على الأمن" (Mearsheimer 2004, 196).

وبالفعل يختلف مورغنتاو عن ميرشايمر في هذه النقطة، فقد رأى في السعي وراء القوة محرك الإنسان الأساسي للسيطرة على الآخرين. وكان أحد الافتراضات الأساسية لمورغنتاو حول الطبيعة البشرية هو أن جميع الرجال يحملون "شهوة قوية للقوة". ووفقاً لمورغنتاو، فإن "الإنسان حيوان سياسي بطبيعته" الذي "ولد ليطلب القوة" (Morgenthau 1946, 165). كما يعتبر مورغنتاو أن الميل للهيمنة والسيطرة في جميع الترابطات الإنسانية والتي تنتهي بالدولة (مورغنتاو 1964أ، 61)، يحاول مورغنتاو أن يبرهن بأن الدولة في صراعها من أجل القوة في المجال الدولي تتصرف مثل الإنسان الفرد، والمعضلة هنا أن مورغنتاو يُرجع نظريته إلى الطبيعة البشرية، إلا أنه يعتمد الدولة كفاعل دولي وليس الإنسان الفرد. أدى هذا الطرح بمورغنتاو لوضع تصوره المعياري للقوة، على عكس ميرشايمر ووالتز الذين يركزون على البعد الإمبريقي نتيجة اعتمادهم على بنية النظام الدولي كمحرك لتصرفات الدول، والذي يتطلب التركيز على الجوانب المادية بشكل كبير.

4-3-3-2-ب تعريف القوة:

وضع مورغنتاو طرح مزدوج للقوة إمبريقي قائم على تشخيص واقع القوة (كما هو وكما تجلى في العلاقات الدولية)، حيث السعي للحفاظ على الذات وإلى الهيمنة يجعل القوة هدفاً بذاتها. ومعياري قائم على تحقيق المصلحة الذاتية للدولة مع السعي لمصلحة عامة للعالم، كما تم توضيحه سابقاً.

أما ميرشايمر فيعرف القوة من الناحيةالإ بقوله: "لا تتمثل القوة كما أُعرفها، في شيء غير الأصول المحددة أو الموارد المادية التي تمتلكها الدولة". ويشير ميرشايمر إلى أن تعريف "الآخرين" –في إشارة إلى

تعريف دال[10]– للقوة من "منظور نتائج التفاعلات بين الدول، وارتباطها قبل كل شيء بالسيطرة على الدول الأخرى أو التأثير عليها"، ومنها تعريف روبرت دال الذي يرى "أن الدولة (أ) تمتلك قوة على الدولة (ب) بقدر ما تستطيع (أ) أن تجبر (ب) على فعل شيء ما كانت (ب) لتفعله لولا ذلك"، هو تعريف قد يبدو أنه لا يختلف عن تعريفه للقوة الذي ينص على أن "القوة لا تتمثل إلا في الموارد المادية التي تمتلكها الدولة"، ولكن يؤكد ميرشايمر أنه من غير الممكن دمج هذين التعريفين، ويرفض المنطق القائم على اعتبار أن القوة توجد فقط حين تمارس الدولة السيطرة أو التأثير (ميرشايمر 2012، 70–71).

4–3–3–2–ج الهدف من القوة:

يؤيد ميرشايمر التوجه الذي يعتبر أن القوة هي "الوسيلة المثلى للبقاء في عالم خطر للوصول إلى الغاية"، والغاية النهائية هنا حسب ميرشايمر هي البقاء في ظل نظام فوضوي (ميرشايمر 2016، 215). أما مورغنتاو فهو يرى القوة بكونها وسيلة وغاية بنفس الوقت.

4–3–3–2–د موارد القوة:

يحدد ميرشايمر موارد القوة بالاعتماد على القدرات المادية التي تمتلكها الدولة، وتتشكل هذه القدرات المادية من القوة الكامنة والقوة العسكرية، وهما مصدران للقوة مترابطان وليسا مترادفان. فالقوة الكامنة تشير إلى المقومات الاجتماعية والاقتصادية التي تدخل في بناء القوة العسكرية، وتعتمد بالدرجة الأولى على ثروة الدولة وعدد السكان. فالقوى العظمى تحتاج للمال والتقنية والموظفين لبناء القوات العسكرية وخوض الحروب، وتشير القوة الكامنة للدولة إلى القوة الخام التي تعتمد عليها الدولة للتنافس مع الخصوم (Mearsheimer 2004, 188).

[10] يشار إلى اشتراك كل من كينث والتز وجون ميرشايمر إلى الاشارة لتعريف روبرت دال للقوة، ولكن الفارق بين والتز وميرشايمر، أن الاول يقبل بتعريف دال بشكل جزئي ضمن طروحاته، في حين يرفض الثاني تعريف دال، كما تجدر الاشارة إلى التقارب الكبير بين تعريف دال للقوة مع تعريف مورغنتاو.

وبالرغم من أن عدد السكان والثروة مكونان أساسيان للقوة العسكرية، إلا أن ميرشايمر يستخدم الثروة وحدها لقياس القوة الكامنة، لأن الثروة برأيه تضم كلا من الأبعاد السكانية والاقتصادية للقوة، ويتضمن مؤشر ثروة الدولة قابلية التعبئة ومستوى تطورها التقني. وتشير "الثروة القابلة للتعبئة" إلى الموارد الاقتصادية التي تمتلكها الدولة لبناء القوة العسكرية، وهي أهم من الثروة الاجمالية، لأن المهم ليس مدى ثراء الدولة بل مقدار الثروة المتاحة للإنفاق على الدفاع العسكري، ومن المهم أيضاً أن تمتلك الدولة صناعات تنتج أحدث التقنيات وأكثرها تطوراً لأنها تستخدم دائماً في إنتاج الأسلحة المتطورة (Mearsheimer 2004, 190-191). يختلف هذا الطرح عما قدمه مورغنتاو حول مقومات القوة المادية والمعنوية معاً وضرورة الجمع بين كل هذه المقومات بنفس الوقت.

4-3-3-2-هـ أولوية القوة العسكرية:

يؤكد ميرشايمر على أولوية القوة العسكرية بقوله: "في مجال السياسة الدولية تكون قوة الدولة في النهاية دالة لقوتها العسكرية... فإنني أُعرف القوة في المقام الأول من المنظور العسكري" (ميرشايمر 2012، 69)، وتنقسم القوة لديه إلى القوة الكامنة والقوة الفعلية، وتتمثل القوة الكامنة حسب ميرشايمر في الموارد المجتمعية التي تمتلكها الدولة لبناء قواتها العسكرية، على أن هذه الموارد تكون دائماً متنوعة جداً، ويبقى عدد سكان الدولة وثروتها المكونين الأهم لتوليد القوة العسكرية، إذ يمثل عدد السكان أهمية كبيرة لأن القوى العظمى تحتاج إلى جيوش ضخمة لا يمكن حشدها إلا في الدول كثيرة السكان، ويترتب على عدد السكان نتائج اقتصادية مهمة فعدد السكان الكبير يستطيع أن ينتج ثروة كبيرة، وهذه الثروة هي حجر الأساس الثاني للقوة العسكرية، وتكتسب الثروة أهمية خاصة لأن الدولة لا تستطيع أن تبني جيشاً قوياً إذا لم تكن تملك المال والتقنية لتجهيز القوات المقاتلة وتدريبها والاستمرار في تحديثها وتحمل تكاليف الحرب الباهظة (ميرشايمر 2012، 76).

وتَنتُج القوة في السياسة الدولية حسب ميرشايمر بالدرجة الأولى عن القوات العسكرية التي تمتلكها الدولة، وتستطيع القوى العظمى عموماً أن تمتلك أنواعاً مختلفة من القوات المقاتلة، ويؤثر مقدار ما تقتنيه الدولة من كل نوع بشدة على توازن القوة، وهي القوة البحرية المستقلة والسلاح الجوي الاستراتيجي والقوة البرية والأسلحة النووية. فالقوة البرية هي الشكل المهيمن للقوة العسكرية في العالم الحديث على حد تعبير ميرشايمر، حيث تكمن قوة الدولة بالدرجة الأولى حسب رؤيته في جيشها وقواتها الجوية والبحرية التي توفرالإ للقوات البرية "إن الدول الأقوى هي تلك التي تملك جيوشاً أقوى"، وبذلك فإن قياس توازن القوة البرية يقدم في ذاته مؤشراً أولياً سليماً للقوة بالتناسب مع القوى المتنافسة (ميرشايمر 2012، 105).

تبرز أهمية القوة البرية عند ميرشايمر، باعتبارها الآلة العسكرية الحاسمة، لأن الحروب تربحها الكتائب الجرارة، وليس الأساطيل الجوية أو البحرية، ويرفض ميرشايمر الطروحات التي تتحدث عن أن الأسلحة النووية تقلل من أهمية القوة البرية كثيراً، ولكن –حسب ميرشايمر– تكشف أنماط التحالفات التي تشكلت في أثناء الحرب الباردة أدلة على أن القوة البرية هي المكون الرئيسي للقوة العسكرية. ففي عالم تهيمن عليه قوتان عظيمتان كان التوقع أن تتكاتف الدول الرئيسية الاخرى مع الدولة العظمى الاضعف ضد الأقوى، ولكن على خلاف ذلك كانت الولايات المتحدة طوال الحرب أغنى كثيراً من الاتحاد السوفيتي وتتفوق عليه بميزة كبيرة في القوات البحرية والقاذفات الاستراتيجية والرؤوس النووية. ومع ذلك نظرت كل من فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا واليابان وبريطانيا وحتى الصين إلى الاتحاد السوفيتي بوصفه الأقوى في النظام، وليس الولايات المتحدة، فقد تحالفت تلك الدول مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي لأنها كانت تخشى الجيش السوفيتي البري القريب إليها وليس الجيش الامريكي، وقد تلاشى الخوف من التهديد الروسي بعد الحرب الباردة على الرغم من امتلاك روسيا آلاف الأسلحة النووية، لأن الجيش الروسي ضعيف وغير

مؤهل لهجوم بري كبير، ولو تعافى الجيش الروسي وأصبح قوة مقاتلة مهولة من جديد ستعود الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيون القلق من التهديد الروسي (ميرشايمر 2012، 106–108).

وبهذا تتمثل رؤية ميرشايمر بشكل أساسي في أن "القوة الاقتصادية هي أساس القوة العسكرية" (ميرشايمر 2012، 182)، حيث تتمثل القوة العسكرية بالجيوش والتي تضم القوات البرية والجوية والبحرية، والتي تشكل العمود الأساسي للقوة في العالم الحديث، وحتى في العالم النووي فلا تزال القوة العسكرية وخاصة القوات البرية هي الاهم من بين جميع أنواع القوات كافة.

من جهته، حذر مورغنتاو من الاعتماد على القدرات العسكرية إذ "تمثل القدرات العسكرية جانب مهم من القوة، إلا أن الأهم من ذلك هو شخصية الأمة ومعنوياتها ونوعية الحكم فيها" (Morgenthau1985,186)، ويفرق مورغنتاو، بين الهدف من الاستعدادات العسكرية والحرب؛ ويرى أن الهدف السياسي من الاستعدادات العسكرية مهما كان نوعها هو الحيلولة دون الدول الأخرى، واستخدام قوتها العسكرية عن طريق اظهار ما في هذا الاستخدام من خطر عليها هي، وبهذا يكون الهدف السياسي للإعداد العسكري هو إظهار الاستخدام العقلي للقوة الحربية بمظهر الشيء الذي لا ضرورة له عن طريق إقناع العدو المحتمل بالعودة عن استخدامه، ولا يكون الهدف السياسي للحرب نفسها على هذا الأساس، بل يكون، وبحكم الضرورة احتلال أراضي العدو أو إبادة جيشه بل دفعه على تغيير رأيه وقبول إرادة المنتصر (مورغنتاو 1964أ، 57).

وأوضح مورغنتاو أن مفهوم الفلسفة العسكرية القائل بأن قوة أي أمة تكون، بالغالب إن لم يكن دائماً، في قوتها العسكرية التي تقاس على ضوء الكم فقط، وعلى ضوء ذلك تصبح الجيوش الضخمة والأساطيل الكبيرة والقوة الجوية العظيمة هي المعيار الوحيد للسلطان القومي، هو مفهوم خاطئ وهو الذي يؤدي الى خطيئة أخرى حتمية وهو إيجاد التعادل بين القوة القومية والقوة المادية (مورغنتاو 1964أ، 232).

كما وتعتبر الحرب حسب ميرشايمر هي الاستراتيجية الرئيسية التي تستخدمها الدول لزيادة قوتها النسبية، وعلى الرغم من أن الحرب هي الاستراتيجية الأكثر خلافية، إلا أن الغزو على حد تعبير ميرشايمر "يستطيع أن يحسن مكانة الدولة من حيث القوة"، كما ينتقد ميرشايمر التوجهات التي ترى بأن الحرب هي قضية خاسرة على اعتبار أن تكاليفها مرتفعة، ويعتمد ميرشايمر في نقده هذا ان ثمة دول كثيرة توسعت بحد السيف ولم تدمر اقتصاداتها في أثناء ذلك، كالولايات المتحدة الأمريكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبروسيا بين عامي 1862–1870، حيث عاد العدوان عليهما بفوائد اقتصادية (ميرشايمر 2012، 187–188).

في اتجاه معاكس لهذا الطرح، ركز مورغنتاو اهتمامه الكبير على الجاذبية والهيبة والسمعة والمصداقية الأمريكية، بكونها أسس هامة في المصلحة الأمريكية والتي تشكل مرتكز للقوة الحقيقية، وعلى حد تعبير مورغنتاو، "القوة الحقيقية للأمة لا تتكون من عدد الرؤوس النووية التي تمتلكها أو عدد الانقسامات أو حاملات الطائرات، ولكن من الصورة الأخلاقية التي تقدمها، ليس فقط بالكلمات، ولكن على الأخص في الأعمال الموجهة إلى بقية العالم".(Morgenthau 1969, 15).

4-3-3-2-و الأسس الداخلية:

يتفق ميرشايمر مع والتز في إهمال الأسس الداخلية للدولة، ويضيف ميرشايمر قائلا: "أن النظريات الواقعية الجديدة تهمل الاختلافات الثقافية بين الدول وكذلك الاختلافات في أنواع الأنظمة الحاكمة، وذلك مبدئياً لأن النظام الدولي يخلق الحوافز الأساسية نفسها للقوى العظمى جميعها. وسواء أكانت الدولة ديمقراطية أو أوتوقراطية استبدادية، فإن ذلك قليل الأهمية نسبياً عندما يتعلق الأمر بالطريقة التي تتصرف بها الدول تجاه الدول الأخرى. كما أنه ليس مهماً إلى ذلك الحد مَن الذي يكون مسؤولاً عن السياسة الخارجية للدولة. ويتعامل الواقعيون الجدد مع الدول وكأنها صناديق سوداء، أي أنه يُفترض بها أن تكون متشابهة، باستثناء

ما يتعلق بحقيقة أن بعض الدول أقوى من دول أخرى أو أضعف منها" (ميرشايمر 2016، 214). وهذا يخالف تصورات مورغنتاو، الذي يرى أن قوة أي أمة من ناحية معنوية وقومية تقوم على نوعية الحكم، كما تم توضيحه سابقاً.

4-3-3-2-ز المنظمات الدولية:

يرفض ميرشايمر الاعتماد على المنظمات الدولية كوسيلة لتحقيق الأمن أو السلام، إذ أنه لا يرى بأن الأمم المتحدة أو أية مؤسسة دولية أخرى لديها قوة إجبار كبيرة على القوى العظمى. ويرى أيضا أنه على الرغم من زيادة عدد المؤسسات الدولية ونمو قدرتها على الضغط على الدول لكي تتعاون فيما بينها في مسائل كبح التنافس الأمني وتعزيز السلام، إلا انها غير قادرة على أن تجعل القوى العظمى أن تتصرف خلافا لما تمليه الواقعية على الدول وهي حسب ميرشايمر السعي للبقاء. فالأمم المتحدة لم تستطع إيقاف الحرب في البوسنة بين عامي 1992-1995، فما بالك بإجبار القوى العظمى، بل يرى ميرشايمر أن تأثير الأمم المتحدة ضعيف وربما يتآكل أكثر في القرن الواحد والعشرين، وبذلك تتلخص رؤية ميرشايمر للمنظمات الدولية أنها لا تستطيع أن ترغم الدول الأعضاء على التصرف خلافاً لمصالحها الاستراتيجية، وهي عاجزة على التأثير في سلوك القوى العظمى، لأن هذه المؤسسات كما قال والتز سابقاً قد خُلقت من قبل الدول الأقوى وتشكلت لتكون في خدمة هذه الدول. وعلى سبيل المثال: تعتبر الولايات المتحدة هي أقوى دولة في العالم وتفرض رأيها عادةً في القضايا التي تعتبرها مهمة، وإذا لم تستطع تتجاهل هذه المنظمة وتفعل ما تعتبره في مصلحتها الوطنية (ميرشايمر 2012 454-456). يتناقض هذا مع آراء مورغنتاو حول الامم المتحدة، والتي تم مناقشتها سابقا.

4-4 الخلاصة:

الواقعيون هم منظرو سياسة القوة، ولكن على الرغم من أن الواقعيين يعتمدون في تحليلهم للسياسة الدولية على دور القوة، إلا أن هناك قدراً كبيراً من الاختلاف في كيفية تصور المفكرين الواقعيين الفرديين لهذا المفهوم. تشكل صورة الدول التي تكافح من أجل القوة والأمن أساساً أساسياً للأنطولوجيا الواقعية للسياسة الدولية. ومع أن الواقعيين يشتركون في الرأي القائل إن الدول تتنافس باستمرار على القوة، إلا أنها تختلف حول العوامل التي تفسر هذا الصراع الدائم من أجل القوة.

والجلي من الأفكار التي تم عرضها في هذا الفصل، أن الاختلافات الأساسية بين مورغنتاو والواقعيون الجدد (والتز وميرشايمر)، لها علاقة بمنهجبة النظرية والهدف منها، الأمر الذي دفع إلى وجود تشابه في بعض الجوانب التي تتمحور حول مفهوم القوة، ولكن أدى إلى اختلافات أكثر حول القوة.

إذ يقدم كل من مورغنتاو ووالتز وميرشايمر تفسيراً مختلفاً لسلوك الدول التي تبحث عن القوة. في حالة مورغنتاو، يعزى سلوك الدول الناجم عن القوة إلى طبيعة الإنسان، بينما يعزوها والتز وميرشايمر إلى الحالة الفوضوية للسياسة الدولية والتوزيع النسبي للقوة في النظام الدولي.

ويتضح هذا من خلال الانتقادات التي وجهها كل من والتز وميرشايمر لأبرز طروحات مورغنتاو، وعلى الرغم من وجود اتفاق بينهم على بعض الأسس كأهمية الدولة وفوضوية النظام الدولي ومركزية مفهوم القوة، إلا أن الاختلافات المنهجية في كلا النظريتين (الواقعية الجديدة وواقعية مورغنتاو) كانت أبرز. ولذلك يمكن اعتبار أن الواقعية الجديدة كانت أكثر منهجية من الناحية النظرية، ولكنها أقل ثراءً من الناحية التاريخية من واقعية مورغنتاو.

وفيما يتعلق بمفهوم القوة، فإن أوجه التشابه بين طروحات والتز وميرشايمر كانت أقل من أوجه الاختلاف مع طروحات مورغنتاو. فقد تقاربت طروحات والتز مع مورغنتاو فيما يتعلق بتعريف القوة، كما أنه هناك اتفاق بينهما حول موارد القوة المادية والمعنوية، ولكن والتز على عكس مورغنتاو يكتفي بالإشارة إلى هذه الموارد كقدرات، ويربط سمات وحدات النظام بهذه الموارد المادية وغير المادية، ولم يقدم تعريفاً لهذه القدرات، ولا يشير بدقة إلى كيفية قياسها، في حين فصل مورغنتاو هذه الموارد والمقومات، واتبع ميرشايمر مورغنتاو في تفصيل موارد القوة المادية التي اعتمدها.

كما يتفق والتز مع مورغنتاو حول قواعد استخدام القوة من خلال التحذير من مخاطر استخدام القوة في ظل غياب الضوابط المحكومة بالمصالح الخاصة بالدولة، والأخذ بعين الاعتبار المصالح الحيوية والتوازنات للدول الأخرى. إضافة إلى الاعتماد على طرق الإقناع والترغيب يجدي أكثر من اللجوء إلى القوة القسرية واستخدامها بشكل فعلي، ويتقارب هذا مع ما طرحه مورغنتاو في ضرورة عدم اللجوء إلى استخدام القوة بشكل فعلي، لأن القوة علاقة نفسية بين من يمارسها ومن تمارس عليه، وهي تمنح الأول سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون عن طريق النفوذ الذي يملكونه باستخدام الإقناع، لأن الهدف من القوة هو السيطرة على أعمال الآخرين عن طريق التأثير في عقولهم.

أما الاتفاق بين ميرشايمر ومورغنتاو فقد كان حول سعي الدول للهيمنة وتعزيز القوة، في حين تتباين طروحات والتز مع مورغنتاو حول سياسات القوة. وبهذا تكون واقعية ميرشايمر الهجومية أقرب إلى واقعية مورغنتاو الكلاسيكية في هذا التوجه. يضاف على هذا اتفاق ميرشايمر مع مورغنتاو حول أهمية العوامل المعنوية، إلا أن ميرشايمر يطرح بضرورة الفصل عند تعريف القوة من حيث الموارد أو من حيث القدرة على التأثير. كما يلتقي ميرشايمر مع مورغنتاو في رفضه للتدخل الأمريكي في فيتنام، وأن مورغنتاو كان

سيعارض الحرب الأمريكية على العراق أيضاً، ولكن مورغنتاو عارض الحرب على فيتنام نتيجة عدة اعتبارات تتعلق بالمصلحة الوطنية والتي ربطها بالمصداقية والأخلاق.

تفوقت أوجه الاختلاف بين والتز وميرشايمر من طرف ومورغنتاو من طرف آخر، على أوجه التشابه، وهي كالتالي:

يلتقي والتز وميرشايمر على الاختلاف مع مورغنتاو حول الدافع من وراء القوة، فقد أرجع مورغنتاو في أن الطبيعة البشرية هي الدافع والمحرك للإنسان في السعي وراء القوة، وينسحب هذا الأمر على سعي الدول وراء القوة في النظام الدولي، أي أن الدافع من أسفل إلى أعلى، بأخذ الطبيعة البشرية كنقطة انطلاق ويزيد من مستويات التحليل لتصل للدولة. بينما يرى والتز وميرشايمر أن بنية النظام الدولي الفوضوية هي الدافع والمحرك وراء سعي الدول للقوة من أجل المحافظة على البقاء، أي أن الدافع من أعلى إلى أسفل، بأخذ بنية النظام الدولة كنقطة انطلاق للتحليل. دفع هذا الأمر إلى اتفاق والتز وميرشايمر حول الهدف من القوة واعتبارها وسيلة لتحقيق غاية الأمن والمحافظة على البقاء، على خلاف ما يراه مورغنتاو بكون القوة تمثل وسيلة وغاية بنفس الوقت.

ويختلف ميرشايمر مع مورغنتاو في تعريف القوة، إذ يركز ميرشايمر في تعريفه للقوة على أنها لا تتمثل إلا في الأصول المادية المحددة، في حين أن القوة بالنسبة لمورغنتاو هي أي شيء يقيم سيادة إنسان على انسان آخر. قاد هذا الأمر إلى تركيز ميرشايمر على الموارد المادية فقط لقوة الدولة، وعلى الرغم من تشابه طرح ميرشايمر حول موارد القوة مع جزء من طروحات مورغنتاو، إلا أن هذا يعتبر اختلاف، فقد وسع مورغنتاو من طروحاته حول مقومات القوة لتشمل الموارد المادية وغير المادية، في حين ركز ميرشايمر على الجانب المادي من هذه المقومات القائمة على الثروة والقدرات العسكرية، وبهذا يأخذ ميرشايمر الجانب الإمبريقي من القوة.

دفع هذا الاختلاف أيضاً إلى اختلاف آخر وهو أولوية القوة العسكرية، إذ يؤكد ميرشايمر على أولوية القوة العسكرية ويعرف القوة من المنظور العسكري، وهذا يتناقض مع طرح مورغنتاو أن قوة الأمم لا تقاس بقوتها العسكرية، لأن هذا الأمر يقود إلى خطيئة المعادلة بين القوة القومية والقوة المادية، وقوة الأمة في اعتبارات مورغنتاو لا تكون بامتلاكها القدرات العسكرية فقط، وإنما من خلال جميع القدرات المادية والمعنوية بشكل خاص وبالذات الدبلوماسية. ويتفق والتز مع مورغنتاو في عدم جدوى القوة العسكرية وتراجعها ويجدر الاعتماد على طرق الإقناع والترغيب.

يتفق والتز وميرشايمر مرة أخرى في الاختلاف مع مورغنتاو حول أهمية الأنظمة الداخلية للدولة، إذ يجرد والتز الدولة من سماتها الداخلية المتعلقة بشكل النظام الداخلي ويركز على القدرات، وبالمثل يفعل ميرشايمر في إهماله لأنواع الأنظمة الحاكمة، في الوقت الذي يشدد فيه مورغنتاو على ضرورة الاهتمام بنوعية الحكم في الدولة لأنه يشكل أحد أسس القوة المعنوية للأمة.

يضاف على هذا اتفاق والتز وميرشايمر حول عدم أهمية المؤسسات الدولية وخاصة الأمم المتحدة كوسيلة لتحقيق الأمن أو السلام، لكونها تمثل بالنسبة لهم أداة بيد الدول الكبرى، كما أنها لا تملك القدرة على إجبار الدول وخاصى العظمى أن تتصرف خلافاً لمصالحهم المنفردة. أما رؤية مورغنتاو في هذا الأمر قامت على إمكانية الاستفادة من المؤسسات الفوق وطنية لتقليل الصراعات الدولية، ولكن بشرط إقامتها على أساس المصالح الحقيقية المتساوية للدول.

وعليه يتضح من السابق أن أوجه الاختلاف بين والتز وميرشايمر في مقابل مورغنتاو كانت أكثر من أوجه الاتفاق، ويشار أن التقارب بين ميرشايمر ومورغنتاو كان على المسائل الإمبريقية، والاختلاف كان على المسائل المعيارية. أما بالنسبة لوالتز فإن التقارب مع مورغنتاو في التعريف وموراد القوة واستخدامها هو دليل على اتفاق جزئي على الجانب المعياري في طروحات مورغنتاو، ولكن الاختلاف بين والتز ومورغنتاو

حول أهمية الأسس الداخلية ودور المنظمات الدولية يشير إلى التقارب مع مورغنتاو في الجانب الإمبريقي. وبهذا فإن طروحات كينث والتز وجون ميرشايمر لم تستمر على نهج هانز مورغنتاو المزدوج في رؤيته للقوة (الإمبريقي والمعياري)، وانما أخذوا جانب من هذه الأفكار وأهملوا الجانب الآخر.

وعليه فإن تصورات مورغنتاو حول القوة على أنها مركب (إمبريقي ومعياري) كلي يضم عناصر مادية ومعنوية، اختفت من طروحات الواقعيين الجدد الذيم يركزون على الجانب الإمبريقي أكثر من الجانب المعياري.

ولهذا لا يجوز موضع مورغنتاو ووالتز وميرشايمر في ذات الخانة تماماً من حيث النظرة للقوة، لأن هناك اختلافات أخرى بين المنظرين السابقين لها علاقة بالمنهجية والهدف من النظرية، أثرت على نظرتهم للقوة.

تجدر الإشارة إلى طروحات النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة والتي ظهرت في تسعينات القرن الماضي،[11] والتي تعبر عن تجاه يصر على التمسك بواقعية مورغنتاو، إذ يطرح الواقعيون الكلاسيكيون الجدد أنه بدلاً من تحديد موضع الرغبة في القوة على المستوى الفردي أو البنيوي، يصر الواقعيون الكلاسيكيون الجدد على أنها مزيج من المستويين. ويرفض الواقعيون الكلاسيكيون الجدد تطبيق حالة "الصندوق الأسود"[12] على الدولة (Schweller 2004, 164). وبدلاً من ذلك، قاموا بإدخال عدد من التعديلات على طروحات الواقعية البنيوية ودمج العوامل الداخلية للدولة، مثل: الشخصيات والمفاهيم لدى رجال الدولة، وعلاقات الدولة والمجتمع ومصالح الدولة في شرحهم للسياسة الدولية.

[11] النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة: نظرية من نظريات العلاقات الدولية، وتنتمي في جذورها الفكرية إلى الواقعية الكلاسيكية، وتقوم طروحاتها على الدمج بين طروحات الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة، ومن ابرز منظريها: فريد زكريا مؤلف كتاب (من القوة إلى الثروة: الجذور الفريدة لدور امريكا).

[12] هو مصطلح استخدمه راندل شويلر Randall L. Schweller رداً على عدم اهتمام الواقعيون الجدد بالعوامل الداخلية في الدولة، باعتبار ان الدول من الداخل تمثل للواقعية الجديدة صندوق اسود، غير معروف ما بداخله.

وتتفق الواقعية الكلاسيكية الجديدة مع طروحات مورغنتاو على أن السياسة الدولية هي صراع مستمر من أجل القوة، وتتفق مع الواقعية الجديدة على أن الفوضى الدولية عامل مهم في السعي المستمر إلى القوة والأمن، ولكن بخلافهم فإنها ترى أن الفوضى حالة مباحة في النظام الدولي وليس عاملاً سببياً مستقلا، أي أن الفوضى والتوزيع النسبي للقوة في السياسة الدولية لا تستطيع وحدها تفسير سلوك البحث عن القوة. وبالتالي تعيد الواقعية الكلاسيكية الجديدة طرح فرضيات مورغنتاو، وذلك بافتراضها أنه يجب ربط تأثير النظام الدولي بالسلوك والسياسات الداخلية للدول، حيث أن هناك جملة من المتغيرات الداخلية التي تساعد في تفسير السياسة الخارجية للدول. وتعرف الواقعية الكلاسيكية الجديدة القوة بأنها القدرة النسبية للدولة لاستخلاص وتعبئة المصادر من المجتمع المحلي، مثل: إدراك القادة على الإدارة، ونوعية مؤسسات الدولة وقدرتها على تسيير شؤون البلاد، والقومية، والعقيدة (رحيم 2011، 49).

ولكن هل هذا يعني شيء بالنسبة لاقتراب مجمل الباحثين الجدد من أمثال منظري الواقعية الكلاسيكية الجديدة) من آراء مورغنتاو؟

تسعى الواقعية الكلاسيكية الجديدة إلى تفسير سلوك الدول من خلال دمج كل المتغيرات الهيكلية (البنيوية) والتي تتبناها الواقعية الجديدة، والمتغيرات المحلية التي يركز عليها الواقعيون الكلاسيكيون وبالذات مورغنتاو، معاً (رحيم 2011، 48).

وتطرح الواقعية الكلاسيكية الجديدة تصورها حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية، من خلال الدمج بين رؤية القوة القائمة على الموارد المادية واعتبارها مجرد قدرات لا تفسر سلوك السياسة الخارجية للدول، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من المتغيرات المحلية التي تساعد على تحديد وإدارة القوة الفعلية التي تمتلكها الدولة (Schmidt 2005, 543).

وتقوم رؤية جيدون روز Gideon Rose للقوة على أنها "اختيارات السياسة الخارجية التي تُصنع من النخب والقادة السياسيين الحقيقين، وأن إدراكهم للقوة النسبية هو مسألة مهمة، وهي (القوة) ليست ببساطة مجرد كميات للموارد المادية أو القوة العسكرية بل كيفية إدارتها وفق الأهداف المرجوة" (Rose 1998, 148). وفي نفس الاتجاه يؤكد فريد زكريا Fareed Zakaria، أن قوة أي دولة تكمن في قدرة الحكومة أو صناع القرار في استخراج قوة الأمة واستخدامها في السياسة الخارجية لتحقيق أهدافها (زكريا 1999، 50).

في الواقع ليست الواقعية الكلاسيكية الجديدة التي اقتربت من طروحات مورغنتاو حول القوة فقط، بل أصبح الليبراليون الجدد أيضاَ اصبحوا أقرب من طروحات مورغنتاو حول القوة، وهذا ما يطرحه الفصل القادم.

5 الليبراليون الجدد وإرث مورغنتاو حول القوة

يرتبط مفهوم القوة ارتباطاً وثيقاً بالنظرية الواقعية بشكل عام، وبطروحات هانز مورغنتاو بشكل خاص، كما سلف ذكره، إلا أن جميع المدارس النظرية المختلفة لديها ما تقوله عن طبيعة ودور القوة في العلاقات الدولية، ومن هذه المدارس الليبرالية الجديدة.

كان المثاليون، وهو الوصف الذي يستخدم للمنظرين اللبراليين بين الحربين العالميتين، الأولى والثانية، يؤمنون بوجود طريقة أفضل لتنظيم الشؤون الدولية من الأساليب التي كانت متبعة قبل الحرب العالمية الأولى، وتقوم الافتراضات الأساسية للمثالية على الاعتقاد بحتمية انتشار المؤسسات الديمقراطية، والتجانس الكامل في المصالح بين الشعوب، والأساس الرشيد للسلوك الإنساني (الطبيعة الخيرة في البشر) (فرج 2007، 141).

ولم يكتب للطروحات المثالية فرصة للتطبيق أو النجاح، والتي تراجعت أمام التغيرات الدولية التي عصفت بالعالم في أعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية في عشرينات القرن الفائت وظهور سياسات ألمانيا وإيطاليا واليابان التوسعية، والتي أثبتت فشل نظام الأمن الجماعي، وأثبتت نجاح التصورات الواقعية للواقع الدولي القائم على القوة والمصلحة، فقد كان انهيار عصبة الأمم يعني نهاية المثالية (مصطفى 2016، 61).

كما شكلت كتابات إدوارد كار ومورغنتاو أكبر تحدي لطروحات المثالية التي تم وصفها بالطوباوية، الأمر الذي أدى إلى انتصار الطروحات الواقعية (طروحات كار ومورغنتاو) وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، والتي هيمنت على حقل العلاقات الدولية حتى أواخر الستنيات وأوائل السبعينات من القرن الفائت، فقد شهدت هذه الفترة تطور في وسائل الاتصالات والمواصلات، ونمو في الاقتصاد الدولي، وازدياد

الاعتمادية الاقتصادية المتبادلة، الأمر الذي دفع إلى عودة الاهتمام بالنظريات الليبرالية، وظهرت الليبرالية الجديدة من خلال طروحات روبرت كوهين وجوزيف ناي في أوائل السبعينات، والتي تعد طروحاتهم تطويراً للطروحات المثالية والليبرالية السابقة، ولكنها وتركز على الدور الذي تقوم به المؤسسات الدولية في الحصول على نتائج جماعية دولية.

ويعتقد كل من كوهين وناي أن العديد من إخفاقات السياسة الخارجية الأمريكية كان لها جذور في حدود الافتراضات الواقعية، ولأسباب تتعلق بالتحليل والسياسة على حد سواء. ويؤكدان على ذلك بقولهما: "سعينا إلى كتابة كتاب من شأنه أن يضع في سياق أوسع من التحليل الواقعي التقليدي الذي وضعه هانز مورغنتاو في كتابه "السياسة بين الأمم"، ضمن أعمال أخرى للجيل الحالي" (Keohane and Nye 1977, xvi).

يتمحور اعتقاد الليبراليين الجدد وعلى رأسهم جوزيف ناي وروبرت كوهين، أن القوة العسكرية لم تعد هي الأساس الوحيد أو حتى الرئيسي للقوة في العلاقات الدولية، وإنما أصبحت القوة الاقتصادية وغيرها من أشكال القوة كالناعمة والذكية بمثابة عناصر مهمة في القوة على المستوى الدولي. فالدول المنتجة للبترول تمارس دوراً كبيراً في العلاقات الدولية على الرغم من أنها لا تتمتع بقوة عسكرية، إضافة إلى ظهور قضايا يصعب التعامل معها من خلال القوة العسكرية، كقضايا التلوث البيئي والانفجار السكاني والطاقة (Keohane and Nye 2011, 28). ولهذا ينتقد ناي وكوهين فرضيات الواقعية الجديدة المتعلقة بالبعد المادي للقوة، ولا سيما التركيز المفرط للواقعية الجديدة على قدرات الدول المادية، وإهمال الجوانب المعنوية مثل النوايا والإدراكات والجاذبية والمصداقية التي تؤثر في قوة الدول، والتي أيضاً اهتم بها مورغنتاو من قبل.

يناقش هذا الفصل في أقسامه الثلاث طروحات النظرية الليبرالية الجديدة بشكل عام وحول القوة بشكل خاص، بالتركيز على طروحات المنظران روبرت كوهين وجوزيف ناي، إذ تتباين وتتداخل هذه

الطروحات مع ما قدمه مورغنتاو قبل عدة عقود، حيث لا يمكن الفصل بين منظور الليبرالية الجديدة وبالأخص منظور ناي للقوة عن منظور مورغنتاو. وسيتم الإشارة لذلك في القسم الأول الذي يعرض أبرز طروحات الليبرالية الجديدة في تحليل العلاقات الدولية، ويبين القسم من هم كوهين وناي، وأبرز آرائهم في طروحات مورغنتاو.

ويعالج القسم الثاني أوجه الاختلاف بين طروحات كوهين وناي من طرف، مقابل طروحات مورغنتاو من الطرف الآخر، والتي اقتصرت على: أسس التحليل بين ناي وكوهين ومورغنتاو، وأولوية القوة الاقتصادية، والهدف من وراء القوة.

أما القسم الثالث فيركز على أوجه التشابه بين طروحات كوهين وناي من طرف وطروحات مورغنتاو من طرف آخر، والتي تمحورت حول: تعريف القوة عند كوهين وناي معا، وتعريف القوة عند ناي منفرداً، ومصادر القوة وأشكالها عند ناي، ووسائل استخدام القوة عند ناي المتمثلة بسياسات القوة الذكية، ومقارنة النظرة المعيارية للقوة بين مورغنتاو وناي.

1-5 النظرية الليبرالية الجديدة:

شهدت فترة السبعينات تطورات هامة على مستوى التفاعلات الدولية من ناحية ازدياد الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول، الأمر الذي أحيا التراث الليبرالي من جديد وأعاد الليبرالية لواجهة الاهتمامات في حقل العلاقات الدولية للتنظير والتفسير، تركز الليبرالية الجديدة، شأنها شأن اللبرالية الكلاسيكية، على الجوانب الاقتصادية بشكل كبير، حيث تؤكد أن التجارة هي الرافعة الأهم للسلام والأمن لأنها تبلور مصالح الدول بعيداً عن الحرب ويصبح لا داعي للجوء للقوة لتحديد المصالح القومية وتحقيقها (Little 1996, 72-73). وتعد الليبرالية الجديدة شكل من أشكال النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية، وتركز على الدور الذي تقوم به

المؤسسات الدولية في الحصول على نتائج جماعية دولية، وعليه تسمى أحياناً "الليبرالية المؤسساتية الجديدة" (فوكر 2016، 296).

تهتم الليبرالية الجديدة بالنمو الاقتصادي لما له من دور هام يرتبط بالتعاون والترابط بين الأطراف المختلفة على الساحة الدولية، مما يعزز من أهمية الترابط والتبادل ضمن صيغ الاعتماد المتبادل الذي يقلل من الصراع الدولي، حيث أن تنوع وتعقد الاحتياجات يفرضان التشابك المتبادل على كافة المستويات مما يجعل من استخدام العنف أمراً مكلفاً (بيليس وسميث 2004، 337-338).

يعبر عن هذه المقاربة كتاب "القوة والاعتماد المتبادل" لربوبرت كوهين وجوزيف ناي[13]، الذي صدر في سبعينات القرن الماضي، ويمثل هذا الكتاب لليبراليين الجدد ما يمثله كتاب "السياسة بين الأمم" "لهانز مورغنتاو" للواقعيين، كما يمثل الاعتماد المتبادل لليبراليين ما يمثله توازن القوى للواقعيين، إذ يقوم الاعتماد والترابط المتبادلين كدافع للتعاون بما يؤسس للإستقرار ويدعم أمن وسلامة النظام الدولي (Little 1996, 75-81).

يعتبر الليبراليون الجدد أقل تصلباً تجاه الواقعية فهم يعترفون بشكل صريح بالفوضى الدولية وبكون الدول الفاعل الرئيسي، ولكن من دون تجاهل وجود وأهمية للفاعلين الآخرين، وبروز المؤسساتية كعامل للتعاون لتلبية حاجات ومصالح الدول (بيليس وسميث 2004، 339-340).

إن الاهتمام المركزي لليبرالية الجديدة ينصب على كيفية تحقيق التعاون فيما بين الدول والجهات الفاعلة الأخرى ضمن النظام الدولي، كما يظهر التعاون الدولي عندما تقوم الدول بتعديل سلوكها ليتلائم مع

[13] يشترك روبرت كوهين وجوزيف ناي بوضع افترضات النظرية الليبرالية الجديدة، وتم ذلك في كتابهما "القوة والاعتماد المتبادل"، والذي صدر في نسخته الأولى عام 1977، وتم اصدار العديد من النسخ لهذا الكتاب كان اخرها عام 2011، كما يشترك المنظران في طروحاتهم حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية، وخاصة في كتابهم سابق الذكر، والذي سيتم الاعتماد عليه لتوضيح افكار كوهين بشأن القوة، اذ تقتصر طروحات كوهين بشأن القوة في هذا الكتاب فقط، بعكس جوزيف ناي الذي طرح تصوراته عن مفهوم القوة في عدة كتب.

التفضيلات الفعلية أو المحتملة للدول الأخرى، على أن تقوم إحدى الدول بإتباع سياسات فعلية تُعتبر من جانب شركائها الآخرين في أنها تساعد على تحقيق الغايات الخاصة بهم (Keohane 1984, 51).

يعد مفهوم الاعتمادية المتبادلة إجراءً مهدئاً محتملاً في بيئة من الفوضى له أصوله الراسخة في الفكر الليبرالي لحقل العلاقات الدولية، إذ تقوم الاعتمادية المتبادلة في التحليل الليبرالي الجديد بتمهيد الطريق أمام التطور التاريخي للمصالح المشتركة التي لا يمكن تحقيقها إلا إذا تعاونت جميع الدول فيما بينها (فوكر 2016، 301).

ويوضح القسمين التاليين من هما روبرت كوهين وجوزيف ناي وأبرز آراؤهما في طروحات هانز مورغنتاو بشكل عام ومفهوم القوة بشكل خاص.

5-1-1 روبرت كوهين ROBERT O. KEOHANE (1941-...)

أكاديمي أمريكي ومنظر في مجال العلاقات الدولية، ارتبط اسمه بالنظرية الليبرالية الجديدة. ويعد كوهين من أبرز منظريها وخاصة بعد نشر كتابه المؤثر "بعد الهيمنة" الذي صدر عام 1984، كما يرتبط اسمه بفكرة الاعتماد الاقتصادي المتبادل والتي تعد من أهم مبادئ الليبرالية الجديدة، التي طرحها في كتاب "القوة والترابط: السياسة العالمية في المرحلة الانتقالية" الذي نشر في طبعته الأولى عام 1977، بالاشتراك مع جوزيف ناي، ويعد هذا الكتاب تحدياً مباشراً للافتراضات الأساسية للواقعية (غريفيش 2008، 320-322).

5-1-1-1 آراء كوهين في طروحات مورغنتاو

يطرح كوهين أن الواقعية الكلاسيكية لمورغنتاو، تعتمد اعتمادا كبيرا على مفاهيم القوة والعقلانية وثم ميزان القوى، ومثله كذلك بقية الواقعيين، ولكن على عكس الواقعية الجديدة، يستند توصيف مورغنتاو في السياسة الدولية والصراع على القوة على "الطابع غير المحدود من الشهوة البشرية للسعي نحو القوة". ومع ذلك، فإن

أسباب مورغنتاو التي تجعل من السياسة العالمية صراعًا على القوة، برأي كوهين، ليست مقنعة تمامًا. وبرأيه أن مورغنتاو يفشل في التمييز بين القوة كمورد والتي تقوم على المقومات المادية والقوة كقدرة على التأثير على سلوك الآخرين (Keohane 1986, 11).

ويرى كوهين أن تعريف القوة من حيث السيطرة أمرا معقولا، لكنه لا يعالج مسألة قيمة مفهوم القوة القائمة على الموارد في دراسة السياسة. لاستخدام مفهوم القوة لشرح السلوك، يحتاج المرء إلى القدرة على قياس القوة قبل القيام بأي إجراء وبناء النماذج التي يتم من خلالها قياس الموارد المادية التي تؤدي إلى استخدام أنواع مختلفة من القوة يضاف عليها دور العوامل غير الملموسة مثل الإرادة، ولكن كوهين يرى أن هذه العوامل لا يمكن التنبؤ بها (Keohane 1984, 20).

يفترض كوهين أن "اللغة السوداوية" للمصالح الوطنية والتي تفترض نشاطًا عقلانيًا أنانيًا في السياسة العالمية تسمح لبعض الواقعيين مثل مورغنتاو بتجنب قضية الامتثال لقواعد الأنظمة الدولية. ويشير مورغنتاو –حسب كوهين– إلى وجود منظمات وظيفية مثل الوكالات المتخصصة التابعة لمنظومة الأمم المتحدة، ولكن محتوياتها تشير إلى أنه عندما يكون هناك تضارب بين المصلحة الوطنية وتشغيل هذه الوكالات، فإن "المصلحة الوطنية تربح على الصعيد الدولي" (Keohane 1984, 100). ولكن يعود كوهين ويطرح أن الكتاب الذين يقبلون التقليد الواقعي إلى حد كبير يقرّون أحياناً أنه ليس كل السلوك الدولي يمكن تفسيره على نحو أناني. على سبيل المثال، يشير أن مورغنتاو يعلن أن الأهداف النهائية للسياسة الخارجية قد تُستمد من المبادئ القانونية والأخلاقية (Keohane 1984, 121).

كما يرى كوهين أن الوقعية الكلاسيكية المتمثلة بطروحات ادورد كار وهانز مورغنتاو، قد ناقشت دور الأفكار، ولكن الواقعية البنيوية والتي تطورت بشكل ملحوظ على يدي كينث والتز وروبرت غلبين حذفت دور الأفكار. ويجادل كوهين أن الإفتقار إلى فهم واسع ومتطور لدور الأفكار في السياسة العالمية – التي يجب

أن تشمل النازية والشيوعية والأصولية وكذلك تفكير حقوق الإنسان والوعي البيئي – يعرقلنا بشكل خاص الآن في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة، إذ توضح هذه الهجمات دور الدين – الذي تم تجاهله من قبل كل من هذه الأساليب العلمانية – في السياسة العالمية (Keohane 2002, 7).

ويعتقد كوهين أن الليبرالية قد تعرضت لانتقادات شديدة باعتبار أنها عقيدة ساذجة مزعومة ذات ميول طوباوية، ولكن على الرغم من هذا النقد، إلا أن النقاد الأكثر حدية مع الليبرالية استعاروا في كثير من الأحيان عناصر مهمة من الليبرالية التي انتقدوها. فقد وضع مورغنتاو الكثير من ثقته في الدبلوماسية وكرس مورغنتاو الكثير من حياته لإرشاد الأمريكيين حول كيفية التصرف في السياسة العالمية لتحقيق السلام والقوة، وشدد بشكل خاص على دور الدبلوماسية (Keohane 2002, 39).

يَخلُص كوهين أن الواقعية الكلاسيكية "لا تقدم نظرية مرضية للسياسة العالمية" وهي "ضعيفة بشكل خاص في التعبير عن التغيير وفهمه" (Keohane 1986, 159). فالواقعية الكلاسيكية "تثير السؤال عن كيفية تحقيق التغيير السلمي، ولكنها لا تحلها" (Keohane 1986, 163). لذلك، تختلف الواقعية البنيوية عن الواقعية الكلاسيكية بمعنى أنها تقدم "تعليلًا منهجيًا للسياسة الدولية" (Keohane 1986, 165).

5-1-2 جوزيف ناي Joseph Nye (1937-...)

منظر ليبرالي جديد في حقل العلاقات الدولية أمريكي الجنسية، واستاذ للعلوم السياسية وشغل منصب عميد لمدرسة جون كنيدي الحكومية في جامعة هارفرد، قام بتأسيس مركز الدراسات الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية بالاشتراك مع روبرت كوهين، كما شغل مناصب حكومية عديدة منها: مساعد وزير الدفاع الشؤون الأمنية الدولية في حكومة الرئيس بل كلينتون ورئيس مجلس الاستخبارات الوطني، ابتكر مصطلحي القوة الناعمة والقوة الذكية في العلاقات الدولية، له العديد من المؤلفات التي شكلت مصدراً أساسياً في تطوير

السياسة الخارجية الأمريكية وخاصة في عهد الرئيس باراك اوباما، أشهر مؤلفاته "مستقبل القوة" الذي صدر عام 2011 (Harvard Kennedy School 2018).

5-1-2-1 آراء ناي في طروحات مورغنتاو

يقول ناي: "عندما درست السياسة الدولية لأول مرة، كان هناك شخصيات شاهقة مثل ادورد كار وهانز مورغنتاو، تحذر من المثالية المضللة التي ساعدت في إحداث كوارث في النصف الأول من القرن العشرين، وكانت السياسة الدولية موصولة فقط بين دولتين أو أكثر، ولم يكن هناك أي مجال للأخلاق أو المثالية – أو للفاعلين من غير الدول" (Nye 2004, 1).

وقد أصبح هذا التقليد "الواقعي" مهيمناً في الولايات المتحدة بعد عام 1945. كان منظرون مثل هانز مورغنتاو قد قرأوا جيداً في التاريخ وأرادوا أن يحذروا أبناء بلدهم من العودة إلى المثالية والانعزالية، التي اعتقدوا أنها ساعدت في جلب الحرب العالمية الثانية. وكما يصف والتز أن مورغنتاو لم يقم أبدًا بتطوير نظرية متماسكة تمامًا، وهناك عدد من نقاط الغموض المتأصلة في الواقعية الكلاسيكية. تستخدم مصطلحات مثل القوة والتوازن بشكل فضفاض (Nye 2004, 15).

يعتبر ناي أن الواقعية هي في الواقع خيمة كبيرة. يتفق فيها الواقعيون من جميع الأطراف على أن الدول هي أهم العناصر الفاعلة في النظام الدولي، وأن الفوضى لها تأثير قوي على سلوك الدولة، وأن السياسة في نهاية المطاف هي سياسة القوة. لكن الواقعية الكلاسيكية تختلف اختلافاً كبيراً عن الواقعية الجديدة (التي تسمى أحياناً "الواقعية البنيوية"). فإن الواقعيين الكلاسيكيين مثل ميكيافيللي ومورغنتاو كانوا يولون اهتمامًا للأفكار بالإضافة إلى القوة المادية. لقد رأوا السياسة الخارجية على أنها شيء يمكن أن ينبع من مصادر محلية. حتى أنهم لاحظوا الدور الهام الذي تلعبه اعتبارات الأخلاق في تشكيل السياسة الخارجية، على الرغم من أنهم يميلون إلى الاعتقاد بأن هذا الأمر غير كافٍ. كان للواقعيين الكلاسيكيين نهج

إنساني أكثر في السياسة العالمية من النهج العلمي فكثير منهم كانوا من المؤرخين البارزين أو الفلاسفة (Nye 2014, 68-69).

ويفترض ناي أنه بينما قد يكون مورغنتاو الأكثر تأثيراً في الواقعيين في فترة ما بعد الحرب، فقد شابت طموحاته في خلق علم للسياسة الدولية عدم اتساق في استخدامه لمفاهيم القوة والتوازن، وذلك من خلال تبني تحليل السياسة الدولية بالاعتماد على الطبيعة البشرية للسعي نحو القوة، ولكنه لم يشرح إلا القليل عن هذا الافتراض في مقابل شرحه الكثير للمواقف والأحداث التاريخية التي لا توضح أفكاره بالشكل المطلوب (Nye 2004, 25).

5-2 أوجه الاختلاف

اقتصرت أوجه التباين بين طروحات ناي وكوهين حول القوة وطروحات مورغنتاو على ثلاث نقاط. وتتلخص أوجه هذا التباين في: أسس التحليل بين ناي وكوهين ومورغنتاو، وأولوية القوة الاقتصادية، والهدف من وراء القوة. ولكن المفارقة هنا أن أوجه هذا الخلاف كانت قليلة بعكس أوجه الخلاف بين الواقعيين الجدد ومورغنتاو.

5-2-1 أسس التحليل

تهتم الليبرالية الجديدة بالنمو الاقتصادي لما له من دور هام يرتبط بالتعاون والترابط بين الأطراف المختلفة على الساحة الدولية، مما يعزز من أهمية الترابط والتبادل ضمن صيغ الاعتماد المتبادل الذي يقلل من الصراع الدولي، حيث أن تنوع وتعقد الاحتياجات يفرضان التشابك المتبادل على كافة المستويات مما يجعل من استخدام العنف أمراً مكلفاً. (بيليس وسميث 2004، 337-338)

يحاول كوهين وناي دمج كل من عناصر سياسة القوة والليبرالية الاقتصادية ضمن الترابط[14] الاقتصادي المعقد، وبهذا ترتبط القوة بالاعتماد الاقتصادي المتبادل ارتباطاً وثيقاً ينطوي على كل من التكاليف والفوائد لكافة الأطراف، وتكون المكاسب لكافة الأطراف بشكل مطلق، كما ويوفر عدم التناظر ضمن الاعتماد الاقتصادي المتبادل مصادر للتأثير للجهات الفاعلة في معاملاتها معاً إذ يتمتع الطرف المالك للموارد الأكثر بقدرة التأثير على الطرف الذي يملك موارد أقل، مما يمكن اللاعبين الأقل اعتماداً على استخدام علاقة الترابط كمصدر للقوة في المساومة والتأثير حول قضية وربما التأثير على قضايا أخرى (Keohane and Nye 1977, 10–11). وهنا أصبح الأمر بعيدا عن التعاون، ويتوجه نحو التبعية.

كما يرى مورغنتاو أن الدول تسعى للحصول على المزيد والمزيد من القوة بالنسبة لمنافسيها لزيادة أمنها، مما يزيد من حالة انعدام الأمن لدى الدول الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى وضع "المعضلة الأمنية"، والتي يمكن تخفيفها من خلال آلية "توازن القوى"، وبالتالي يمكن تحقيق مكاسب نسبية (Morgenthau 1985, 189). والفارق بين الطرحين أن الليبرالية الجديدة ربطت أفكارها بالعامل الاقتصادي كأساس للاعتماد الاقتصادي المتبادل الذي يمنح مكاسب مطلقة، في حين ربط مورغنتاو طروحاته بالرغبة الإنسانية في السعي وراء القوة والتي لا يمكن وقفها إلا من خلال المكاسب النسبية من خلال فرض التوازن.

5-2-2 أولوية القدرات الاقتصادية:

ينظر كوهين وناي لنظريات توازن القوى وصور الأمن القومي بأنها لا تتواءم مع تحليل مشاكل الترابط الاقتصادي، وينظرون للقوة العسكرية بوصفها غير فعالة في بعض القضايا، ولذلك هناك حاجة لموارد قوة مختلفة للتعامل مع بعض القضايا المختلفة، ويقترحون أن الاعتماد المتبادل غير المتماثل يمكن أن يكون

[14] الترابط أو الاعتماد المتبادل (Interdependence): وهو وضع تتأثر فيه الدول أو الشعوب بقرارات تتخذها دول أو شعوب اخرى، مثلاً من شأن قرار رفع اسعار الفائدة في ألمانيا أن يمارس تلقائياً ضغطاً تصاعدياً على اسعار القائدة في دول اوربية اخرى. ويمكن للترابط أن يكون متناظراً، أي أن تتأثر كلتا مجموعتي الاطراف الفاعلة على نحو متساوٍ، او يكون غير متناظر، حيث يختلف الاثر من طرف فاعل لآخر (بيليس وسميث 2004، 344).

مصدرا فعالاً للقوة من خلال قدرة الطرف الذي يمتلك موارد التأثير على الطرف الذي يحتاج هذه الموارد (Keohane and Nye 1977, 10). ويرتكز الاعتماد الاقتصادي المتبادل[15] على القدرات الاقتصادية بشكل كامل والتي تعتمد بالأساس على الموارد الطبيعية و والموارد المالية والسلع والخدمات والصناعات المتطورة.

ويجادل كوهين بأن التغيرات في علاقات القوة العسكرية لم تكن هي العوامل الرئيسية التي تؤثر على أنماط التعاون والخلاف بين البلدان الصناعية المتقدمة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. بل كانت التحولات في الترابط الاقتصادي، وبالتالي فإن القوة الاقتصادية هي العامل الرئيسي المؤثر، ويضيف كوهين قائلاً: "أركز بشكل أساسي على مصادر القوة الاقتصادية، وعلى التحولات في القوة الاقتصادية كتفسير للتغيير في العلاقات الدولية. فمن خلال التجرد من القضايا العسكرية، يمكننا التركيز بشكل أوضح على الأصول الاقتصادية للتغيير" (Keohane 1984, 41).

كما تُعتبر القدرات الاقتصادية هي الأساس لمسألة الاعتماد الاقتصادي المتبادل، إذ يقدم الاقتصاد النشيط المتنامي ضمن أطروحة ناي الأساس لكل أدوات القوة، والمصدر الأهم للوسائل المطبقة التي سيتم استخدامها ضمن سياسات القوة وخاصة سياسات القوة الذكية (ناي 2015، 104).

أما مورغنتاو فيعتبر أنّ الدبلوماسية هي المصدر الأهم من مصادر القوة، بقوله: "إن نوعية الدبلوماسية على الرغم من افتقارها إلى الاستقرار إلا أنها أهم عامل من العوامل التي تخلق السلطان لأي أمة من الأمم أمام العوامل الأخرى التي تقرر السلطان القومي" (مورغنتاو 1964أ، 199).

---

[15] تقع التجارة الحرة وازالة الحواجز في وجه التجارة في قلب نظرية الاعتماد المتبادل، ويقوم هذا على الاعتقاد بأن الصراع بين الامم سينخفض بواسطة خلق مصالح مشتركة في التجارة، وبالتعاون الاقتصادي بين اعضاء نفس الاقليم الجغرافي، وستصير للدول مصلحة مشتركة في سلامة ورخاء بعضها بعضاً، ويعد الاتحاد الاوروبي مثالاً جيداً على التكامل الاقتصادي والترابط والاعتماد الاقتصادي المتبادل، الذي ينتج تعاوناً سياسياً واقتصادياً أوثق، في اقليم سكنته تاريخياً لعنة الصراعات القومية (بورتشيل 2014، 103-104). وبهذا تدفع التجارة الحرة إلى التعاون ونبذ المشاكل والعمل على حلها.

5-2-3 الهدف من القوة

يطرح كوهين وناي أن الهدف من القوة هي بكونها وسيلة لتحقيق الغايات وليست غاية بحد ذاتها (Keohane and Nye 1977, 10)، ويحدد ناي أن القوة بشكل عام والقوة الناعمة بشكل خاص ليست شكلاً للمثالية أو الليبرالية، إنها ببساطة شكل من أشكال القوة ووسيلة للوصول للأهداف (ناي 2015، 108). وتلتقي طروحات كوهين وناي في هذا الشأن مع طروحات والتز وميرشايمر في اعتبارهم أن القوة هي وسيلة لتحقيق غاية الأمن كمان وضح في الفصل السابق.

في حين أن مورغنتاو وضع تصور أشمل للهدف من وراء القوة بكونها تمثل غاية ووسيلة في نفس الوقت، فهي غاية نتيجة رغبة الرجل السياسي في السيطرة على الآخرين، ووسيلة يتم استخدامها لتحقيق الأمن أو الازدهار (Morgenthau1985,31).

5-3 أوجه التشابه

تعددت أوجه الاتفاق بين طروحات ناي وكوهين ومورغنتاو، بشكل فاق أوجه الاتفاق بين الواقعيين الجدد ومورغنتاو، وتمثلت أوجه الاتفاق هذه بتعريف القوة، ومصادر القوة وأشكالها والتي انقسمت إلى صلبة وناعمة، وسياسات القوة الذكية.

5-3-1 تعريف القوة عند جوزيف ناي وروبرت كوهين:

قدم جوزيف ناي بالاشتراك مع روبرت كوهين تعريفا للقوة في كتابهما (القوة والاعتماد المتبادل)، حيث يعتبر كوهين وناي أن القوة هي "قدرة فاعل على دفع الآخرين لفعل شيئاً ما لا يريدونه"، كما يتصوران القوة من حيث السيطرة على النتائج. ويمكن النظر لموارد الطاقة الأولية والتي تعطي الفاعل القدرة في التحكم كأحد مصادر التأثير والسيطرة، وعليه فإن التفاوت في الموارد بين الدول يمكن أن يكون مصدراً للقوة، وتكون القوة هنا السيطرة على الموارد والقدرة في التأثير على النتائج المحتملة (Keohane and Nye 1977, 10)

ويتطابق هذا مع تعريف مورغنتاو للقوة على أنها "أي شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان ويضمن الحفاظ عليها، ويكون بذلك شاملا لكافة العلاقات الاجتماعية التي تهدف الى تلك الغاية ابتداء من العنف البدني وانتهاء بأكثر الروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر بدقة ودهاء" (مورغنتاو 1964أ، 31).

ويطرح كوهين وناي أن القوة التي يتم قياسها من حيث الموارد والإمكانات تختلف عن القوة التي يتم قياسها من حيث التأثير على النتائج، إذ تقدم الحرب الأمريكية على فيتنام بين عامي 1965-1973، أوضح مثال على ذلك فقد تراجع الأمريكان أمام الفيتناميين على الرغم من الموارد الهائلة التي يمتلكها الأمريكان، إلا أن الفيتناميين كانوا على استعداد لتقبل الخسائر والمعاناة بدرجة أكبر من الأمريكان (Keohane and Nye 1977, 16).

ميز مورغنتاو أيضاً بين مفهوم القوة والقوة من ناحية ممارستها الفعلية للعنف، فلا ريب أن التهديد باستخدام العنف البدني في شكل عمل بوليسي أو سجن أو عقوبة بالموت أو الحرب يعتبر عنصرا كامنا في السياسة، وعندما يتحول العنف إلى واقع يرمز تحوله إلى التخلي عن السلطان السياسي في خدمة السلطان العسكري وشبه العسكري، وتكون القوة المسلحة كتهديد أو كاحتمال بالتهديد العامل المادي الأكثر أهمية في السياسة الدولية وذلك في خلق السلطان السياسي للدولة، وإذا ما تحول التهديد إلى واقع مما يعني الحرب فإنه يستبدل القوة السياسية بالعسكرية وتحل الممارسة الفعلية والعنف البدني محل العلاقة النفسية بين الجسدين ويكون أحدهما من القوة بحيث يستطيع السيطرة على حركات الآخر ولهذا السبب وحده يضيع العنصر النفسي للعلاقة السياسية في عمليات العنف المادي (مورغنتاو 1964أ، 55).

5-3-2 تعريف القوة عند جوزيف ناي:

عاد ناي، بشكل منفرد، ليعرف القوة بأنها "قدرتك على التأثير في المحصلات التي تريدها وأن تغير سلوك الآخرين عند الضرورة لجعل ذلك يحدث". (ناي 2003، 31) وبهذا يجب أن تكون القوة ذات تأثير، وإن

تأثير أي مصدر للقوة يعتمد على السياق الذي توجد ضمنه، وإلا فقد تتبخر القوة عندما يتغير السياق، وبهذا فالقوة تعني امتلاك القدرات على التأثير في أسلوب الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء (ناي 2007، 20). وربط مورغنتاو أيضا القوة بالسياق من خلال رؤيته للقوة بأنها مفهوم غير ثابت وبه تباين، وأرجع مورغنتاو هذا التباين لأن القوة في نهاية المطاق سياقية "يتم تحديد سياقها واستخدامها من قبل البيئة السياسية والثقافية" (مورغنتاو 1964أ، 31).

ولكن جوزيف ناي في كتابه "مستقبل القوة" الذي صدر عام 2011 طور من تعريف القوة بشكل واسع ليشمل تعريفه الموارد والسياق والتأثير على النتائج (ناي 2015، 34).

فقد أشار ناي إلى أن علماء الطبيعة لديهم القدرة على قياس علاقات الطاقة والقوة بين الجمادات بدقة بالغة، بينما القوة في الشؤون العالمية يصعب قياسها بدقة لأنها تشير إلى علاقات إنسانية سريعة الزوال يتغير شكلها طبقا للظروف المختلفة، فالقوة تعتمد على العلاقات الإنسانية التي تختلف في سياقاتها المتباينة (ناي 2015، 23–25).

وعرف مورغنتاو القوة على أنها "علاقة نفسية بين الذين يمارسونها وبين الذين تمارس عليهم فهي تمنح الطرف الأول سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم، وقد يمارس هذا النفوذ عن طريق الأمر أو التهديد أو الإقناع أو مزيج من أي اثنين، ومهما كانت الأهداف المادية لأي سياسة خارجية كالحصول على موارد المواد الأولية أو السيطرة على الطرق البحرية أو التبادلات الإقليمية فإنها تنطوي دائما على السيطرة على أعمال الآخرين عن طريق التأثير في عقولهم" (مورغنتاو 1964، 56).

القوة عند ناي مفهوم خلافي لا يقبل تعريفا واحداً، وذلك برأيه نتيجة تأثر مفهوم القوة بمصالح وقيم من يستخدمون هذا المصطلح، فالبعض يعرف القوة على أنها القدرة على خلق التغيير أو مقاومته، في حين

يرى البعض الآخر أنها القدرة على أن نحصل على ما نريد. ويشمل هذا التعريف السيطرة على الطبيعة إلى جانب السيطرة على الأشخاص الآخرين، هناك عناصر عديدة تؤثر في قدرتنا في الحصول على ما نريد، لأننا نعيش في شبكة من القوة الاجتماعية الموروثة بعضها يمكن رؤيته وبعضها الآخر غير مباشر، ويطلق عليه أحيانا بالهيكلي أو البنائي، وهناك ميل إلى تحديد الهوية والتركيز على بعض هذه القيود بدلا من بعضها يعتمد على المصالح، فحينما نركز على عناصر أو فاعلين معينين فإنه لا يمكن القول أن أحد الفاعلين يمتلك القوة دون أن نحدد القوة على أي فعل، حيث يتعين تحديد من الذي ينخرط في علاقة القوة (مدى القوة) إلى جانب ماهيّة الموضوعات الرئيسية التي تنطوي تحت تلك العلاقة (مجال القوة) (ناي 2015، 25–26). يلتقي هذا الطرح مع طروحات التوجه الثاني حول القوة الجمعية التي تم عرضها في الفصل الأول، وهي أيضاً تتقارب مع طروحات مورغنتاو حول القوة المعيارية أيضاً.

اعتبر مورغنتاو مثل ناي أن القوة مفهوم غير متفق عليه، ويقول: "يمثل مفهوم السلطان السياسي مشكلة من أعقد مشاكل علم السياسة وأكثرها تعرضاً للحوار والنقاش"، لأن قدرة أي مفهوم من مفاهيم علم السياسة على إيضاح الحد الأعلى من الظواهر الطبيعية التي تعتبر عادة ذات صلة بمجال معين من مجالات النشاط السياسي هي التي تؤلف قيمة هذا المفهوم. وبهذا فإن دراسة أي مفهوم من مفاهيم السلطان السياسي لتفهم السياسات الدولية، يجب أن تكون أكثر شمولاً من الدراسة التي تجري لأي مفهوم يتناول عمل السياسات المحلية، فالوسائل السياسية التي تستخدم في السياسات الداخلية هي أضيق نطاقاً بكثير من تلك التي تستخدم في السياسات الدولية (مورغنتاو 1964أ، 53).

يرى ناي أن كثيراً من صانعي القرارات السياسية يعرفون القوة فيما يتصل بلغة الموارد التي يمكن أن توصل للنتائج، وبهذا يكون تعريف القوة على أنها الموارد التي تسمح ببناء قوة الدولة، وأن الدولة التي تمتلك عددا كبيرا من السكان والأراضي والموارد الطبيعية والقوة الاقتصادية والقوة العسكرية والاستقرار الاجتماعي

تكون من الدول القوية، وهذا ما يميز التعريف بأنه يجعل القوة تظهر بشكل ملموس ويمكن قياسها ويسهل التنبؤ بها. في المقابل، إن امتلاك مصادر القوة لا يضمن لك دوما أن تحصل على النتائج التي تريدها، فتحويل الموارد إلى قوة حقيقية بمعنى الحصول على النتائج المرغوبة يحتاج استراتيجيات موضوعة بشكل جيد وقيادة ماهرة، وهو ما يسمى بالقوة الذكية. وعليه تكون مصادر القوة ببساطة هي المواد الخام الملموسة وغير الملموسة أو المركبات التي تشكل أساس علاقة القوة (ناي 2015، 28–30). وهنا يفرق ناي بين موارد القوة الملموسة وغير الملموسة عن القدرة على استخدام هذه المقومات في تحقيق النتائج، ويلتقي ناي في هذا الطرح مع ميرشايمر الذي يؤكد على ضرورة الفصل بين تعريف القوة من حيث الموارد، وتعريف القوة من حيث النتائج.

حذر مورغنتاو عند تقييمه لعناصر ومقومات القوة الوطنية، بشكل شديد من "معادلة القوة الوطنية بالقوة المادية، وحذر القادة أيضاً من "أن الحد الأقصى من القوة المادية لا يعني بالضرورة الحد الأقصى من القوة الوطنية الكلية"(مورغنتاو 1964أ، 232). ولكن التشابه الحقيقي بين ناي ومورغنتاو هو وجود النظرة المعيارية لدى كل منهما للقوة، والتي سيتم الحديث عنها لاحقاً.

وبهذا يكون هناك ثلاثة جوانب مختلفة للقوة وهي: القوة طبقا لتعريفها كموارد، والقوة ضمن السياق والتي تحتاج إلى الموارد والاستراتيجيات ونتائج مفضلة وبهذا تكون نتائجها سلوكية، والقوة التي تقوم على التأثير على الآخرين للوصول إلى نتائج فضلى (ناي 2015، 31).

تقوم رؤية ناي للقوة على تبني أفكار كل من روبرت دال الذي يركز على أن القوة هي القدرة على جذب الآخرين للعمل لأساليب تكون مناهضة لأفضلياتهم واستراتيجياتهم الأولية، إلى جانب أفكار بيتر باكراك وموتون باراتز اللذان يطرحان أنه في الوقت الذي يمكن أن تشكل أفضليات الآخرين من خلال التأثير في توقعاتهم لما هو شرعي أو عملي، بالإضافة إلى أطروحة ستيفن ليوكس الذي يرى أن ممارسة القوة

تجعلك تفعل ما قد لا تريد فعله عن طريق تغيير استراتيجياتك وموقفك، وبذلك فإن ممارسة القوة تؤثر عليك من خلال تقرير رغباتك نفسها وبهذا يتم تشكيل الأفضليات الأساسية أو الأولية وليس مجرد تغيير المواقف (ناي 2015، 33-34).

ويعبر مورغنتاو عن القوة بطريقة متشابهة من خلال اعتبار أن "(أ) من الناس يمارس أو يرغب في أن يمارس سلطانه السياسي على (ب)، فإن هذا يعني أن (أ) قادر أو يريد أن يكون قادراً على السيطرة على بعض ما يقوم به (ب) من أعمال عن طريق التأثير في عقله وتفكيره" (مورغنتاو 1964أ، 56).

5-3-3 مصادر القوة وأشكالها عند جوزيف ناي:

كما سلف سابقاً، وضع مورغنتاو تصنيفاً لمقومات وعناصر القوة الوطنية، وقسّمها إلى عناصر ملموسة وعناصر غير ملموسة. وبالنظر إلى العناصر الملموسة كان هناك الجغرافيا والموارد الطبيعية والقدرات الصناعية والاقتصادية والتكنولوجية والتأهب العسكري والسكان.

في السياق ذاته، يحذر مورغنتاو من الاعتماد المفرط على هذه العناصر وخاصة الجانب العسكري منها، فقد تستطيع الدول القوية من إرهاب الدول الأضعف واحتلالهم ودفعهم للإذعان، ولكنها ستعجز عن حكم ما احتلته، لأنها لا تستطيع ضمان التقبل الطوعي لحكمها. كما صنف العناصر غير الملموسة إلى الشخصية القومية والمعنوية القومية ونوعية الدبلوماسية ونوعية الحكم.

أما ناي وبطريقة مشابهة، يصنف القوة إلى عدة أشكال وهي: القوة الصلبة والتي تتكون من القوة العسكرية والقوة الاقتصادية وقوة المعلومات، والقوة الناعمة ومواردها القائمة على الثقافة والقيم السياسية والسياسة الخارجية.

5-3-3-1 القوة الصلبة:

صنف مورغنتاو القدرات العسكرية والاقتصادية ضمن الموارد "الملموسة الثابتة"، لقدرتها على الإجبار والإكراه، إذ تعتبر القدرة العسكرية عنصرا ظاهرا من عناصر القوة، تحول جميع العناصر المادية إلى قوة فعلية، فهي مظهر يعكس القوة الحقيقية للدولة في زمن الحرب. وبإمكان الشكل العسكري لبلد ما، أن يتكيف كمقياس مع الأوضاع المتغيرة التي تتحدد بالقرارات الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية". أما القدرات الاقتصادية يمكن استخدامها أيضاً للإجبار والإكراه من خلال الحصار الاقتصادي، وكل ما يشمل العلاقات المادية الاقتصادية كالقروض المالية المشروطة واستغلال الموارد لإخضاع الآخرين.

وبالمثل طرح ناي القوة الصلبة والتي تأتي ضمن الاتجاه الذي يرى أن القوة تستخدم لإجبار وإرغام وتهديد وإكراه الآخرين لتغيير مواقفهم من خلال الاعتماد على القدرات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية. ويصنف ناي مصادر القوة الصلبة إلى:

5-3-3-1-أ القوة العسكرية:

يؤكد ناي على أهمية القوة العسكرية كأحد مصادر القوة في السياسة الدولية، ولكن تتمثل مشكلة الموارد العسكرية التي تشمل القوات المسلحة حسب رؤية ناي بأنها مكلفة، كما يمكن للتكنولوجيا الجديدة بأيدي الفاتحين أن تمدهم بفاعلية تسمح لعدد صغير من الجنود أن يتغلب على مجموعة أكبر، كما يمكن الاعتماد على جاذبية الأفكار مثلما انتشر الإسلام بالاعتماد على جاذبيته وليس على قوة السيف فقط (ناي 2015، 49).

ولكن يرى ناي أن جدوى القوى العسكرية تضاءلت مع مرور الوقت نتيجة عدة أسباب وهي (ناي 2015، 51-54):

- أن الوسائل القصوى للقوة العسكرية المتمثلة بالسلاح النووي أصبحت مكبلة بالأغلال، ولكن تبقى هذه الأسلحة لها أهميتها في السياسة العالمية للردع وليس لخوض الحروب.
- أن القوة التقليدية أصبحت مكلفة بشكل أكبر إذا استخدمت بحكم السكان المعبأين اجتماعيا ووطنيا فقد يساعد احتلالهم على توحيدهم.
- إن استخدام القوة العسكرية يواجه قيودا داخلية، فقد أضحى هناك جانب أخلاقي متنامي من العداء لاستخدام القوة العسكرية وخاصة في الدول الديمقراطية.

ولكن يمكن استخدام الموارد العسكرية لتحقيق العديد من الأهداف ومنها: القتال، ومؤازرة التهديدات عن طريق الدبلوماسية القهرية، والوعد بالحماية بما فيها الحفاظ على السلام، تقديم أشكال عديدة من المساعدة، كما أن القوة العسكرية لا تكفي دائما لتقرير مواقف معينة وحتى لو كانت ثمة مواقف وسياقات يصعب فيها استخدام القوة العسكرية ستبقى هذ القوة مصدرا حيويا في هذا القرن، كما أنه من المحتمل أن يتواصل دور القوة العسكرية في هيكلية سياسات العالم، حتى لو ظلت القوة العسكرية أداة حاسمة إلا أنها ليست الوحيدة (ناي 2015، 65-73).

يقر مورغنتاو بأهمية القدرات العسكرية، ولكن يرفض الاعتماد عليها بوصفها الوسيلة المثلى للحفاظ على السلام، لأن الاعتماد على القدرات العسكرية يدفع الآخرين إلى مواجهة هذه الجهود، ويرى مورغنتاو أن العناصر المعنوية هي الأهم من ذلك، والمتمثلة بشخصية الأمة ومعنوياتها ونوعية الحكم فيها والدبلوماسية بشكل خاص" (Morgenthau1985,186).

5-3-3-1-ب القوة الاقتصادية:

يرى ناي أن استخدام الجزرات بات أكثر أهمية من استخدام العصي، ويعبر عن هذا بقوله: "أن الجزرة اكثر تأثيرا من العصى اذا كنت ترغب في قيادة البغل إلى الماء، ولكن قد تكون البندقية أكثر نفعا بذلك إذا كان مقصدك هو حرمان أحدهم من بغله" (ناي 2015، 76).

تشمل الموارد الاقتصادية الأساسية التي تشكل أساس القوة عدة أشياء كحجم الناتج القومي الإجمالي ومستوى التقنية والموارد الطبيعية والبشرية، إلى جانب موارد مشكلة في مجالات معينة كالتجارة والمال والمنافسة. وتصبح الدول مرتبطة بقوى السوق من خلال بحثها عن هيكلية الاعتماد المتبادل لتحقيق المكاسب المشتركة ويشمل الاعتماد المتبادل الحساسية على المدى القصير، وإمكانية الانكشاف للضرر على المدى الطويل، وفي حالة الاعتماد بشكل أقل يمكن أن يكون مصدرا للقوة، واذا اعتمد الطرفان بشكل تبادلي على بعضهما البعض ولكن أحدهما بدرجة أقل من الآخر فالطرف الأقل اعتمادا يكون له أحد مصادر القوة (ناي 2015، 78-79).

كما يمكن للقوة النقدية التي تنبثق من استخدام العملة وتشجيع الاعتماد النقدي لتكون مصدرا للقوة، وذلك من خلال الاستحواذ على هذه العملة واستخدامها على نحو واسع كوسيلة للتبادل إذ تصبح معروفة كعملة احتياطية عالمية كالدولار (ناي 2015، 82).

ويعتبر ناي أن العلاقة بين توافر الموارد الأولية الطبيعية والقوة الاقتصادية هي علاقة معقدة، فاليابان أصبحت من أغنى دول العالم دون امتلاكها للموارد الطبيعية في حين ظلت بعض الدول المنتجة للبترول على ضعفها. يعتقد الكثير من الناس اليوم أن القوة تنبثق من برميل النفط، إن هذه المقولة تتغير لتصبح إن البترول هو استثناء وليس قاعدة في الحكم بشأن القوة الاقتصادية المنبثقة من الموارد الطبيعية،

ولكن يعود ناي ويؤكد على أهمية البترول بوصفه "أهم مادة خام في العالم بالمعنى الاقتصادي والسياسي، ومن المرجح أن يظل مصدراً أساسياً للطاقة في هذا القرن" (ناي 2015، 86-87).

وعلى غرار ناي يهتم مورغنتاو بمسألة الموارد الطبيعية بكونها أحد الأسس في القوة القومية، ولكن الاختلاف بينهما حول العلاقة بين توفر الموارد والقوة الاقتصادية. فقد طرح ناي أن هذه العلاقة معقدة، وأعطى أمثلة على اليابان وقوتها الاقتصادية على الرغم من عدم امتلاكها للموارد الطبيعية في الوقت التي تمتلك فيه دولا أخرى موارد طبيعية ولكنا تفتقر للقوة الاقتصادية. أما مورغنتاو فيرى بضرورة امتلاك الموارد الطبيعية كحجر أساس في القوة الاقتصادية، بقوله: "عندما كانت بريطانيا العظمى مكتفية ذاتياً من الفحم والحديد، فلقد كانت الدولة العظمى الوحيدة في العالم في القرن التاسع عشر". ويضيف مورغنتاو في نفس الاتجاه أن السلطان القومي أصبح أكثر اعتماداً على السيطرة على الموارد الأولية في وقت السلم والحرب على حد سواء، ويرى أنه ليس من قبيل الصدفة أن تكون أقوى دولتين في العالم في ذلك الوقت (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية)، مكتفيتين ذاتياً في الموارد الأولية اللازمة للإنتاج الصناعي الحديث ومسيطرتين تقريباً على مصادر المواد الأولية الأخرى التي لا تنتجها بلادهما (مورغنتاو 1964أ، 167).

5-3-3-1-ج قوة ثورة المعلومات:

يمكن أن تقدم المعلومات مصدرا مهما للقوة، فالقوة المرتكزة على مصادر المعلومات ليست جديدة ولكن الجديد هو قوة التجمع الإلكتروني (cyber power)، ويمكن تعريف قوة التجمع الإلكتروني فيما يتصل بمجموعة من الموارد التي تتصل بالإنشاء والهيمنة واتصال المعلومات الإلكترونية والمعتمدة على الحاسوب والتي تشمل البنية التحتية والشبكات والمعدات والمهارات البشرية، ولا يشمل ذلك شبكة الإنترنت الخاصة بالحواسيب التي تعمل بالشبكات بل أيضا الشبكات بين الدول والتقنيات ذات الخلايا والاتصالات المعتمدة على حيز. ويمكن تعريف قوة التجمع الإلكتروني من ناحية السلوك بأنه القدرة على الحصول على نتائج

فضلى من خلال استخدام موارد المعلومات ذات الاتصال المتبادل على الصعيد الإلكتروني، ويمكن استخدام قوة التجمع الإلكتروني لتحقيق نتائج مضللة في داخل حيز تجمع وسائل الاتصال الإلكتروني (ناي 2015، 150–152). وعليه تمثل وسائل التواصل الاجتماعي اليوم أحد مصادر القوة على المستوى الدولي.

وبالمثل يرى مورغنتاو أهمية التقدم التقني والصناعي، والذي اعتبره أساساً لقوة القارة الأوروبية "فرضت أوروبا طيلة فترة توسعها ابتداءً من القرن الخامس عشر وانتهاءً بالقرن التاسع عشر، سلطانها عن طريق التقنيات المتطورة التي امتلكتها، والتي جعلتها متفوقة على النصف الغربي من العالم، وعلى إفريقيا والشرقين الأدنى والأقصى" (مورغنتاو 1964أ، 173).

5-3-3-2 القوة الناعمة:

منذ أن أدخل ناي مفهوم القوة الناعمة لأول مرة، سرعان ما دخل هذا المصطلح في الخطاب العام، حيث يتم استخدامه بشكل متكرر من قبل قادة العالم، وكتاب التحرير والأكاديميين في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، فقد تلقى العديد من الانتقادات من نظريات العلاقات الدولية الأخرى.

طور جوزيف ناي مصطلح القوة الناعمة في ثلاث كتب وهي:

1. ملزمون بالقيادة Bound to Lead: The Changing Nature of American Power (1990).
2. مفارقة القوة الأمريكية The Paradox of American Power: Why the World's Only Superpower Can't Go It Alone (2002)
3. القوة الناعمة Soft Power: The Means to Success in World Politics (2004)

طرح ناي في كتابه الأول أنه قد يحقق البلد النتائج التي يفضلها في السياسة العالمية لأن الدول الأخرى تريد أن تتبعها أو وافقت على نظام ينتج مثل هذه التأثيرات. في هذه الحالة، من المهم تحديد جدول الأعمال وتنظيم البنية في السياسة العالمية، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى جعل الآخرين يتغيرون في مواقف معينة. قد يُطلق على هذا الجانب من القوة – أي جعل الآخرين يرغبون في ما تريد – قوة غير مباشرة أو مشتركة. إنه على النقيض من سلوك قوة القيادة النشطة في جعل الآخرين يفعلون ما تريد. يمكن أن تستند قوة الاستمالة إلى جاذبية فكرة الفرد أو على القدرة على وضع الأجندة السياسية بطريقة تشكل التفضيلات التي يعبر عنها الآخرون. تميل القدرة على تحديد الأفضلِيات إلى الارتباط بمصادر الطاقة غير الملموسة مثل الثقافة والأيديولوجية والمؤسسات. يمكن اعتبار هذا البعد قوة ناعمة، على النقيض من قوة القيادة الصعبة المرتبطة عادة بالموارد المادية مثل القوة العسكرية والاقتصادية (Nye 1990, 267).

تلخصت رؤية مورغنتاو بشأن هذا النوع غير الصلب من القوة، في نقده للحرب على فيتنام، إذ كان يرى أن قوة الولايات المتحدة، والنفوذ الذي كان لها في جميع أنحاء العالم، والجاذبية التي أتت بالملايين من الناس، الذين جاءوا إلى شواطئها لإيجاد حياة أكثر لائقة، تأثرت وضعفت إلى حد كبير بسبب الحرب (Morgenthau 1973, 19).

أوضح ناي في كتابه الثاني "مفارقة القوة الامريكية"، نوع الموارد التي تستقر فيها "القوة الناعمة الطرية" في الدولة. وناقش تداعيات ثورة المعلومات والعولمة على السياسة الخارجية الأمريكية، ورأى أن تكنولوجيا المعلومات تضع المعرفة – وبالتالي القوة – في أيدي أناس أكثر من أي وقت مضى. وبالرغم من أهمية الدولة ذات السيادة، لكنها لن تكون كما كانت عليه من قبل. ومن ثم، فإن القوة العسكرية والاقتصادية وحدهما لن يجلبا النفوذ كثيراً في العقود القادمة.

فقد حذر مورغنتاو من خطر "الجنون الصليبي" الذي لا يحترم المصالح الحيوية للدول الأخرى (من السلامة الإقليمية والسيادة السياسية) وبالتالي يخاطر بمصالحه. فالحد الأقصى من القدرات العسكرية لا تعني الحد الأقصى من القوة القومية الشاملة، وأن الدول التي تسعى إلى الحد الأقصى من القوة المادية ستجد نفسها وقد واجهت الحد الأقصى من جهود منافسيها، وستجد نفسها أنها باتت دون أصدقاء وكل ما أمامها إما أعداء أو أتباع غير راضيين (مورغنتاو 1964أ، 232).

ويحدد ناي مفهوم القوة الناعمة، "قياساً إلى مفهوم القوة الصلبة، حيث أن القوة العسكرية والاقتصادية كلاهما أمثلة للقوة الصلبة التي يمكن استخدامها لإجبار الآخرين لتغيير مواقفهم، فالقوة الصلبة يمكن أن تستند إلى محاولات الإقناع (الجزر) وإلى التهديد (العصي)، غير أن هناك طريقة غير مباشرة لممارسة القوة فقد يحصل بلد ما على النتائج التي يريدها في السياسة الدولية لأن بلداناً أخرى تريد أن تتبعه ومعجبة بقيمه وتحذو حذوه وتقتضي بمثاله وتتطلع إلى مستواه من الازدهار والانفتاح. وعليه فإن وضع جدول للأعمال في السياسة الدولية، واجتذاب الآخرين إليه له أهمية تعادل تماما أهمية إجبارهم على التغيير باستخدام الأسلحة العسكرية أو الاقتصادية، أو التهديد باستخدامها، وهذا الجانب من القوة–أي جعل الآخرين يريدون ما تريده أنت– يسميه "ناي" القوة الناعمة فهي باختيار الناس بدلا من إجبارهم".(ناي 2003، 38–39)

يرى مورغنتاو أنه مهما كانت الأهداف المادية لأية سياسة خارجية، كالحصول على موارد المواد الأولية والسيطرة على الطرق البحرية والتبدلات الإقليمية، فإنها تنطوي دائماً على السيطرة على أعمال الآخرين عن طريق التاثير على عقولهم (مورغنتاو 1964أ، 56).

شحذ ناي في كتابه الثالث تعريف القوة الناعمة، ووسّع الأمثلة، واستخدم بيانات استطلاعية جديدة وأبحاثًا تاريخية، واستكشف آثار وحدود القوة الناعمة من خلال أساليب ومنهجيات لم يستخدمها في أعماله السابقة. واستخدم الصراع في العراق باعتباره السياق الذي يحدد أهمية القوة الناعمة في البحث الحالي في

مجال البحث الدولي. وعلى طول الطريق، أعاد ناي أيضاً تقديم تحليله للسياق المتغير للقوة في السياسة الدولية، ويشرح لماذا أصبحت القوة الناعمة اليوم أكثر أهمية مما كانت عليه في الماضي.

لقد ركز ناي اهتمامه في هذا الكتاب أن القوة الناعمة يمكن أن تحقق الأهداف المرجوة من خلال الإقناع أو الجاذبية (او الخيار المشترك)، دون الحاجة لاستخدام القوة فعلياً. وترتكز القوة الناعمة هنا على القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين، والذي يتم من خلال الربط مع الموجودات غير الملموسة، مثل: الثقافة والقيم السياسية وأسلوب تطبيق السياسات التي يراها الآخرون مشروعة أو ذات سلطة معنوية أخلاقية. ويؤكد ناي أن القوة الناعمة ليست شبيهة بالتأثير فقط، إذ أن التأثير قد يرتكز على استخدامات القوة الصلبة أيضاً من خلال التهديدات أو الرشاوي. ويجادل ناي أن القوة الناعمة هي أكثر من مجر الإقناع أو استمالة الناس، ولو أن ذلك جزء منها، بل هي القدرة على الجذب، والجذب كثيراً مما يؤدي إلى الإذعان، ويعرف ناي القوة الناعمة من الناحية السلوكية بأنها ببساطة قوة الجذب (ناي 2007، 24–26). وفي اتجاه مماثل يطرح مورغنتاو أن السلطان السياسي يمنح السيطرة على ما يقوم به الآخرون من أعمال عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم، وقد يمارس هذا النفوذ عن طريق الإقناع (مورغنتاو 1964أ، 56).

عاد ناي في كتابه "مستقبل القوة"، ووضع مفهوم القوة الناعمة بأنها كل شيء تقريبا، قائلاً:

> يبدو أن القوة الناعمة حالياً تعني كل شيء، ولكن يخطئ هؤلاء النقاد حينما يخلطون بين أعمال الدولة التي تنشد النتائج المرجوة، وبين الموارد التي تستخدم للتوصل إليها. ويمكن للأنواع العديدة من الموارد أن تساهم في القوة الناعمة، ولكن ذلك لا يعني أن القوة الناعمة هي أي نوع من السلوك. إنني أطلق عبارة القوة الموجعة (الصلبة) على استخدام الموارد المادية والدفع المالي ورسم بعض جداول العمل المرتكنة إليها. إن وضع جدول العمل الذي ينظر إليه على أنه مشروع من ناحية الهدف، والجذب الإيجابي والإقناع، هي عناصر الطيف في السلوكيات التي أضمنها في داخل القوة

الناعمة. إن القوة الموجعة (الصلبة) هي الزخم، في حين أن القوة الناعمة هي الجذب، وتمثل القوة الناعمة المحددة بشكل تام القدرة على التأثير في آخرين من خلال الوسائل الاختيارية لتأطير جدول العمل، والإقناع والاستنتاج والجذب الإيجابي بهدف الحصول على نتائج فضلى (ناي 2015، 41).

ويستشهد مورغنتاو في ذات السياق للتأكيد على فشل الفلسفات العسكرية الأسبارطية والألمانية واليابانية، في مقابل نجاح السياسات الرومانية والبريطانية في بناء الامبراطوريات. وذلك لأن الفلسفة العسكرية تعجز عن فهم الأحجية التي تقول: أن الحد الأقصى من القوة العسكرية لا يعني بحكم الضرورة الحد الأقصى من القوة الشاملة. وعليه فإن الدول التي تعتمد على الحد الأقصى من القوة المادية، ستجد نفسها قد واجهت الحد الأقصى من جهود منافسيها، وستجد نفسها أيضاً أنها باتت بدون أصدقاء وكل من أمامها إما أعداء أو أتباع ينتظرون أي فرصة للانقلاب عليها (مورغنتاو 1964أ، 233).

ويطرح ناي أن عملية إدماج القوة الناعمة في استراتيجية إحدى الحكومات قد يكون أصعب مما قد يبدو عليه الأمر وذلك بسبب أن النتائج التي يجب تحقيقها في الغالب تستغرق وقتا طويلا وقد يفقد السياسيون والجماهير الصبر على رؤية مقابل سريع لاستثماراتهم، كما أن أدوات القوة الناعمة ليست بالكامل تحت سيطرة الحكومات، وربما تبدو القوة الناعمة أقل خطرا من القوة الاقتصادية أو العسكرية ولكن في غالب الحال من الصعب استخدامها ومن السهل فقدانها ومن المكلف أن يعاد بناؤها، لأنها تعتمد بشكل كبير على المصداقية (ناي 2015، 109). ويرى ناي أن القوة الناعمة تعتمد على المصداقية، وحينما يُنظر إلى الحكومات على أنها تناور، وأن أفعالها تخالف أقوالها فتنهار المصداقية (ناي 2015، 109). وعلى نفس المنوال عبر مورغنتاو عن أهمية المصداقية عند رفضه للتدخل الأمريكي في فيتنام، لأن هذا التدخل شكل فجوة بين المبادئ الأمريكية والواقع الأمريكي، والذي خلق "أزمة المصداقية" (Morgenthau1973,18).

5-3-3-2-أ مصادر وموارد القوة الناعمة:

صنف مورغنتاو موارد القوة المعنوية إلى الشخصية القومية والمعنوية القومية ونوعية الدبلوماسية ونوعية الحكم. يقترب ناي من تصنيف مورغنتاو السابق في افتراضه أن القوة الناعمة لبلد ما ترتكز على ثلاث موارد، وهي: ثقافته (في الأماكن التي تكون فيها جذبا للآخرين)، وقيمه السياسية (عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج)، وسياسته الخارجية (عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية).

5-3-3-2-أ-1 الثقافة:

اعتبر ناي الثقافة مصدراً من مصادر القوة الناعمة، وهي نموذج للسلوك الاجتماعي الذي تنقل به المجموعات المختلفة المعرفة والقيم، وهي توجد على مستويات عديدة: المستوى الوطني أو الطبقات الاجتماعية أو المجموعات الصغيرة، والثقافة ليست ثابتة على الإطلاق وإنما تتداخل الثقافات المتباينة بأساليب مختلفة، وبمرور الوقت تؤثر الثقافات في كل من الأخرى (ناي 2015، 110-111).

ويرى ناي أنه "عندما تحتوي ثقافة بلد ما على قيم عالمية، وتروج سياساته قيماً ومصالح يتشارك فيها الأخرون، فإن ذلك يزيد من إمكانية حصول ذلك البلد على النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلفها بفعل الجاذبية والواجب، فالقيم الضيقة والثقافات المحدودة يقلل احتمال إنتاجها للقوة الناعمة" (ناي 2007، 32).

ولهذا يعتبر ناي أن الثقافة قد تكون مصدراً للتقارب أو للتأثير في الآخرين، عندما تكون عالمية وجذابة وإنسانية، وبخلاف ذلك تكون مصدراً للتنافر عندما تكون ضيقة ومؤذية وغير جذابة. وذلك في ظل جملة من المتغيرات الجديدة التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة، وتمثلت بالعولمة، وازدياد الديمقراطيات، والثورة المعلوماتية، والتقدم التكنولوجي والمعرفي، وتطور الاتصالات والمواصلات، حيث أدت كل هذه العوامل إلى تعظيم دور الثقافة في العلاقات الدولية.

أشار مورغنتاو إلى الثقافة عند تقديمه لمفهوم الشخصية القومية، وقد تأمل فيه بعض سمات السياسة الخارجية القائمة على أسس الثقافة الوطنية، فقد ربط مورغنتاو الشخصية القومية بالمفهوم الأنثروبولوجي للنمط الثقافي، إذ تساعد هذه الأنماط الثقافية في تهيئة الأمة نحو تأسيس تصورها للذات، وخلق صورة متماسكة وجذابة في عيون الاخرين (Morgenthau1985,177).

5-3-3-2-أ-2 القيم السياسية:

يساهم ناي في نهج جديد في التحقيق في كيفية تطبيق القيم في السياسة العالمية. ووفقاً لناي، "تعتمد قيم الدولة على أداء الإدارة المحلية الخاصة بها، لأن كيفية قيام بلد ما بتنفيذ قيمه السياسية يمكن أن تعزز صورته وشرعيته المتصورة، الأمر الذي له تداعيات مهمة على تقدم السياسة الخارجية" (ناي 2007، 92).

ويؤكد ذلك من خلال، أن الولايات المتحدة كغيرها من الدول تعرب عن قيمها فيما تقوله وما تقوم به، ويمكن للقيم السياسية، مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان أن تكون مصادر جذب، ولكن لا يكفي مجرد إعلانها، لأن الآخرين يشاهدون كيف ينفذ الأمريكيون هذه القيم في الداخل والخارج. وعليه إن كيفية سلوك أمريكا من الداخل يمكن أن يوسع صورتها وإدراك شرعيتها، وهذا بدوره قد يساعد على تقدم أهداف سياستها الخارجية (ناي 2007، 94).

يعتبر مورغنتاو من الأوائل الذين ربطوا القيم السياسية الداخلية بالقوة القومية في إطار تحليله للمعنويات القومية، حيث تنطوي المعنويات الوطنية على الإرادة الوطنية، والتي تشمل التماسك الوطني والقيادة وفاعلية الحكومة، فضلاً عن المخاوف بشأن الاستراتيجية والمصالح الوطنية، كما أوضح مورغنتاو أن الرأي العام يوفر عامل دعم لنظام حكمه، وخاصة النظام الديمقراطي الذي يعبر بنجاح عن التطلعات الشعبية (Morgenthau1985,155).

5-3-3-2-أ-3 السياسة الخارجية:

تعد السياسات الخارجية أحد أهم مصادر القوة الناعمة، من حيث أنه يمكن أن توفر الشرعية والسلطة الأخلاقية لهذا البلد، إذ تُأثر السياسة الخارجية تأثيراً قوياً بالقوة الناعمة، حيث تعتمد جاذبية الدول على القيم التي تعبر عنها من خلال سياساته الخارجية وأسلوبها، كتشجيع الديمقراطية وتدعيم السلام وحقوق الإنسان، فكل الدول تتابع مصلحتها الوطنية في السياسة الخارجية، وبما أن القوة الناعمة تعتمد على عملة الجاذبية لحشد التعاون دون تهديد أو استخدام القوة العسكرية أو ممارسة النفوذ الاقتصادي، فإنها تعتمد جزئياً على كيفية القيام بوضع إطار لنفس الأهداف. فالسياسات القائمة على تحديدات شاملة وبعيدة النظر في المصالح الوطنية يجعلها جذابة للآخرين أكثر من السياسات ذات المنظور الضيق (ناي 2007، 100).

يلتقي هذا الطرح بشكل كبير مع طروحات مورغنتاو حول المصلحة، فقد عبر مورغنتاو عن ضرورة مراعاة مصالح الآخرين، من خلال ما ذكره وأكد عليه في القاعدة الثانية من قواعد الدبلوماسية، والتي تقوم على الأخذ بالإعتبار وجهة نظر ومصالح الآخرين. كما ناقش مورغنتاو السياسات الحكومية وربطها بالروح المعنوية، وتتشكل السياسات الحكومية من قسمين: الداخلي والخارجي. وفيما يتعلق بسياسة الحكومة الداخلية، يستشهد مورغنتاو بالحكومات الديمقراطية، لأنها تحظى بروح معنوية عالية نتيجة تمثيلها الحقيقي لمتطلبات الجمهور، وبذلك يكون لديها أفضل فرصة لتوليد الدعم الوطني للسياسة الخارجية (Morgenthau1985,154).

وتتضاعف جودة الحكومة بسبب سياساتها الخارجية، حيث يقترح مورغنتاو، أن السياسة الخارجية التي تتطلب تضحيات أو أعباء مفرطة من جانب المجتمع المدني ستحرم الأنظمة الحاكمة من الدعم الشعبي وهذا على الصعيد الداخلي. أما على الصعيد الخارجي ينصح مورغنتاو بعدم التورط في النزعة العسكرية لأنها ستؤدي بالدولة إلى مواجهة الجميع وخسارة الأصدقاء (مورغنتاو 1964أ، 233).

كما ركز مورغنتاو على الدبلوماسية بوصفها عامل محفز لمصادر القوة الأخرى، واعتبرها أداة لتخفيف حدة النزاعات وتقللها إلى الحد الأدنى، وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها في نهاية المطاف من بناء الحل الدائم للسلام (مورغنتاو 1964ج، 244).

5-3-3-2-أ-4 موارد أخرى للقوة الناعمة:

هناك مجموعة واسعة من الموارد الأساسية التي يمكن تحويلها إلى قوة ناعمة باستخدام استراتيجيات ماهرة، وتشمل الموارد الأساسية للثقافة والقيم والسياسات المشروعة والاقتصاد الناجح والكفاءة العسكرية، وتشكل هذه الموارد أحيانا من أجل أغراض القوة الناعمة بشكل خاص ومنها: أجهزة المخابرات الوطنية، وأجهزة الإعلام، وأجهزة الدبلوماسية العامة، وبرامج التبادل مع الدول الأخرى وبرامج المساعدات وبرامج التدريب، ويتطلب تحويل موارد القوة الناعمة وأدواتها إلى نتائج لصفات مثل الدقة والكفاءة والكريزما (ناي 2015، 127).

تساهم الموارد العسكرية حسب ناي في القوة الناعمة، فغالبا ما يخلق الطغاة القصص الخرافية عن عدم قابليتهم للهزيمة لبناء توقعاتهم وجذب الآخرين للانضمام إليهم، اذ يأخذ بعض الناس بسمعة القوة، فالحصان القوي يجتذب الناس أكثر من الحصان الضعيف، والقوة العسكرية التي تخضع لإدارة جيدة يمكن أن تكون مصدرا للجذب من خلال التعاون العسكري وبرامج التدريب (ناي 2015، 112).

حدد مورغنتاو سياسة المكانة (الهيبة) كأحد العناصر الجوهرية في السياسة الدولية، إذ تعمل هذه السياسة حسب اعتبارات مورغنتاو على إثارة اعجاب الأمم الأخرى بالدول التي تمتلك القوة ذاتها، والتي يراها الجميع أن لديها القدرة على تنفيذ ما تريد (Morgenthau1985,70).

5-3-4 القوة الذكية عند جوزيف ناي:

طور جوزيف ناي مصطلح القوة الذكية عام 2004 ليواجه سوء الفهم الذي قد يسببه مصطلح القوة الناعمة، وعرف القوة الذكية على أنها القدرة على التآلف بين مصادر القوة الصلبة والناعمة في ظل استراتيجيات مؤثرة وعلى خلاف القوة الناعمة القوة الذكية هي مفهوم تقديري ووصفي، وتتوافر القوة الذكية لدى معظم الدول والفاعلين غير الدول فتستطيع الدول الصغيرة أن تطور استراتيجياتها في القوة الذكية (ناي 2015، 44).

إنّ مصطلح القوة الذكية لا يعني تعاظم القوة أو الاحتفاظ بالهيمنة، وإنما يتعلق بوجود الأساليب التي تجمع الموارد في استراتيجيات ناجحة في السياق الجديد لانتشار القوة، ومفهوم القوة الذكية يشمل (الادماج الذكي، وشبكة العمل الدبلوماسي، والدفاع، والتنمية، والادوات الاخرى لما يسمى بالقوة الصلبة والناعمة). كما أن القوة الذكية ليست مقتصرة على القوى العظمى فحسب وبالأخص الولايات المتحدة، فالدول الصغرى غالبا ما يكون لديها خبرة بشأن استراتيجيات القوة الذكية، فقد استخدمت سويسرا مزيجا من الخدمة العسكرية الالزامية وجغرافيتها الجبلية كمصادر للردع في الوقت الذي جعلت من نفسها جذابة أمام الآخرين من خلال شبكات المصارف والشبكات التجارية والمصرفية (ناي 2015، 239-242).

تمتلك الدول المهيمنة أيضا دوافع لجذب موارد قوتها الصلبة والناعمة، فمن السهل على الامبراطوريات التي تحكم حينما تعتمد على القوة الناعمة في الجذب إلى جانب القوة الصلبة في القسر، فقد سمحت روما للنخب المقهورة بأن يتطلع أفرادها للحصول على المواطنة الرومانية، وأشركت فرنسا القادة الأفارقة مثل ليوبولد سنغور في الحياة السياسية والثقافية الفرنسية (ناي 2015، 244).

يمكن أيضا استشفاف وجود فكرة القوة الذكية ضمن طروحات مورغنتاو، ويتبين هذا من خلال اهتمامه بضرورة التمييز بين مفهوم القوة واستخدام القوة بشكل فعلي، وشدد في تعريفه للقوة على أنها السيطرة على الآخرين وعلى أفعالهم والتأثير في عقولهم، من خلال فرض النفوذ الذي يأخذ أكثر من أسلوب إما

بالتهديد والأمر أو الاقناع أو من خلال المزج بينهما، ولهذا اعتبر مورغنتاو أن القوة هي علاقة نفسية بين الذين يمارسونها وبين الذين تُمارس عليهم. ومن خلال مزيج مكونات القوة، تُساوي البعد المركب، الذي اقترحه.

ويرى مورغنتاو أنه لم تفلح أي دولة من فرض إرادتها منذ القرن الخامس عشر مدة طويلة من الزمن على بقية أنحاء العالم باستخدام القوة المادية وحدها، ولعل الدول الوحيدة التي استطاعت في العصور الحديثة من الحفاظ على ثبات مركزها في التأهب والاستعداد من خلال مزيج غريب من السلطان المتفوق المتوقع ومن الاشتهار بالسلطان المتفوق ومن اللجوء الى استخدامه بين حين وآخر، تمكنت بريطانيا العظمى من التغلب على كافة التحديات الخطيرة لتفوقها لما امتازت به من ضبط النفس الذي اكسبها حلفاء اقوياء وجعلها دائمة التفوق الفعلي، وكانت قادرة على التقليل من الحوافز على تحديها (مورغنتاو 1964أ، 233).

5-3-5 التدخلية:

تتفق الليبرالية عموماً مع عملية التدخل في شؤون الدول الأخرى للتأثير في نوع النظام الداخلي، بحجة نشر الديمقراطية، إذ تفترض الليبرالية التنبؤ بسلوك الدول الديمقراطية في المجتمع الدولي، حيث تلجأ لحل خلافاتها بالطرق السلمية بالرغم من امتلاكها للقوة، في حين لا يؤمن الليبراليون بوجود قواعد تحكم سلوك الدول غير الديمقراطية، مما يصعب عملية التنبؤ بسلوكها، ويخفض من إمكانية تحقيق السلام (عودة 2005، 62-63). وهي الحجة التي تبناها المحافظون الجدد في طروحاتهم وآرائهم من أجل الغزو على العراق عام 2003.

أما مورغنتاو رفض مسألة "التدخلية" التدخل في شؤون الدول الداخلية، وذلك لاعتبارات ترتبط بالمصلحة، وقدر رفض مورغنتاو الحرب على فيتنام نتيجة عدت اعتبارات تم تفصيلها سابقاً، و بنفس الاتجاه يرفض ناي مسألة التدخل. فقد أيد ناي سياسة الرئيس الأمريكي ايزنهاور، والتي وصفها "بالحذر والبرغماتية"،

فقد رفض ايزنهاور إرسال قوات أمريكية لإنقاذ الفرنسيين في "ديان بيان فو" Dien Bien Phu عام 1954، لأنه كان يخشى أن "تبتلعهم الانقسامات" في فيتنام، ولكن إدارة ليندون جونسون صعدت من التدخل الأمريكي في فيتنام والذي كان نتيجته الفشل (Nye 2013).

وبنفس الطريقة يرفض ناي الحرب الأمريكية على العراق عام 2003، وذلك نتيجة تأثيرها على السياسة الخارجية الأمريكية، بقوله: "أن هذا التفكير قد أثر على السياسة الخارجية الحالية للولايات المتحدة. ومن غير المرجح أن تحاول الولايات المتحدة القيام باحتلال آخر طويل الأمد والعمل على تحويل بلد آخر للديمقراطية. وكما قال وزير الدفاع السابق روبرت غيتس (2006– 2011) قبل وقت قصير من تنحيه، فإن أي مستشار يوصي باتخاذ مثل هذا الإجراء يجب أن يفحص رأسه" (Nye 2013).

ويرتكز ناي في طرحه هذا أن القوة العسكرية المفرطة ستؤدي إلى الفشل، إذ يمكن أن يؤدي سوء استخدام الموارد العسكرية إلى تقويض القوة الناعمة. فقد كان لدى السوفييت قدر كبير من القوة الناعمة في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، لكنهم دمروها بالطريقة التي استخدموا بها قوتهم الصلبة ضد المجر وتشيكوسلوفاكيا. ويمكن لسوء استخدام الموارد العسكرية أن تدمر الشرعية من خلال عدم الاكتراث لمبادئ التمييز والمساواة في الحرب. إن كفاءة الغزو العسكري الأمريكي الأولي للعراق عام 2003 قد أثارت الإعجاب في نظر بعض الأجانب، لكن تلك القوة الناعمة تقوضت بسبب عدم كفاءة الاحتلال لاحقا، ومشاهد سوء معاملة السجناء في سجن أبو غريب. (Nye 2006).

ويعتمد ناي أيضا في رفضه هذا بأن الحذر الذي وصف به سياسة ايزنهاور يجب أن يكون جزءاً من سرد القوة الذكية للقرن الحادي والعشرين إذ "لا تتطلب القيادة العالمية اتجاهاً عالمياً للتدخل" (ناي 2015، 262).

5-3-6 النظرة المعيارية للقوة بين مورغنتاو ناي:

تقوم النظرة المعيارية للقوة على إدارة القوة وفق معايير معينة، فيها أبعاد أخلاقية وإيمان بالمصالح المشتركة المبنية على قيم وقواعد السلوك في الساحة الدولية والسياسة الداخلية.

5-3-6-أ مورغنتاو والمعيارية:

تجدر العودة هنا إلى مقولة مورغنتاو: "القول بأن العمل السياسي ليس له غرض أخلاقي هو أمر سخيف" لأن "العمل السياسي يمكن اعتباره محاولة لتحقيق القيم الأخلاقية من خلال السياسة، أي القوة" (Morgenthau 1962, 110)، وبهذا تقوم النظرة المعيارية عند مورغنتاو على شكل القوة الذي لا يتميز بالهيمنة، بل يتم تمكين الناس للعمل معاً من خلال قيام الخصوم بالتوافق على المصالح المشتركة بينهم، وتنحية نقاط الخلاف جانباً (Morgenthau 1958, 75).

كما يجادل مورغنتاو أن مهمة القادة السياسيين هي أن يضعوا في اعتبارهم غاية أوسع، لأنه يجب عليهم دعم هذا التوافق من خلال النظر في كل هذه المصالح بينما يقومون بقيادة المجتمعات نحو تحقيق الصالح العام. وأشار مورغنتاو في إحدى محاضراته عن أرسطو: "إن فضيلة الحاكم الجيد متطابقة مع رجل صالح، لأن الحاكم الجيد، الذي يجب أن يرأس مجتمعًا بشرياً، تكون فيه جميع الكائنات البشرية أعضاء فيه، ويجب أن يشجع القواسم المشتركة بينهم" (Lang 2004, 91).

يمكن الاستخلاص من السابق أن مورغنتاو اهتم بالجانب المعياري للقوة والتي اعتبرها شكل القوة الذي كان يجب أن يكون العامل المحدد في السياسة، والذي لا يتميز بالهيمنة؛ وبالأحرى يتم تمكين الناس للعمل معا من خلال التوافق على مصالحهم من أجل تقرير مصيرهم بدلا من المواجهة القائمة على القسر والإجبار، والذي عبر عنه من خلال مقومات القوة المعنوية.

طور مورغنتاو اهتمامه في الأبعاد الأخلاقية ودورها في السياسة الدولية من خلال مناهضته للتدخل الأمريكي على فيتنام، فقد أظهر مورغنتاو تطورًا دراماتيكيًا في وجهات نظره منذ عام 1950، وأعرب عن تحفظات حول الهند الصينية للسياسات القائمة على مخاوف واقعية. ومع مرور الوقت، ركز تحليله للسياسات الأمريكية في فيتنام على أوجه قصورها الأخلاقية. وأدى فحصه لأخلاقيات حرب فيتنام إلى تعديل مفهومه حول كيفية تحديد المصالح الوطنية في صنع السياسة الخارجية، من حساب يستند إلى عوامل استراتيجية بحتة إلى عوامل تأخذ العوامل الأخلاقية بعين الاعتبار أيضًا (Rafshoon 2002, 55).

وكانت وجهة نظر مورغنتاو أن افتقار المواطنين إلى الوسائل الفعالة لفحص سلوك المسؤولين الحكوميين وإخضاعهم للمساءلة عن سوء السلوك، أصبح أكثر حدة نتيجة لتآكل أخلاقيات المسؤولية بين صناع السياسات. ونتيجة لهذا التآكل، لاحظ العار والإقرار العام بالفشل الأخلاقي أو السياسي، ووصف مورغنتاو هذا الأمر بالفساد في المعايير الأخلاقية من جذورها (Klusmeyer 2016, 68).

لقد قادت فيتنام مورغنتاو لتوسيع مفهومه عن المصلحة الوطنية، الذي روّج له باعتباره المرشد الأعلى لصنع القرار الواقعي في الشؤون الخارجية. وفي نظرته المنقحة أصبحت خدمة المصلحة الوطنية تعني أكثر من ضمان الأمن الأمريكي في النصف الغربي من الكرة الأرضية والحفاظ على توازن القوى في أوروبا وآسيا. وجادل بأن الولايات المتحدة يجب أن تحافظ على مكانتها الأخلاقية الاستثنائية كنموذج للنزاهة لبقية العالم، وحذر من أن القرارات التي أضعفت هذه المكانة الأخلاقية يمكن أن تهدد القوة والهيبة الأمريكية. (Rafshoon 2002, 57).

كما آمن مورغنتاو بالمصالح المشتركة بفرض السلام عن طريق التكييف أو من خلال الإقامة (الدبلوماسية)، فقد وضع مورغنتاو تصوره حول السلام من خلال طروحاته التي أسماها " السلام عن طريق التكييف أو من خلال الإقامة " ويقصد هنا الدبلوماسية، والتي اعتبرها مورغنتاو من أهم مقومات القوة الوطنية

كما تم توضيحه سابقا، وقد وضع مورغنتاو ثلاث قواعد جوهرية لتطبيق الدبلوماسية بشكل يضمن المصالح المشتركة، وهي (مورغنتاو 1964ج، 232-238):

• يجب تجريد الدبلوماسية من الروح الصليبية (أي من السعي للنضال لأجل مثل عليا دينية أو أخلاقية).

• يجب أن تنظر الدبلوماسية إلى المشهد السياسي من وجهة نظر الدول الأخرى.

• يجب على الأمم أن تكون مستعدة للتنازل بشأن جميع القضايا التي ليست حيوية بالنسبة لها.

وبهذا يمكن التوصل إلى أن أبرز ما يطرحه مورغنتاو أنه يجب على الدول تنحية جوانب العداء بينهم، والبحث عن المصالح المشتركة للتوافق عليها. ويوضح مورغنتاو ذلك بوصفه للدبلوماسية بأنها أداة الترويج للمصلحة الوطنية بالوسائل السلمية. ويجادل مورغنتاو بأن الدبلوماسية الذكية تنطوي على مقارنة الأهداف الخاصة بالأمة وأهداف الدول الأخرى في ضوء توافقها. ثم يلاحظ أن الوسائل الدبلوماسية الثلاثة – الإقناع والتوافق والتهديد باستخدام القوة – يجب أن تستخدم بذكاء بحيث يكون التركيز الصحيح في أي لحظة معينة على كل من هذه الوسائل الثلاثة. ويختتم مورغنتاو بالقول أن الدبلوماسية هي أفضل وسيلة للحفاظ على السلام طالما أن جميع الأطراف مهتمة بنجاحها (مورغنتاو 1964ج، 244-248).

5-3-6-ب ناي والمعيارية:

طرح جوزيف ناي الاعتماد الاقتصادي المتبادل كأحد أسس التعاون والشراكة بين الدول، فيرى ناي أنه حينما تصبح الدول مرتبطة بقوى السوق فهي تبحث عن هيكلية الاعتماد الاقتصادي المتبادل لتحقق المكاسب المشتركة (ناي 2015، 78) وبهذا يشكل الاعتماد الاقتصادي المتبادل أساساً للمصالح المشتركة بين الدول.

واذا كان الافتراض من وراء النظرة المعيارية للقوة على إدارتها وفق معايير أخلاقية قائمة على التعاون والمصالح المشتركة، فقد عرّف جوزيف ناي القوة الناعمة بأنها "القدرة على الحصول على ما تريد

من خلال الجاذبية بدلاً من الإكراه أو الدفع" وكقوة تنشأ عن "جاذبية ثقافة البلاد وأفكارها وسياساتها"، حول "جعل الآخرين يريدون ما تريد"؛ فالقوة الناعمة تدفع "للتعاون بين الناس بدلا من قهرهم" (ناي 2007، 24-25). ولا يتعلق الأمر هنا بالقوة العسكرية أو النفوذ الاقتصادي، ولكن بدلا من ذلك يعمل من خلال الجذب والإعجاب، من خلال استخدام موارد القوة الناعمة، تخلق القوى العالمية بيئة أكثر ملاءمة لتحقيق أهدافها. ويمكن أن تتراوح موارد القوة الناعمة من الأغاني والموسيقى، إلى الزيارات الدبلوماسية وتبادل الطلاب الذين يحضرون الجامعات. والأهم من ذلك بالنسبة لهذه المناقشة، أن القوة الناعمة يمكن أن تشمل أنظمة القيم، ووضع جدول الأعمال في المنظمات الدولية، وتشكيل المعايير العالمية (Li 2009, 55). ويقول ناي في هذا الصدد: "أنه من الصعب إدارة منظمة كبيرة بالأوامر وحدها بل إنك محتاج كذلك لجعل الآخرين يعتنقون قيمك" (ناي 2007، 25).

ويتضح هنا أن ادارة القوة الناعمة ومصادرها المختلفة، يعطي القدرة على تشكيل المفاهيم والمعايير للآخرين من خلال جذبهم، ويتم هذا عن طريق إضفاء الشرعية على أفعال الدول أو الحكومات والتي يجب أن تتمتع بالمصداقية وتتحلى بالقيم الأخلاقية الإنسانية، وهنا يمكن العثور على نظرة ناي المعيارية للقوة.

5-3-7 مورغنتاو بين القوة الناعمة والذكية:

يجدر هنا طرح التساؤل التالي: هل مورغنتاو أقرب للقوة الذكية أم الناعمة، بمصطلحات ناي؟

بالنظر إلى طروحات مورغنتاو حول القوة بشكل كامل وشامل، والتي تم نقاشها في فصول هذه الأطروحة، يمكن اعتبار مورغنتاو أقرب إلى القوة الذكية بمصطلحات ناي. فقد صور ناي القوة الذكية على أنها تركيب ذكي بين القوتين الصلبة والناعمة، وتقوم القوة الذكية على وضع استراتيجية متكاملة لموارد الدولة من أجل تحقيق أهدافها، وهو النهج الذي يؤكد على ضرورة وجود قوة عسكرية واقتصادية، ولكن أيضا يهتم بالقيم والثقافة والشراكة والتعاون والشرعية والمؤسسات.

وبالعودة إلى مقومات القوة المادية والمعنوية التي صنفها مورغنتاو، نجده صنف موراد القوة الصلبة بلغة ناي إلى الجغرافيا، والمصادر والموارد الطبعية، والقدرات الصناعية، والاستعداد العسكري، وكما تم تفصيله سابقا تعتبر موراد القوة المعنوية (الشخصية القومية، والمعنوية القومية، والدبلوماسية، وجودة الحكومة) عند مورغنتاو هي موارد القوة الناعمة.

كما حذر مورغنتاو بشكل كبير من ضرورة عدم الاعتماد على عنصر واحد من عناصر القوة والتغاضي عن العناصر الأخرى، لأن القوة القومية للأمم تقوم على عناصر مختلفة للقوة، يضاف على هذا تعريف مروغنتاو للقوة بكونها السيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم، وقد يمارس هذا النفوذ عن طريق الأمر أو التهديد أو الإقناع أو المزيج بين اثنين أو أكثر من هذه الوسائل.

تتلخص رؤية مورغنتاو للقوة على أنها أكثر من مجرد قدرات مادية، فهي تعتمد على الظروف البيئية السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية، وبالنظر إلى الاختلافات بين الدول، يجب أن تختلف وسائل التأثير بشكل منطقي أيضًا. ولأن القوة تحدث ضمن التفاعلات والعلاقات الاجتماعية، فإن أسباب النجاح والفشل في محاولات الدولة في التأثير قد تختلف بالفعل، وهذا يتوقف على الهدف من هذا التأثير والعوامل المتوفرة لذلك. بالنسبة لمورغنتاو فإن تأثير القوة مستمد من ثلاثة مصادر: توقع الفوائد، والخوف من المساوئ، واحترام أو حب الرجال أو المؤسسات. ويمكن أن يتم ذلك من خلال الأوامر، أو التهديدات، أو هيبة الدولة، أو كاريزما الرجال، أو المزج بين كل ما مضى.

5-4 الخلاصة:

لقد كانت القوة التقليدية للدولة في السياسة الدولية في اعتبارات ناي، تتحقق أساساً بالقوة العسكرية والاقتصادية، ولكن هذا المعيار لم يعد وحيداً في القرن الحادي والعشرين. ففي ظل المتغيرات الجديدة كنشر

قيم الديمقراطية، والسوق الحر، وظهور ديناميكية العولمة، والثورة التكنولوجية والمعلوماتية والاتصالات، وظهور فاعلين دوليين ليسو بدول، مثل الجماعات العابرة للقوميات والشركات متعددة الجنسيات، وانتشار الصراعات الإثنية والطائفية، برزت تغيرات أدت الى توليد استراتيجيات ووسائل جديدة.

فقد أصبحت وسائل القوة تتراوح بين الدبلوماسية والتهديدات الاقتصادية إلى الإجبار العسكري، حيث كانت تكاليف القوة العسكرية في الماضي منخفضة نسبيا وكانت مقبولة لأن النظم الاقتصادية كانت أقل اعتمادية، ولكن اليوم اصبحت تكاليف الاستخدام المباشر للقوة كبيرة وغير مقبولة. وبالتالي أدى كل هذا إلى تغيير في طبيعة القوة ومصادرها وتوزيعها في النظام الدولي، حيث ولصعوبة استخدام القوة العسكرية لتحقيق الأهداف، على الرغم من ضرورتها أحياناً إلى أن ثمة قوة أخرى أقل كلفة وقادرة على تحقيق نفس الأهداف وهي القوة الناعمة.

يتفق كوهين مع ناي في أوجه الاختلاف مع مورغنتاو حول أسس التحليل لتفسير السياسة الدولية وأولوية القوة الاقتصادية، وارتباطها بالاعتماد الاقتصادي المتبادل كأبرز مصادر القوة في العلاقات الدولية، واعتبار أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل هو الوسيلة لتحقيق التعاون بين الأمم والتقليل من الفوضى الدولية. كما يتفقان في التقارب من مورغنتاو حول تعريف القوة بوصفها قدرة فاعل، على دفع الآخرين لفعل شيئا ما لا يريدونه. ولكن ناي على عكس كوهين طور من طروحاته حول مفهوم القوة في كتاباته اللاحقة، والتي فصّل فيها موارد القوة وأشكالها الصلبة والناعمة، وسياسات القوة الذكية.

لقد طور جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة في أوائل تسعينات القرن الماضي ليواجه الرأي السائد عندئذ والقائل أن أمريكا آخذة في الانحدار، حيث طرح ناي أن الولايات المتحدة هي أقوى دولة، ليس في القوة العسكرية والاقتصادية فقط، بل أيضاً في القوة الناعمة. وعاد ناي إلى القوة الناعمة في عام 2001 في كتاب" مفارقة القوة الأمريكية" ليحذر من نزعة الزهو بالانتصار التي كان قد حذر منها سابقاً.

وفي كتابه القوة الناعمة جاء كرد على الحرب الأمريكية على العراق عام 2003، والتي اعتبرها ناي أنها انتجت شكوكاً حول شرعية الأعمال الأمريكية، وأدت إلى هبوط حاد في جاذبية الولايات المتحدة الأمريكية حول العالم، الأمر الذي جعل من الصعب حشد التأييد لاحتلال العراق وإعادة إعماره. وقد أدى ذلك حسب تعبير ناي إلى "أن عملية كسب السلام أصبحت أصعب من كسب الحرب". ولهذا تكون القوة الناعمة ضرورة جوهرية لكسب السلام، حيث تتلخص القوة الناعمة على أنها القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام ودفع الأموال، وهي تنشأ من جاذبية الثقافة والقيم والسياسة الخارجية.

أكمل ناي طروحاته حول القوة في كتابه الأخير" مستقبل القوة"، واعتبر أن القوة الناعمة هي كل شيء تقريبا، ولكنه أضاف شكلاً آخرا للقوة، وهو القوة الذكية التي جاءت لتواجه الانتقادات الموجهة ضد القوة الناعمة. وتمثل القوة الذكية وضع استراتيجية متكاملة لموارد الدولة من أجل تحقيق أهدافها، وهو النهج الذي يؤكد على ضرورة وجود قوة عسكرية واقتصادية. ولكنها أيضا تهتم بالقيم، والثقافة، والشراكة، والتعاون، والشرعية، والمؤسسات. وجوهر القوة الذكية هو الفاعلية والتكامل المرن والنشط في استخدام مختلف مصادر القوة القومية التي تمزج بين عناصر استراتيجية للقوة الصلبة والناعمة معا.

يعترف ناي بأسبقية الواقعيين الكلاسيكيين بوعيهم بفكرة القوة الناعمة بقوله: "لقد وعى العديد من الواقعيين التقليديين في الماضي القوة الناعمة بشكل أفضل من بعض سلالتهم" (ناي 2015، 40)، ويتضح من هذا أن ناي ينتقد الواقعيين الجدد، بأنهم تجاهلوا القوة الناعمة بعكس الواقعيين الكلاسيكيين.

وفي نفس الاتجاه يُكمِل ناي "وبسبب أنها شكل من أشكال القوة فقط، فإن صيغة مبتورة ومرتجلة من الواقعية هي التي تتجاهل القوة الناعمة، في حين لا يفعل الواقعيون التقليديون ذلك، فليس هناك تعارض بين الواقعية والقوة الناعمة. إن القوة الناعمة ليست شكلاً للمثالية أو الليبرالية، إنها ببساطة شكلا للقوة، وهي وسيلة للوصول إلى نتائج منشودة، والمشروعية هي الواقعية بالنسبة إلى القوة. والصراعات التنافسية على

المشروعية هي جزء من دعم الفاعلين من القوة الناعمة أو حرمانهم، وهذا صحيح بشكل خاص في عصر المعلومات في القرن الحادي والعشرين" (ناي 2015، 108). هذا اعتراف واضح على أسبقية الواقعية على الأقل الكلاسيكيين أمثال مورغنتاو في إدراكهم لأهمية القوة الناعمة.

جاء هذا الفصل على خلاف الفصل السابق، فقد كانت أوجه الاختلاف بين مورغنتاو وناي وكوهين تقتصر على ثلاثة جوانب فقط وهي: أسس التحليل، وأولوية القوة الاقتصادية، والهدف من وراء القوة. بينما كانت أوجه الاتفاق كثيرة إلى حد ما حيث تضمنت: تعريف القوة، ومصادر القوة المادية (الصلبة)، والقوة المعنوية (الناعمة) وموادها واستخداماتها، بالإضافة إلى قواعد استخدام القوة والتي تمثلت بطروحات ناي بالقوة الذكية.

يتضح من السابق أن طروحات جوزيف ناي حول تعريف القوة (الموارد، والسياق، والتأثير على النتائج) تتطابق مع رؤية مورغنتاو المزدوجة للقوة (الإمبريقية والمعيارية). كما تتلاقى تصنيفات ناي للقوة إلى أشكال صلبة وناعمة مع ما طرحه مورغنتاو في تصنيف عناصر القوة إلى ملموسة (مادية) وغير ملموسة (معنوية). وبالنسبة للقوة الذكية والتي طرحها ناي رداً على الانتقادات الموجهة للقوة الناعمة، فيمكن إيجادها بوضوح ضمن طروحات مورغنتاو عند تقويمه لمقومات القوة ونقده لتوجهات النزعة العسكرية (الفلسفة العسكرية) التي تساوي القوة المادية بالقوة الوطنية الشاملة. وبهذا فإن طروحات ناي عن القوة بمجملها موجودة ضمن طروحات مورغنتاو التي تشمل الجوانب الإمبريقية والمعيارية، ولكن بشكل تطوري لها.

على أن أحد نقاط التباين بين الواقعية والليبرالية عموماً هي مسألة التدخل فقد رفضت الواقعية التدخل في شؤون الدول الأخرى، في حين تؤيد الليبرالية مسألة التدخل وخاصة في مسألة نشر الديمقراطية، والمفارقة هنا أنه بالرغم من تركيز مورغنتاو على القوة بوصفها المفهوم الأساسي في العلاقات الدولية، إلا أنه وضع قيوداً على استخدامها وحذر من "الروح الصليبية"، وتبين ذلك من رفضه للحرب على فيتنام،

ورفض الواقعيون عموماً الحرب على العراق، وبنفس الاتجاه يتفق ناي مع مورغنتاو بضرورة الحذر في استخدام القوة، والحذر في التدخل في شؤون الدول الاخرى.

6 الخاتمة

اهتم الفلاسفة والعلماء والمفكرين والدارسين بمفهوم القوة منذ القدم وحتى اليوم، ولكن اختلفوا في النظر إليه، بين فريق يرى أنّ القوة هي الغاية التي يسعى وراءها الأشخاص والجماعات وحتى الدول، على اعتبار أنّ القوة، كانت وما زالت على مر التاريخ تعطي "الامتياز والشرف والهيبة والفوائد المادية والترف"، وشكّل الصراع، على هذه الامتيازات، في عرف هؤلاء الباحثين، عاملاً أساسياً في حركة التاريخ. في المقابل رأى فريق آخر أنّ الحديث عن السعي بلا حدود للقوة فهم غير دقيق، وأنّ هناك مصالح أخرى يسعى إليها الإنسان، مثل المصالح الاقتصادية، وهذا يوجد فصل بين مفهوم القوة والصراع. بمعنى أنّه حتى لو كان الاقتصاد نوع من أنواع القوة التي يسعى لها الإنسان، فإنّ الحصول على هذه القوة يتطلب التعاون وليس الصراع.

جسّد هذا التباين جوهر الخلاف بين مدرستين في العلاقات الدولية، أو بدا الأمر هكذا على السطح على الأقل؛ الأولى هي الواقعية التي بين المصلحة والقوة، والثانية الليبرالية أو المثالية التي تشير إلى الحصول على القوة أو المصلحة عبر التعاون.

تشعّب الجدل حول مفهوم القوة وتداخل على نحو كبير، بين النظريات والمدارس المختلفة في حقل العلاقات الدولية، إذ يرتبط جزء كبير من تاريخ هذا الحقل وتطور نظرياته بتطور مفهوم القوة، مما أدى إلى التباين بين أبرز منظريه حول هذا المفهوم، فقد مثلت القوة بتعريفها ومكوناتها وأشكال استخداماتها جزءا اساسيا من الحوارات والنقاشات التي دارت بين أصحاب النظريات، والتي أطلق عليها النقاشات أو الجدالات النظرية الكبرى.

كما تشعب الجدل إلى قضايا أهمها، ما هو سبب السعي للقوة (الدافع)؟ والثاني، ما هي أشكال ومصادر القوة بين الدول؟ وما هو العنصر الأكثر تأثيراً بين هذه العناصر، والثالث، سبل التقليل من أسباب الصراع، أو من الاستخدام المدمر للقوة؟.

في حالة الواقعية الكلاسيكية، كما تطورت عبر أعمال مورغنتاو، فإن جزء مهم من طروحاته تم إساءة فهمها أو أسيء استخدامها. إن التركيز على القوة العسكرية ضمن طروحات مورغنتاو–على الرغم من أهميتها ولكن بشروطه الخاصة– قد أضعف الفهم الشامل والكامل للأشكال الاخرى من القوة التي طرحها مورغنتاو، والتي تلعب دوراً كبيراً في السياسة الدولية. لقد حدث خلط بين طروحات مورغنتاو، وتطبيقات السياسة الأميركية الخارجية إبّان الحرب الباردة، عندما تم الادّعاء أنّ هذه السياسة سياسة واقعية.

لقد نشأ تناقض بين ما كان مورغنتاو ينشره وما كان ينفذه الآخرون من صناع القرار في الإدارة الأمريكية، فقد كان مورغنتاو يدعو إلى احتواء السوفييت دون الاستخدام الفعلي للقوة وخاصة العسكرية، ولكن الإدارة الأمريكية طبقت سياسة الاحتواء بشكل عنيف من خلال تدخلها في فيتنام. ولكن هناك من اعتبر أن التطبيق العملي للسياسة الخارجية الأميركية يستند لطروحات أسهم فيها مورغنتاو بشكل أساسي. لعل المثال الأوضح هو الخلاف حول سبل مواجهة، الشيوعية والاتحاد السوفييتي، فبينما نحت السياسة الأميركية نحو الاحتواء العنيف للشيوعية، كما حدث في حرب فيتنام، اتجه مورغنتاو إلى قبول الشيوعية في فيتنام الشمالية. بينما كانت السياسة الفعلية الأميركية، بدعوى الواقعية، تذهب إلى المزيد من استخدام الحرب، كان مورغنتاو يصبح أكثر ميلا ووضوحاً في تفضيله أدوات أخرى. لكن هذا لم يقنع آخرين، أن تنظيرات مورغنتاو الأصيلة تسمح

له بتبني موقف كالذي تبناه من فيتنام، واعتبروه متناقضا، وظلت النظرة للواقعية على أنّها الأساس الفعلي للحرب.

في الواقع أنّ الواقعية بشكل عام، عند التطبيق العملي، أقل إيماناً بالتدخلية، في شؤون الدول الأخرى، من الليبرالية. فقد دعا مورغنتاو في عام 1948 إلى احتواء قوي للاتحاد السوفييتي عندما أصبح عدوانيًا للغاية ويسعى إلى التوسع عبر القارة أو حتى العالم، وذلك من خلال تطبيق سياسة الاحتواء التي دعا اليها جورج كينان والتي تقوم على عزل السوفييت وتطويقهم ومنع انتشار ايديولوجيتهم، ولكن دون المبادرة إلى الهجوم العسكري أو الاعلامي (Raskin 1977, 85). وفي عام 1968 دعا مورغنتاو لانسحاب القوات الأمريكية من فيتنام لأنه لا يعتقد أنه من مصلحة الولايات المتحدة الاستمرار في إشراك نفسها في المنطقة. كان يجادل من أجل تفسير واقعي للعلاقات الدولية. ربما ليس من المستغرب أن العديد من معاصري مورغنتاو فشلوا في إدراك الاتساق المتضمن في حججه واتهموه بتغيير نغمته السياسية. لأنهم لم يروا النظرية الواقعية بتفاصيلها، التي تتحدث عن أنواع مختلفة من القوة، سوى استخدام القوة العسكرية في الحرب. الواقعية، بالنسبة لمورغنتاو، لا تتوقف أبداً عند أي شيء سوى المصالح الأمنية للدولة القومية، لكن تلك المصالح، وفقاً لمورغنتاو، تضمنت أكثر بكثير من مجرد تجميع بسيط للقوة العسكرية المصممة لتأمين الموقف تجاه الدول الأخرى. وقد اشتملت على حل الانقسامات الداخلية من أجل تعزيز الوحدة والرفاهية، وتضمنت اعترافًا بما يمكن للدولة ولا تستطيع تحقيقه تجاه الدول الأخرى، والابتعاد عن "الروح الصليبية".

لقد ارتكزت واقعية مورغنتاو إلى أن السياسة الدولية، مثل المجتمع الداخلي تحكمها قوانين موضوعية لها جذور في الطبيعة البشرية، ووفقاً لمورغنتاو أن الصراع من أجل القوة على المستوى الدولي هو إلى حد كبير نتيجة للهيمنة الغالبة على الرجل السياسي في السيطرة على الآخرين، ومع ذلك فإن مورغنتاو تجاوز مجرد النظر إلى الطبيعة البشرية، وذلك من خلال تعبيره عن انعكاس النزعة البشرية للقوة على الدولة، حيث أصبحت الدولة على المستوى الدولي تنفذ دوافعها من خلال شهوتها. ولهذا مثلت القوة بالنسبة لمورغنتاو، حالة نفسية المنشأ استندت إلى العلاقات البينية، التي لا يمكن الحصول عليها من خلال مراكمة الوسائل المادية فقط، وإنما تمثل القوة بالنسبة له أنها خلقت عموماً من خلال التفاعلات بين البشر القائمة على المصالح المشتركة (Morgenthau 1958, 75).

ويجدر التأكيد هنا مرة أخرى، أن مورغنتاو ذكر مراراً في كتابه أن "القوة قد تشتمل على أي شيء يؤسس ويحافظ على سيطرة الإنسان على الإنسان" وهو يعني "بالقوة سلطة الإنسان على عقول وأفعال الرجال الآخرين، وهي ظاهرة يمكن العثور عليها أينما كان الإنسان". وهكذا ، بالنسبة لمورغنتاو، فإن قوة أحد الأطراف تؤدي إلى تغيرات في تفكير وأفعال الطرف الآخر، أي أنها تسبب تغيرات في السلوك السياسي للآخر. قام مورغنتاو بتصميم نموذجه بحيث يعمل كمؤشر للسلطان – يمكن أن تتفاوت دقة ذلك من حالة إلى أخرى – ولكن من خلال توفير طريقة مناسبة لقياس القوة الوطنية نفسها. من الواضح أنه على علم بصعوبة تفسير الصراعات الديناميكية بمؤشرات ثابتة، فقد حاول مورغنتاو بناء نموذجه بمرونة عن طريق تقسيم هذه العناصر إلى مجموعتين مادية ومعنوية.

لذلك عند النظر إلى مقومات القوة عند مورغنتاو يكتشف الناظر قائمة من العوامل تعكس اهتماماً لموارد القوة المادية، إذ يركز مورغنتاو على الجغرافيا والموارد الطبيعية والقدرات الصناعية والتأهب العسكري والسكان، ويماثل مفهوم هذه العوامل الخمسة بشكل وثيق مقاييس، الواقعيين الجدد، والتز وميرشايمر ورؤيتهم لمصادر القوة كأصول ملموسة. ومع ذلك، وبالمضي قُدماً في قائمة مورغنتاو لمقومات القوة، يتضح أنّه لم يدع، إلى التركيز على مصادر القوة الصلبة، بل قام بالتركيز على الموارد المعنوية كالشخصية القومية والروح المعنوية والدبلوماسية وجودة الحكومة، والتي تعد أسس ومصادر القوة الناعمة، والتي يمكن رؤيتها بوضوح ضمن طروحات جوزيف ناي، بعد نهاية الحرب الباردة. ولهذا يعد نموذج مورغنتاو للقوة هو الأعمق والأكثر شمولاً لأنه يحاول دمج كامل للمتغيرات التي ترتبط بعناصر القوة غير الملموسة بشكل أكبر من أي نموذج آخر. ومن هنا فإنّ من لم ير موقف مورغنتاو، من الحرب ورفضه لها، لم يطلع أو لم يتوقف عند مجمل نظرية مورغنتاو. فالنظرية الواقعية الكلاسيكية، لا تؤمن بمزيج واسع من القوة وحسب، بل وتقوم أيضاً على تقييد فكرة التدخل في تغيير الأنظمة الأخرى من خلال الاستخدام المادي للقوة المادية بشكل فعلي.

هناك اختلافات مهمة بين مورغنتاو والواقعيين الجدد حول أفضل طريقة لتصور وقياس القوة. فعلى الرغم من وضع والتز تعريفاً للقوة مشابها لتعريف مورغنتاو بالاعتماد على القدرات، الذي يتضمن "حجم السكان والأراضي، والموارد الطبيعية، والقدرة الاقتصادية، والقوة العسكرية، والاستقرار السياسي"، إلا أنه أضيق من رؤية مورغنتاو. ويرجع تركيز والتز على القدرات المادية لأنها أسهل للتنبؤ. وبنفس الاتجاه يحدد ميرشايمر تعريفه للقوة بناءً على المصادر المادية الملموسة

فقط، والقائمة على الثروة والقدرات العسكرية والسكان. في حين مورغنتاو يحدد القوة بطريقة شاملة مثل القدرة على ممارسة التأثير على العناصر الفاعلة الأخرى في النظام الدولي. ومن هنا فإنّ النظرة الأضيق للقوة عند الواقعيين الجدد، هي التي أسهمت في وسم الواقعيين ككل بالسعي للاستخدام الصلب أو العنيف للقوة. ويعتبر مورغنتاو أن القوة هي غاية ووسيلة معاً، بينما يؤكد والتز وميرشايمر أنها وسيلة لتحقيق غاية. ولكن الواقعيين الجدد، أسهموا في إشاعة سوء فهم، مورغنتاو، عندما أغفلوا إلى حد كبير الجانب المعياري في تفكيره، أو بكلمات أخرى رفضوا هذا الجانب، برفض فكرة الحصول على القوة عبر التعاون، ورفض مدى أهمية المنظمات الدولية، وبالتالي، ولهذا السبب أيضاً، أسهمو في وسم الواقعية ككل بأنها تركز عل سياسات وتوازنات القوة وحسب.

اعتمدت الواقعية الجديدة على تحليل بنية النظام الدولي وهيكليته، مع التركيز على الجوانب والمقومات المادية للقوة، لأنها هي التي تثبت مكانة الدولة ضمن النظام الدولي الفوضوي، وأهمل، أو رفض، المنظران الأبرز للواقعية الجديدة، الاهتمام بخصائص الدولة الداخلية، والأهم معارضتهما الصريحة لفكرة العلاقة بين الطبيعة البشرية وطبيعة الدولة. في حين أن مورغنتاو اعتمد على الطبيعة البشرية في تحليل الواقع الدولي واعتبرها الأساس المحرك للدول. ونتج عن هذا الاختلاف تباين مهم، هو أنّ مورغنتاو، اعتبر أنّ هناك سبل لتحقيق السلام، تتضمن امتلاك أوراق القوة المختلفة، وليس العسكرية فقط، إمكانية تطوير آليات تعاون، وتطوير مؤسسات دولية، تشذب سلوك الدول كما أسهم بذلك تأسيس الدولة في ضبط السلوك الإنساني على المستوى الداخلي، وهو ما رفضه الواقعيون الجدد الذين قالوا إن للدول بحكم فكرة "الفوضى" طبيعة مختلفة تماماً،

خصوصاً على صعيد العلاقة بين القوى العظمى، ولكنه رفض أيضاً مسألة التدخل بالقوة لتغيير الأنظمة السياسية، كما اتضح في حالة فيتنام. والتي رفضها والتز ومرشايمر من منطلق عدم أهمية الأسس الداخلية للدولة.

يبدو أن هناك توافقاً واسعاً في الأدبيات أن التقليد الواقعي الجديد، يحتاج إلى عملية إصلاح شاملة. ويتم توجيه جزء كبير من عدم الرضا إلى التركيز على التوازن الهيكلي (البنيوي) الذي أخذته النظرية الواقعية الجديدة مع نشر نظرية كينيث والتز في كتابه "نظرية السياسة الدولية". واللافت أنّ جزء من مقترحات الإصلاح تقترح العودة إلى واقعية مورغنتاو.

إذ يرى ريتشارد نيد ليبو Richard Ned Lebow أنّ "هناك اعتراف واسع النطاق بأن التقاليد الواقعية وصلت إلى الحضيض. وأنّه في محاولاته غير الناجحة لتحويل الواقعية إلى نظرية علمية، قام كينيث والتز مؤسس الواقعية الجديدة، بالتعتيم على التقليد الواقعي الكلاسيكي لتعقيده ودقته. وبالنظر إلى أوجه القصور "القاتلة" للواقعية الجديدة، يوصي ليبو بالعودة إلى جذور التقاليد الواقعية الكلاسيكية، وإلى أفكار مورغنتاو، والذي كان على دراية تامة في فهم ديناميات القوة بالإضافة إلى فهم أن الأخلاق تساعد على السعي وراء المصلحة الوطنية (Schuessler 2010, 583).

من جهة ثانية، التقت طروحات جوزيف ناي، واللبراليين الجدد عموما، والتي تم مناقشتها في الفصل الخامس، مع طروحات مورغنتاو، ويمكن الاعتماد على مقولة ناي: "وبسبب أنها شكل من أشكال القوة فقط، فإن صيغة مبتورة ومرتجلة من الواقعية هي التي تتجاهل القوة الناعمة، في

حين لا يفعل الواقعيون التقليديون ذلك، فليس هناك تعرض بين الواقعية والقوة الناعمة. أن القوة الناعمة ليست شكلاً للمثالية أو الليبرالية، إنها ببساطة شكل للقوة " (ناي 2015، 108) بأنها دليل واضح على أسبقية الواقعية في التنظير لم بات بعرف باسم القوة الناعمة.

وعلى الرغم من اختلاف المنطلقات والأسس التي يعتمد عليها كل من مورغنتاو وناي في تحليل الواقع الدولي، إذ يرتكز مورغنتاو على المصلحة الوطنية في تحليل سلوك الدول ولكن بالاعتماد على الطبيعة البشرية التي تسعى للقوة والسيطرة، والتي يعتبرها أنها الدليل الوحيد للسياسة الخارجية فأي سياسة خارجية قائمة على أي معيار آخر غير المصلحة ستواجه الفشل حتمًا. ويعتمد ناي على الأسس الليبرالية القائمة على الاعتماد الاقتصادي المتبادل الذي يهدف إلى تحقيق المصلحة الجماعية من خلال تحقيق المكاسب المطلقة. في ضوء هذا يجدر التساؤل لماذا هناك تشابه بين مورغنتاو وناي حول تحليل مفهوم القوة وخاصة في ما يخص مصادر وموارد ما يسمى بالقوة الناعمة؟ وإذا كانت الليبرالية عموماً تتوافق مع عملية التدخل في شؤون الدول الأخرى للتأثير في نوع النظام الداخلي، إلا أن ناي رفض التغيير بالاستخدام المادي للقوة من خلال رفضه للحرب على فيتنام والحرب على العراق لأنها قوضت القوة الناعمة الأمريكية، أنه من ضمن استراتيجيات القوة الذكية الحذر وعدم التدخل الذي يؤثر على السياسة الخارجية، وبهذا أصبح ناي أقرب إلى طروحات مورغنتاو في هذا الشأن.

ترى هذه الأطروحة أن تشابه الظروف الدولية التي عاصرها كلا المنظرين هي السبب. الارتباك الأميركي في حرب كوريا الشمالية، مطلع الخمسينيات، والارتباك في حرب العراق، مطله القرن الواحد والعشرين. فقد ظهرت توجهات مورغنتاو بشكل جدي نحو التركيز على الموارد

المعنوية والسياسة الداخلية في الطبعة الثانية من كتاب "السياسة بين الأمم"، والتي ظهر بها تطور فكر مورغنتاو نتيجة مواكبته للأحداث على الساحة الدولية كالحرب الكورية عام 1950، وهي التي دفعت بمورغنتاو إلى إعادة النظر بفائدة (الأمم المتحدة)، فلم يكن مورغنتاو، في الطبعة الأولى، يأمل بأن هذه المنظمة ستنجز الكثير، وخاصة بعد أن خاب أمله في الإنجازات الهزيلة التي حققتها عصبة الأمم في فترة ما بين الحربين. وقد اعترف مورغنتاو في مقدمة الطبعة الثانية بأن الطبعة الأولى من السياسة بين الأمم قد عرضت وجهة نظر متشائمة إلى حد ما حول إمكانات الأمم المتحدة وهنا يتضح أنه على الرغم من التشاؤم حول احتمال التغيير النابع من الفهم المثالي للعلاقات الدولية، إلا أن الواقعية الكلاسيكية، احتوت على إمكانية التحول من عالم الدول إلى عالم المؤسسات فوق الوطنية طالما أن التحول قد تحقق على أساس المصالح الحقيقية للدول.

وأكد مورغنتاو أنه سيأخذ في الاعتبار أكثر بكثير السياسة الداخلية، حتى إلى درجة تأكيد "قاعدة دبلوماسية جديدة" تتعامل مع "العلاقة بين السياسة الخارجية والداخلية"، والتي شملت على تجريد الدبلوماسية من الروح الصليبية، والآخذ بالاعتبار مصالح الدول الأخرى. وتتلخص رؤية مورغنتاو للدبلوماسية أنها خير السبل التي يمكن لمجتمع يضم الدول المستقلة ذات السيادة أن يعرضها في خدمة الحفاظ على السلام، وفي وسع الدبلوماسية أن تضمن السلام بشكل يفوق ضماناته في هذه الأيام، كما أن في وسع الدولة العالمية أن تجعله أكثر استقراراً، لو أن الدول كلها تقيدت بقواعد الدبلوماسية. ويربط مورغنتاو فكرة إنشاء الحكومة العالمية من خلال الدبلوماسية القائمة على التوافق بين الدول من خلال التوافق على المصالح المتبادلة. إضافة إلى معاصرته

للحرب الأمريكية على فيتنام والتي عارضها بشدة لعدة اعتبارات وباستثناء المصلحة الوطنية التي كانت أبرزها، فقد اهتم مورغنتاو بالهيبة والمكانة والمصداقية والجاذبية الأمريكية.

أما ناي فقد طور مفهوم القوة الناعمة في أوائل تسعينات القرن الماضي ليواجه الرأي السائد عندئذ والقائل أن الولايات المتحدة آخذة في الانحدار، حيث طرح ناي أن الولايات المتحدة، هي أقوى دولة، ليس في القوة العسكرية والاقتصادية فقط، بل أيضاً في القوة الناعمة. وعاد ناي إلى القوة الناعمة في عام 2001 في كتاب مفارقة القوة الأمريكية ليحذر من نزعة الزهو بالانتصار التي كان قد حذر منها سابقاً.

وفي ظرف مشابه للوضع الأمريكي خلال حرب فيتنام، والكوريتين، وقعت الولايات المتحدة في مستنقع الحرب على أفغانستان عام 2001 والعراق عام 2003، وكان كتاب ناي القوة الناعمة كرد على فشل الولايات المتحدة في هاتين الحربين، والتي اعتبرها أنها انتجت شكوكاً حول شرعية الأعمال الأمريكية، وأدت إلى هبوط حاد في جاذبية الولايات المتحدة الأمريكية حول العالم، الأمر الذي جعل من الصعب حشد التأييد لاحتلال العراق وإعادة إعماره. مما أدى حسب تعبير ناي إلى "أن عملية كسب السلام أصبحت أصعب من كسب الحرب"، ولهذا تكون القوة الناعمة ضرورة جوهرية لكسب السلام، حيث تتلخص القوة الناعمة على أنها القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام ودفع الأموال، وهي تنشأ من جاذبية الثقافة والقيم والسياسة الخارجية.

وبهذا قامت طروحات جوزيف ناي حول القوة بالاعتماد على طروحات مورغنتاو بإطارها الشامل المزدوج (الإمبريقي والمعياري)، ولكن بتركيز ناي أكثر على الجانب المعياري والذي تمثل بمفهوم القوة الناعمة، وبهذا يمكن طروحات ناي هي لرؤية للقوة مع الجانب التطويري لها.

وتجدر الإشارة إلى المفارقة التي أثبتتها هذه الأطروحة، فعلى الرغم من اختلاف التوجهات النظرية بين مورغنتاو وناي، إلا أن أوجه التباين بينهما كانت أقل من أوجه التباين بين مورغنتاو من طرف ووالتز وميرشايمر من طرف آخر، في المقابل كانت أوجه الاتفاق بين مورغنتاو وناي أكثر من أوجه الاتفاق بين مورغنتاو ووالتز وميرشايمر.

ويعود هذا الأمر نتيجة أن القوة ليست معيار الاختلاف بين المنظرين السابقين، بل هناك اعتبارات أخرى لها علاقة بمنهجية وهدف كل منظر في تحليل السياسة الدولية، ولذلك لا يمكن وضع مورغنتاو ووالتز وميرشايمر في نظرتهم للقوة في خانة واحدة، كما أنه لا يمكن الفصل بين منظور الليبرالية الجديدة وبالأخص منظور ناي للقوة عن منظور مورغنتاو.

كما أن المفارقة الأخرى هي في تقديم الليبراليين الجدد ضمن مناقشاتهم لطروحات مورغنتاو تفهماً أكثر إنصافاً وشمولاً من الواقعيين الجدد، فقد ركز الواقعيون الجدد على طروحات مورغنتاو الإمبريقية للقوة وتجنبو ذكر الجوانب المعيارية في طروحاته، في حين وضح الليبراليون الجدد كلا الجانبين الإمبريقي والمعياري في طروحات مورغنتاو.

وعليه إن الجذور الأوسع لفكر مورغنتاو وعلاقته بالتقاليد الأوسع والأكثر تنوعاً في الفكر السياسي والتحليل الاجتماعي، وخاصة رؤيته لمفهوم القوة في العلاقات الدولية، تدفع لإعادة النظر

في طروحات مورغنتاو وخاصة حول مفهوم القوة، مما يثير تساؤلاً حول طروحات مورغنتاو إن كانت واقعية أم لا؟ فقد صنفه Marcus Raskin بأنه مثالي الواقعيين، في حين رأى Robert Jervis بأن مورغنتاو أدخل عناصر غريبة (الأفكار والأخلاق والدبلوماسية) ضمن الطروحات الواقعية، وأن هذه العناصر ستمثل مشكلة في التفسيرات الواقعية.

وبهذا يمكن الخروج من هذه الأطروحة برأي، أن مورغنتاو كان لديه جوانب مثالية، إذ لا يمكن تصنيفه بأنه واقعي "أرثوذكسي"، أو متعصب لتصوّر متشدد للعلاقات الدولية، إذ يمكن اعتباره "مثالي الواقعيين"، فقد كان لديه طروحات تفسيرية ترى الواقع كما هو كائن، وطروحات تكوينية تسعى لرؤية الواقع كما يجب أن يكون، وبهذا فإن طروحات مورغنتاو قد قربت المسافة بين الواقعيين والليبراليين، ولكن كثير من الباحثين قدموه بطريقة مشوهة، كما أن طروحاته اختلطت بطروحات الواقعية الجديدة، دون وجه حق.

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك فرق بين تعريف القوة واستخدامها، وهناك فرق بين القوة (Power) والنفوذ (Influnce)، وهما أيضاً مفهومان للسلطة التي تمارس على الآخرين. إذ لا يستطيع أحد أن يمارس نفوذه على أحد آخر دون أن يكون لديه القوة، كما أنه لا يمكن ممارسة القوة الناعمة بدون امتلاك القوة الصلبة، وليس كل امتلاك للقوة يعني قدرة تلقائية على امتلاك النفوذ.

وهذا يقود لرؤية طروحات مورغنتاو وخاصة في كتابه السياسة بين الأمم، وخاصة في الشق الأول بأنه تحدث عن القوة (Power)، وفي الشق الثاني تحدث عن النفوذ (Influnce)، أي

شروط لتحويل مصادر القوة إلى نفوذ، وبمعنى آخر وحسب تعبيرات جوزيف ناي، كان الشق الأول يتحدث عن القوة الصلبة، والشق الثاني يتحدث عن القوة الناعمة، وهنا يمكن اعتبار طروحات جوزيف ناي أصبحت أقرب إلى الواقعية الكلاسيكية، ويمكن إعادة النظر في أطروحة جوزيف ناي حول القوة الناعمة على أنها جزء يمكن اعتباره امتداد لرؤية هانز مورغنتاو للقوة مع الجانب التطويري لها، حتى وإن لم يكن هذا مقصود تماماً.

وأخيرا، وكما تُظهِر فصول هذه الدراسة، والتي تم من خلالها تسليط الضوء على اتساع تفكير مورغنتاو حول أحد أكثر المجالات تأثيراً في حقل العلاقات الدولية (مفهوم القوة)، فإن إعادة النظر في إرث مورغنتاو قد يفتح المجال أمام المهتمين والدارسين والباحثين في حقل العلاقات الدولية لمزيد من الآفاق التي يمكن أن تساعد في التفكير المعاصر بالشؤون الدولية بالتوازي مع تحديات أخرى تواجهها نظرية السياسة الدولية في العالم اليوم.

7 قائمة المصادر والمراجع:

7-1 المراجع العربية:

اوغلو، احمد داوود. 2011. العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. ط 2. ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.

ايفانز، غراهام وجيفري نيونهام. 2004. قامون بنغوين للعلاقات الدولية. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

بدوي، محمد طه وليلى امين مرسي وممدوح محمود منصور واحمد محمد وهبان. 2015. مقدمة إلى علم العلاقات الدولية. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية.

براون، كريس. 2004. فهم العلاقات الدولية. ترجمة مركز الخليج للأبحاث. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

بروتشيل، سكوت وأندرو لينكليتر. 2014. نظريات العلاقات الدولية. ترجمة محمد الصفار. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

بروتشيل، سكوت. 2014. الليبرالية. في: نظريات العلاقات الدولية. تحرير: سكوت بروتشيل، وأندرو لينكليتر، وآخرون. ترجمة محمد صفار. 91-134. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

بنيويك، روبرت وفيليب جرين. 2010. موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين. ترجمة مصطفى محمود. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

بيليس، جون وستيف سميث. 2004. عولمة السياسة العالمية. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

جندلي، عبد الناصر.2011. أثر الحرب الباردة على الإتجاهات الكبرى والنظام الدولي. القاهرة: مكتبة مدبولي.

حبش، لورد بطرس أنطون. 2007. الابعاد السياسية لمفهوم القوة في خطاب ما بعد الحداثة: مفارنة بين أفكار كل من هابرماس وفوكو. رسالة دكتوراة غير منشورة. القاهرة: جامعة القاهرة.

حتي، ناصيف يوسف. 1985. النظرية في العلاقات الدولية. بيروت: دار الكتاب العربي.

الخزرجي، ثامر كامل محمد. 2009. العلاقات السياسية الدولية واستراتيجية ادارة الازمات. عمان: دار مجدلاوي.

دال، روبرت. 1993. التحليل السياسي الحديث. ترجمة علاء ابو زيد. القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر.

دان، تيم وميليا كوركي. 2016. نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع. ترجمة ديما الخضرا. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

دورتي، جيمس وروبرت بالستغراف.1985. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية. ترجمة وليد عبد الحي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.

رحيم، اكو حما كريم. 2011. القوة الناعمة في العلاقات الدولية – درساة تحليلية مقارنة. السليمانية: جامعة السليمانية. رسالة لنيل درجة الدكتوراة غير منشورة.

رشوان، حسين عبد الحميد احمد. 2007. في القوة والسلطة والنفوذ. الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب.

زكريا، فريد. 1999. من القوة إلى الثروة: الجذور الفريدة لدور امريكا. ترجمة رضا خليفة. القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر.

الصواني، يوسف محمد. 2013. نظريات في العلاقات الدولية. بيروت: منتدى المعارف.

عديلة، محمد طاهر. 2015. تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والاسس. أطروحة لنيل درجة الدكتوراة غير منشورة. بتانة: جامعة الحاج لخضر.

عودة، جهاد. 2005. النظام الدولي نظريات واشكاليات. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع.

غريفيش، مارتن. 2008. خمسون مفكراً في العلاقات الدولية. دبي: مركز الخليج للابحاث.

فرانكل، جوزيف. 1984. العلاقات الدولية. ط 2. ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي. جدة: مطبوعات تهامة.

فرج، أنور سليم.2007. نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة. السليمانية: مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية.

فوكر، جينيفر ستيرلنغ. 2016. الليبرالية الجديدة. في: نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع. تحرير: تيم دان، ميليا كوركي، ستيف سميث. ترجمة ديما الخضرا. 293-336. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

كلينتون، هيلاري رودام. 2010. القيادة عبر القوة المدنية: إعادة تعريف الدبلوماسية والتنمية الأمريكية. سلسلة ترجمات الزيتونة 61. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. 2018. السيرة الذاتية لجون ميرشايمر. ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. http://www.ecssr.com/ECSSR/print/prf.jsp?lang=ar&prfId=/Profile/Profiles_2203.xml

مصباح، عامر. 2010. معجم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

مصطفى، نادية محمود. 2016. مسار علم العلاقات الدولية بين جدال المنظورات الكبرى واختلاف النماذج المعرفية. في: العلاقات الدولية في عالم متغير منظورات ومداخل مقارنة. الجزء الاول. تحرير نادية محمود مصطفى. 27-262. القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية.

مقلد، اسماعيل صبري. 2001. العلاقات السياسية الدولية: النظرية والواقع. القاهرة: المكتبة الاكاديمية.

مورغنتاو، هانز جي.1964أ. السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام. تعريب خيري حماد. الجزء الأول. الطبعة الثانية. القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر.

_____.1964ب. السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام. تعريب خيري حماد. الجزء الثاني. الطبعة الثانية. القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر.

_____.1964ج. السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام. تعريب خيري حماد. الجزء الثالث. الطبعة الثانية. القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر.

ميرشايمر، جون. 2012. مأساة سياسة القوى العظمى. ترجمة مصطفى محمد القاسم. الرياض: جامعة الملك سعود.

_____. 2016. الواقعية البنيوية. في: نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع. تحرير: تيم دان، ميليا كوركي، ستيف سميث. ترجمة ديما الخضرا. 211-250. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ناي، جوزيف.2003. مفارقة القوة الأمريكية لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم أن تمضي وحدها؟. تعريب محمد البجيرمي. الرياض: مكتبة العبيكان.

_____.2007. القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. تعريب محمد البجيرمي. الرياض: مكتبة العبيكان.

_____.2015. مستقبل القوة. ترجمة احمد عبد الحميد نافع. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

هايوود، أندرو. 2010. المفاهيم الأساسية في السياسة. ترجمة منير محمود بدوي. الرياض: النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود.

الهرمزي، سيف. 2016. مقتربات القوة الذكية الامريكية كآلية من آليات التغيير الدولي "الولايات المتحدة الامريكية نموذجا. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

هرميه، غي وبيار بيرنبوم وآخرون. 2005. قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية. ترجمة هيثم اللمع. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

هيوود، اندرو. 2013. النظرية السياسية: مقدمة. القاهرة: المركز القومي.

2-7 المراجع الأجنبية:

Algosaibi, Ghazi A. R. 1965. The Theory of International Relations: Hans J. Morgenthau and His Critics. Background. Vol. 8. No. 4 (Feb.): pp. 221-256.

Auton, Graeme P. and Robert J. Jackson. 2016. Soft Power in Theory and Practice. The New Strategist Journal. Volume 1. Issue 1: 5-8.

Baldwin, David A. 2013. Power and International Relations. In Handbook of International Relations. Ed Walter Carlsnaes, Thomas Risse & Beth A. Simmons, 273-297. London: SAGE Publications Ltd.

_____. 2016. Power and International Relations A Conceptual Approach. Princeton: Princeton University Press.

Behr, Hartmut and Felix Rösch. 2012. Morgenthau's Twofold Concept of Power. In: The Concept of the Political. Edited by: Hartmut Behr and Felix Rösch. 47-82. New York: Palgrave Macmillan.

Beyer, Anna Cornelia. 2015. Kenneth Waltz's Life and Thought: An Interview. North Carolina: Lulu Press, Inc.

Carr, Edward Hallett. 1946. The Twenty Years' Crisis 1919-1939 An Introduction to the Study of International Relations. Second Edition. London: Macmillan & CO. LTD.

Carvalho, Benjamin de, John Hobson and Halvard Leira. 2010. The noble Discipline of IR: The Stubborn Myths of 1648 and 1919, and the Denial of Imperialism. Paper prepared for the Millennium Annual Conference 2010, London, October 16-17.

Ding, Sheng. 2006. Soft Power and the Rise of China: An Assessment of China's Soft Power in its Modernization Process. Doctor thesis. New Jersey: School-Newark Rutgers, The State University of New Jersey.

_____. 2008. The Dragon's Hidden Wings – How China Rises with its Soft Power. Lanham: Lexington Books.

Dougherty, James E. and Robert L. Pfaltzgraff, Jr. 2001. Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey. Fifth Edition. Boston: Addison Wesley Longman, Inc.

Frankel. Benjamin. 2013. Roots of Realism. Hoboken: Taylor and Francis.

Frei, Christopher . 2001. Hans J. Morgenthau: An Intellectual Biography. Baton Rouge: Louisiana State University Press.

Gallarotti, Giulio M. 2010. Cosmopolitan Power in International Relations: A Synthesis of Realism, Neoliberalism, and Constructivism. Cambridge: Cambridge university press.

Gellman, Peter. 1988. Hans J. Morgenthau and the Legacy of Political Realism. Review of International Studies. Vol. 14. No. 4 (Oct.): pp. 247-266.

Gewen, Barry. 2015. Hans Morgenthau and Hannah Arendt: An Intellectual Passion. The National Interest. August 25. https://nationalinterest.org/feature/hans-morgenthau-hannah-arendt-intellectual-passion-13682.

Griffiths, Martin and Steven C. Roach. 2009. FIFTY KEY THINKERS IN INTERNATIONAL RELATIONS. Second Edition. New York: Routledge.

Hoffmann, Stanley N. 1961. "International Relations: The Long Road to Theory," in: International Poltics and Foreign Policy. Ed. James N. Rosenau. 421-437. New York: The Free Press of Glencoe, Inc.

Holsti, K. J. 1964. The Concept of Power in the Study of International Relations. Background. Vol. 7. No. 4 (Feb.): pp. 179-194.

Jackson, Robert and Sorensen Georg. 2003. Introduction to International Relations: Theories and approaches. Oxford: Oxford University Press.

Jervis, Robert. 1994. Hans Morgenthau, Realism, and the Scientific Study of International Politics. Social Research. Vol. 61. No. 4 (Winter): 853-875.

Keaney, Brian A. 2006. The Realism of Hans Morgenthau. Master thesis. Florida: University of South.

Keohane, Robert and Joseph S. Nye. 1977. Power and Interdependence: world politics in transition. Boston: Little Brown.

_____. Nye. 2011. Power and Interdependence. Fourth Edition. Boston: Longman Classics in Political Science.

Keohane, Robert O. 1984. After hegemony: cooperation and discord in the world political economy. New Jersey: Princeton University Press.

_____. 1986. Neorealism and its Critics. 1st ed. New York: Columbia University Press.

_____. 2002. Power and Governance in a Partially Globalized World. New York: Routledge.

_____. 2007. Anti-americanisms in world politics. Polis review. Volume 14. Nov.

Klusmeyer, Douglas B. 2016. Death of the Statesman as Tragic Hero: Hans Morgenthau on the Vietnam War. Ethics & International Affairs, 30, no. 1. pp. 63–71.

Kunz, Barbara. 2010. Hans J. Morgenthau's Political Realism, Max Weber, and the Concept of Power. Max Weber Studies. Vol. 10. No. 2 (JULY): pp. 189-208.

Lang, Anthony. 2004. Political Theory and International Affairs: Hans J. Morgenthau on Aristotle's The Politics. Westport: Praeger.

Li, Mingjiang. 2009. Soft power: China's emerging strategy in international politics. Maryland: Lexington Books.

Little, Richard. 1996. The growing relevance of pluralism?. In International theory: positivism and beyond, ed. Steve Smith, Ken Booth and Marysia Zalewski, 66-86. Cambridge: Cambridge University Press.

Lukes, Steven. 2005. Power: A Radical View, 2nd edition. New York: Palgrave Macmillan.

Mearsheimer, John J. 2004. "Power and Fear in Great Power Politics. in: One Hundred Year Commemoration to the Life of Hans

Morgenthau (1904-2004). Edit: G.O. Mazur. 184-196. New York: Semenenko Foundation.

_____. 2005. Hans Morgenthau and the Iraq War: Realism versus Neo-Conservatism. Open democracy. posted May 19. http://mearsheimer.uchicago.edu/pdfs/A0037.pdf

Mollov, M. Ben. 1998. Power and Spirituality in the Thought of Hans J. Morgenthau. Jewish Political Studies Review. Vol. 10. No. 1/2 (Spring): pp. 93-112.

Moravcsik , Andrew. 1998. Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of International relations. In International relations theory : realism , pluralism , globalism and beyond, ed. Paul R. Viotti and Mark V. Kaupi, 246-256. Boston: Allyn and Bacon.

Morgenthau, Hans J. 1946. Scientific Man vs Power Politics. Chicago: University of Chicago Press.

_____. 1952. Another 'Great Debate': The National Interest of the United States. The American Political Science Review. 46 (December): pp. 961-988

_____. 1958. Dilemmas of Politics. Chicago: University of Chicago Press.

_____. 1958. Power as a Political Concept. In: Approaches to the Study of Politics. ED. Roland Young. 66-77. Evanston: Northwestern University Press.

_____. 1962. Politics in the Twentieth Century, Vol. The Decline of Democratic Politics. Chicago: University of Chicago Press.

_____. 1965a. Vietnam and the United States. Washington: Public Affairs Press.

_____. 1965b. We Are Deluding Ourselves in Vietnam. *New York Times*. (April 18): pp. 61–73.

_____. 1969. "The Present Tragedy of America," Worldview (monthly journal of the Council on Religion and International Affairs). Vol. 12, No. 9. (September): pp. 14–15.

_____. 1973. The Lessons of Vietnam. In: The New Era in American Foreign Policy. edit: JOHN H. GILBERT. 13–20. New York: ST. MARTIN'S PRESS.

_____. 1974. Justice and Power. Social Research. Vol. 41. No. 1 (SPRING). pp. 163–175.

_____. 1975. THE INTELLECTUAL, POLITICAL, AND MORAL ROOTS OF U.S. FAILURE IN VIETNAM. In: Analyzing International Relations: A Multimethod Introduction. edit: WILLIAM D. COPLIN and CHARLES W. KEGLEY, JR. 113–127. New York: PRAEGER PUBLISHERS.

_____. 1977. The Pathology of American Power. International Security. Vol. 1. No. 3 (Winter): pp. 3–20.

_____. 1985. Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace. Sixth Edition. New York: Knopf: Distributed by Random House.

Nye, Joseph S. 1990. Bound to Lead: The Changing Nature of American power. New York: Basic Books.

_____. 2004. Power in the Global Information Age. New York: Routledge.

_____. 2006. Think Again: Soft Power. Foreign Policy. FEBRUARY 23. https://foreignpolicy.com/2006/02/23/think-again-soft-power/

_____. 2013. History Will Judge Bush on Iraq War. Belfer Center for Science and International Affairs John F. Kennedy School of Government. March 13. https://www.belfercenter.org/publication/history-will-judge-bush-iraq-war.

_____. 2014. Understanding Global Conflict & Cooperation: Intro to Theory & History. Ninth Edition. London: Pearson Education Limited.

Pallaver, Matteo. 2011. Power and Its Forms: Hard, Soft, Smart. Master thesis. London: The London School of Economics and Political Science.

Paruk, Farhana. 2014. Theories and practice of “soft power”: Their relevance for China (as a rising power) in its relationship with African states. Doctor thesis. Pretoria, Gauteng, South Africa: University of South Africa.

Petersen, Ulrik Enemark. 1999. Breathing Nietzsche's Air: New Reflections on Morgenthau's Concepts of Power and Human Nature Author. Alternatives: Global, Local, Political. Vol. 24. No. 1 (Jan.-Mar.): pp. 83-118.

Rafshoon, Ellen Glaser. 2002. A Realist's Moral Opposition to War: Han J. Morgenthau and Vietnam. Peace & Change. December. 55-77.

Raskin, Marcus. 1977. Morgenthau The Idealism of A Realist . 85-94. In: Truth and Tragedy: A Tribute to Hans J. Morgenthau. Edited by Kenneth Thompson and Robert J. Myers. Washington: The New Republic Book Company, Inc.

Rose, Gideon. 1998. Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy. World Politics. Volume 51. Issue 1 (October): pp. 144-172.

Russell, Greg. 2018. Morgenthau in America: The Legacy. In: Hans J. Morgenthau and the American Experience. Edited by: Cornelia Navari. 143-168. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Schmidt, Brian C. 2005. Competing Realist Conceptions of Power. Millennium: Journal of International Studies. Vol.33. No.3: pp. 523-549.

_____. 2007. Realism and facets of power in international relations. In: Power in World Politics. Edited by Felix Berenskoetter and M. J. Williams, 43-63. New York and London: Routledge Taylor & Francis.

Schuessler, John M. 2010. Should Realism Return to its Roots?. International Studies Review. vol. 12: 583–589.

Schweller, Randall L. 2004. Unanswered Threats: A Neoclassical Realist Theory of Under balancing. International Security. Vol. 29. No. 2: pp. 159-201.

See, Jennifer W. 2001. A Prophet Without Honor: Hans Morgenthau and the War in Vietnam 1955–1965. Pacific Historical Review. Vol. 70. No. 3 (August). pp. 419-448.

Shinn, Roger L. 1977. Realism and Ethics in Political Philosophy. In: Truth and Tragedy: A Tribute to Hans J. Morgenthau. Edited by Kenneth Thompson and Robert J. Myers. 95-103. Washington: The New Republic Book Company, Inc.

Solomon, Ty. 2012. Human Nature and the Limits of the Self: Hans Morgenthau on Love and Power. International Studies Review (2012) 14. 201–224.

Vasquez, John. 1999. The Enduring Contributions of Hans J. Morgenthau's Politics Among Nations. *International Studies Notes.* Special Issue: The legacy of Hans Morgenthau. Vol. 24. No. 1: pp. 5-9.

Viotti ،Paul R. and Mark V. Kaupi. 1998. International relations theory : realism , pluralism , globalism and beyond. Boston: Allyn and Bacon.

Walker, Thomas C. 1999. Introduction: Morgenthau's Dual Approach to International Politics. *International Studies Notes.* Special Issue: The legacy of Hans Morgenthau. Vol. 24. No. 1: pp. 1-4.

Waltz, Kenneth N. 1986. Reflections on Theory of International Politics: A Response to My Critics. In: NEOREALISM AND ITS CRITICS. Editor: Robert O. Keohane. 321-344. New York: COLUMBIA UNIVERSITY PRESS.

_____. 1988. The Origins of War in Neorealist Theory. The Journal of Interdisciplinary History.Vol. 18, No. 4, The Origin and Prevention of Major Wars (Spring), pp. 615-628.

_____. 1990. Realist Thought and Neorealist Theory. Journal of International Affairs. 44(1), 21-37.

_____. 2000. Structural Realism after the Cold War. International Security. Vol. 25. No. 1 (Summer): pp. 5- 41.

_____. 2010. Theory of International Politics. Illinois: Waveland Press Inc.

Wolfe, Bertram D. 1948. Peoples and Ideologies. The New York Times. (October 24): p 22, 24.